

مذكرات الشاذلي

الجزء الثاني 74 - 1978

أربع سنوات في السلك الدبلوماسي



الهيئة الوطنية للكتاب

مذكرات الشاذلي

الجزء الثاني 74 - 1978

أربع سنوات فهرس السلك الدبلوماسي

الجزء الثاني

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زهروت يوسف
الجزائر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رقم النشر 83/1420

المؤسسة الوطنية للكتاب

الجزائر - 1984

تقديم

هذا هو الجزء الثاني من مذكراتي وهو يغطي الفترة من 13 مايو 1974 وحتى آخر يونيو 1978 وهي الفترة التي قضيتها في العمل الدبلوماسي كسفير لبلادي في المملكة المتحدة والبرتغال . لقد كان هدف السادات من تعييني سفيراً هو إبعادي عن القاهرة ، وفي نفس الوقت إلهائي بالمزايا والمكاسب المادية التي تعود علي من هذا التعيين . وقد كانت الاغراءات شديدة لكي أقبل هذه الأوضاع ولا أتقذ سياسة السادات . لقد كان ما أنحصل عليه كسفير من مزايا وعلاوات ومزايا في عام واحد ، يعادل ما تحصلت عليه من مزايا وعلاوات خلال ثلاثة وثلاثين عاماً قضيتها في خدمة القوات المسلحة . ولكن السادات قد أخطأ التقدير عندما تصور أنه يمكن أن يشتري الأحرار بالمناصب والأموال .

وفي 12 أغسطس 74 أي قبل مرور ثلاثة أشهر من وصوتي إلى لندن ، وفي اجتماع علي انتقدت سياسة السادات وترتب علي ذلك استدعائي إلى القاهرة للتحقيق معي . لكن نظام السادات عجز عن أن يتخذ ضدي أي إجراء ، واضطر إلى الاذعان أمام إصراري على عدم تكذيب ما سبق أن قلته في اجتماع 12 أغسطس . وعدت إلى لندن واستمر الخلاف بيني وبين نظام السادات واستمرت انتقاداتي له بشكل علي في مناسبات عدة ، إلى أن نقلت من لندن إلى لشبونة بعد عام واحد من تعييني سفيراً لدى بريطانيا . وإن هذا النقل من لندن إلى لشبونة - وبعد تلك الفترة الوجيزة - هو في حد ذاته شهادة بمدى ما كان يحس به السادات من ضيق وضجر نتيجة لانتقاداتي التي كنت أوجهها إليه من لندن .

وقد كانت هذه السنوات الأربع التي قضيتها كسفير لبلادي في لندن وفي لشبونة ، ذات فائدة كبيرة لي . لقد ذكرت في الجزء الأول من مذكراتي (حرب أكتوبر 73) كيف أنني رفضت منصب سفير في لندن عندما عرض علي في ديسمبر 1973 . أما اليوم وأنا أنظر إلى الماضي فأني أعتقد أن قبولي لهذا المنصب في يناير 74 ، كان من فضل ربي . لقد تعلمت الكثير وفعلت الكثير خلال تلك السنوات الأربع .

لقد تعلمت الديمقراطية واقتنعت تماماً بأنها هي الحل الوحيد الذي يجب أن نبدأ به في مصر كمنطلق لحل مشاكلنا . لقد كان من حسن حظي أن أعين سفيراً في إنجلترا التي تعتبر من أعرق الديمقراطيات في العالم . كذلك كان من حظي أن أكون سفيراً لبلادي في البرتغال في خلال مرحلتين

هامتين من تاريخ تلك البلاد . كانت المرحلة الأولى هي مرحلة التحول من النظام الأوتوقراطي إلى النظام الديمقراطي وقد انتهت هذه المرحلة في يونيو 76 ، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة استقرار الديمقراطية والتي بدأت مع تشكيل أول حكومة دستورية في البلاد في يوليو 1976 . لقد شاهدت كيف يستطيع المرء أن يعبر عن رأيه بصراحة دون أن يخشى انتقام السلطة . لقد شاهدت كيف تعقد الندوات التلفزيونية حيث يجتمع رؤساء الأحزاب المختلفة ليواجهوا بعضهم البعض في نقاش حر تنقله الشاشة الصغيرة على الهواء مباشرة إلى كل منزل . لقد رأيت كيف يقوم مذيع تلفزيوني بمحاصرة رئيس الحكومة بالكثير من الأسئلة المرحجة لكي يغطي تساؤلات الجمهور عن مشكلة معينة ، ودون أن يخشى انتقام من أحد . لقد رأيت كيف تقوم الأحزاب المعارضة بتنظيم الاجتماعات العلنية التي تعارض الحكومة وكيف تقوم أجهزة الإعلام في الدولة من راديو وتلفزيون بقل هذه الاجتماعات إلى الجمهور وعلى الهواء مباشرة وبدون أن تمتد إليها يد الرقيب . لقد رأيت الكثير والكثير .

وفي البرتغال تعلمت اللغة البرتغالية . وقد كان هدفي من تعلم اللغة في أول الأمر هو التأقلم والاعتماد على النفس في التخاطب بما يكفل لي حل المشاكل اليومية . ومع مرور الأيام اتضح لي أن المسلمين البرتغاليين ينطقون القرآن نطقا خاطئا . وبدراسة المشكلة اتضح لي أن كتابة القرآن بالحروف البرتغالية يشوبه الكثير من القصور ، لأن هناك أصوات في اللغة العربية لا يوجد لها مثل في اللغة البرتغالية . ولكي أعجل على هذه المشكلة أدخلت 16 حرفا جديدا على الحروف الأبجدية البرتغالية وأصدرت كتابا أسميته « كتابة اللغة العربية بالحروف البرتغالية » *Fonética arabe Com Letras Portuguesas* . ولم يكن هذا الكتاب إلا مدخلا للعمل الكبير الذي كنت أنوي عمله وهو كتابة القرآن الكريم بالحروف الأبجدية البرتغالية . وقبل أن أعادر البرتغال في يونيو 1978 كنت قد أصدرت الجزء الثلاثين من القرآن الكريم بالحروف الأبجدية البرتغالية .

وفي البرتغال بدأت في كتابة مذكراتي عن حرب أكتوبر 73 وانتهيت منها في أكتوبر 77 . ومرة أخرى فإني أقول شكرا لله لأنني نقلت إلى البرتغال فلو أنني بقيت في لندن لما توفرت لدي الوقت الكافي لكتابة هذه المذكرات ولتأجل كتابتها عدة سنوات أخرى .

لقد تم تجهيز هذا الجزء الثاني من المذكرات للنشر في منتصف عام 1980 ، ولكن الخلاف الذي قام بيني وبين مؤسسة الوطن العربي حول نشر الجزء الأول من مذكراتي (حرب أكتوبر) لأسباب سياسية ، دفعني لأن أكون أكثر حرصا وتدقيقا في اختبار دار النشر التي أتعامل معها . وبعد أن حكم القضاء الفرنسي لصالحني ضد مؤسسة الوطن العربي ، وبعد أن صدر حكم الاستئناف لصالحني أيضا وأصبح الحكم نهائيا ، قررت أن أنشر هذا الجزء الثاني من مذكراتي ، وذلك بعد فترة تأخير تقرب من ثلاث سنوات .

وعندما قمت بمراجعة هذه المذكرات في مارس 1983 ، وجدت أن بعض الأمور التي كانت غامضة وقت تسجيلها قد انكشفت أسرارها . مثال ذلك ما يتعلق بزيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس في نوفمبر 77 . لقد أثير وقتئذ إشاعات كثيرة حول مقابلات سرية تمت في المغرب للتمهيد لتلك الزيارة ، ولكن تفاصيل هذه المقابلات لم تكن تعرف على وجه اليقين . أما اليوم وقد عرفنا الكثير عن تلك المقابلات ، فمن حق القارئ أن يعرفها . ولكن ، وحتى يعيش قارئ اليوم في نفس الجو

التاريخي الذي كنا نعيش فيه وقت وقوع هذا الحدث ، فقد قررت أن أبقى المذكرات الأصلية على ما هي عليه . وأن أبين في ملحق منفصل في نهاية الكتاب ما انكشف من أسرار حول هذا الموضوع حتى مارس 1983 . وفي حالات أخرى كنت أكتفي بأن أشير إلى بعض الأحداث في الهوامش .

فريق سعد الدين الشاذلي

مارس 1983



البَابُ الْأَوَّلُ
سَفِيرٌ فِي الْمَمْلَكَةِ الْمُتَّحِدَةِ



الفصل الأول

في بلاط صاحبة الجلالة

تعييني سفيرا لبلادي في بريطانيا :

لقد تم تعييني سفيرا لبلادي في لندن بطريقة تتنافى مع جميع أصول العرف الدبلوماسي . فمن المسلم به في التقاليد الدبلوماسية أن يكون للدولة المضيفة الكلمة الأخيرة في قبول سفير أي دولة أخرى . ومن هنا جرى العرف على أن يبقى قرار تعيين السفير سرا إلى أن تصل موافقة الدولة المضيفة على الترشيح الذي تقدم به الدولة صاحبة الشأن . والغرض من ذلك هو عدم إحراج الدولة الطالبة إذا ما رفضت الدولة المضيفة قبول تعيين السفير المرشح لها بواسطة الدولة الطالبة وحتى لا يتسبب مثل هذا الرفض في تدهور العلاقات بين الدولتين ، لاسيما وأن الدولة التي ترفض قبول تعيين سفير بالذات لديها ليست ملزمة بإبداء الأسباب التي اعتمدت عليها في هذا الرفض . ولكي تحظى الدولة الطالبة بموافقة الدولة المضيفة فإنها ترفق مع طلبها نبذة تاريخية عن السفير المرشح Curriculum وتشمل ذلك المناصب الهامة التي سبق أن شغلها هذا الشخص في بلاده والياشين والأوسمة التي حصل عليها وذلك لكي تثبت للدولة الأخرى أن المرشح لمنصب السفير لديها هو شخص مرموق في بلاده ، وأنه لا تشوبه أية شائبة .

لقد شرحت في مذكراتي عن حرب أكتوبر كيف عرض علي السادات منصب سفير من الدرجة الممتازة مع الترقية إلى رتبة فريق أول يوم 12 ديسمبر 73 وكيف رفضت هذا العرض . وبالرغم من رفضي لهذا المنصب فقد نشرت الصحف المصرية في أواخر ديسمبر 73 بأنه قد تم تعييني سفيرا في لندن مما اضطرني إلى طلب مقابلة السادات لتأكيد رفضي لهذا

لمنصب . وقد تمت هذه المقابلة في أسوان يوم 6 يناير 74 . وفي هذه المقابلة فقط أعلنت قبولي لهذا المنصب ، بعد أن عتبرت أن ما قاله السادات كان ترميزية كافية لي ، وبعد أن صدقت ما ادعاه السادات بأن منصبي في بلد سيكون امتدادا للخدمات التي لم تكن موجودة . وأني سأكون مسؤولا عن الإشراف على عملية تسليم واسعة تتم عن طريق ألمانيا الغربية .

وفي 7 يناير 74 عادت لصحيفتي المصرية تؤكد من جديد ، بأن تعييني سفيراً للملاحة في بلد ، إنما كانت وزارة الخارجية المصرية لم تبدأ بعد في تحرير الـ Curriculum Vitae . يتفق بشخصي لكي ترسله إلى المملكة المتحدة طالبة منها الموافقة على هذا الترشيح . لماذا ضرت مصر عرض الحائط بحسب التقاليد الدبلوماسية ؟ لماذا عجزت في إعلان هذا التعيين قبل أن تحصل على موافقة المملكة المتحدة بل حتى قبل أن تتقدم بطلبها للموافقة على هذا التعيين ؟ لا شك أن السادات كان منهيها لأن يتخلص مني في اقصر وقت ممكن .

لا شك أن هذه المهمة هي التي دفعتني إلى خرق قواعد الدبلوماسية الدولية ، ولكن هل تحقق ذلك ؟ لا . فقد سبب هذا الإعلان تسرع تعطيل كبير . فلم تحصل موافقة الحكومة البريطانية على تعييني سفيراً لديها إلا في أواخر أبريل أي بعد ما يقرب من أربعة شهور .

لقد ركر الصحافة في بريطانيا هجومهم علي ، وأخذوا يكيلون التهم ضدني بقصد تنويع اسمي ، وقاموا بتظيم حملة صحفية تطالب الحكومة لبريطانية برفض قبول تعييني سفيراً لديها . كما قاموا بتظيم المظاهرات العدائية التي كانت تنجم باستمرارنا في لندن احتجاجاً على هذا التعيين . كانوا يتهموني خيالياً أنني الفصح الذي قُتِلَ بقتل الأسرى الأسرى ثلثين أثناء حرب أكتوبر 73 ، وأحياناً أخرى كانوا يتهموني أنني لاشيئاً الفرقة وأني كنت على اتصال بحزب بريصلي صغير فاشستي ليول أثناء خدمتي كمدقق حربي في لندن 61 - 63 . والغريب حقاً أن الحكومة المصرية لم تقم بإصدار على هذه الحملة الصهيونية ، بل صممت صمتاً رهيباً وكان الأمر لا يعنيا . وفي ظل المعومات التي انتشرت لما ما بين 74 - 78 . فإني أميل إلى الاعتقاد الآن أن السادات كان يدرك هذه الحملة الصهيونية ، ويحاول أن يستفيد منها لكي يحطمني . إني لا أتصور مطلقاً كيف تقدم دولة بطلب تعيين شخص ما يشغل منصب سفيرها في بلد ما ، وتصف هذا السفير في طلبها بأنه يتمتع بالأخلاق الحميدة والنصافة لمادة . ثم تقف موقف اللامبالاة أمام حملات التجريح التي تشنها عناصر معادية ضد مرشحها ؟ ولكن وللأسف الشديد فإن وزارة الخارجية المصرية لم ترد على أي من هذه الحملات سوء على مستوى الحكومي أو على مستوى الرأي العام البريطاني .

وفي خلال شهر أبريل بدأت الصحافة المصرية تتحدث عن احتمال تعيين السيد حافظ اسماعيل سفيرا لمصر في لندن ، بعد أن انصح نكروز الحكومة البريطانية في إرسال موافقتها على تعييني . ولكن يبدو أن الحكومة البريطانية كانت قد حرمت امرها أخيرا - وبعد طول تردد - وأرسلت موافقتها على تعييني في أواخر شهر أبريل . وفي مقابلة عاجلة في وزارة الخارجية ، أبلغني السيد / اسماعيل فهمي وزير الخارجية بتلك الموقعة وحسب إلى الاسعداد لسفر في أقرب وقت .

السفر إلى لندن .

في يوم 13 مايو تحركت سرا أنا وزوجتي إلى مطار القاهرة حيث استقبل الطائرة المصرية المتجهة إلى لندن . كانت هيئة المحاربات العامة مصرية قد أخبرتني أن جماعة صهيونية متصرفة برئاسة حاحام متطرف يدعى كدهال قد اعترمت اعتيالي في لندن . وأن هذه المعلومات كذبتها أيضا المحاربات لبريطانية . وبـ على ذلك فإنه يجب ألا يعلن عن سفري ، بل ويجب ألا يقدم به قرنائي وأصدقائي في مصر أما بخصوص لندن فقد أخبرتني المحاربات أن الصحابة يستعدون لاستقبالي في مطار لندن بمظاهرة عدئية في حين أن مظلة العرب في شبكة المتحدة مصممون على أن يقوموا باستقبالي بمظاهرة نايدة ، وأنه سلافي وقوع أحداث شغب بين الطائفتين فإنه سيتم التنبه على القائم بالأعمال المصري في لندن أن يكون هو وحده في استقبالي وألا يخطر أحدا بقدمي

وفي مطار لندن وجدت في استقبالي جميع أعضاء السفارة المصرية ، واعتذر لي القائم بالأعمال بأنه لم يخطر أحدا من السادة السفراء العرب في لندن بالرغم من أنهم جميعا كانوا قد طلبوا إليه أن يحضرهم بميعاد حضوري ليكونوا في استقبالي ، وعلى ذلك بأنه كان يعد تعليقات القاهرة التي كانت تقضي بالأيح بميعاد وصولي لأحد . وفي المطار قترت مني أحد الأشخاص وعرفني نفسه بأنه مسدوب للصحف البريطانية وأنه يعطي الأحرار أي تتعق بسفر وحضور الشخصيات الهامة في مطار هيثرو . وسألني عن رأيي في الاتهامين اللذين كان أقطاب اليهود في بريطانيا يوجهانها إلي . كان الاتهام الأول هو أنني ما بين عامي 61 - 63 كنت على اتصال مع الحزب الوطني الاشتراكي

British National Socialist

Party وأنه من المعروف أن هذا الحزب كان ولا يزال معاديا للسامية . أما الاتهام الثاني فهو أنني أصدرت أوامري لضباط والجنود المصريين أن يحرقوا أكتوبر بقتل الأسرى اليهود . كانت هذه هي أول فرصة تتاح لي لكي أدافع فيها عن نفسي أمام الرأي العام البريطاني . فلم أترك الفرصة تفلت من يدي وتكلمت .

وقد نفيت وجود أي اتصال بين وبين الحرب الوطني الانتراكي وأوصحت أن إسرائيل وحلفاءها من البريطانيين ، رأوا في موضوع القرض على زعيم هذا الحزب عام 62 . فرصة ذهبية لتسوية حساباتهم مع من يعتبروهم خصوما لهم وللدولة الصهيونية لتوسيعه . وهكذا أشاعوا بأنني كنت على اتصال مع هذا الحزب وأنني كنت أقوم بتوجيه لكي يقوم بتنفيذ مخططة المعادي للسامية . ورغم الضجة التي أثبتت في ذلك الوقت في الصحف البريطانية حول هذا الموضوع . فإن السلطات البريطانية الرسمية التي قامت بتحقيق هذا الموضوع لم تجد أي دليل يثبت تلك الادعاءات . ولو ثبتت هذه الادعاءات . لطلبت السلطات البريطانية إيعادي فورا عن بريطانيا على أساس أنني شخصيه غير مرغوب بها *Persona non grata* وذلك طبقا للعرف الانديوماسي . ولكن لم يحدث شيء من هذا ، وبقيت أشغل منصبي كملحق حربي لمدة عام كامل بعد هذه الفجة الصحفية . أليس في ذلك دليل كاف على بطلان هذه الادعاءات ؟ ثم أضفت سائرا « كيف أكون معاديا للسامية *Anti Semetic* وأنا نفسي سامي الأصل . ألا تعلم أن العرب ساميون .. ؟ إنني لست ضد اليهود أو اليهودية ، ولكنني ضد الصهيونية »

وعن الاتهام الثاني أجبته بأنه اتهام بطل وظالم . إنه يتعارض مع معتقداتي الدينية ومع شرفي العسكري الذي يدفعني إلى احترام آدمية كل من يقاتل في سبيل عقيدته ووطنه حتى ولو كان عدوا لي . إننا نقتل أعداءنا في الميدان فإذا ألقوا السلاح واستسلموا فيهم يصبحون أمانة في عنقنا . وطالب بأن تكفى لجنة تحقيق دولية بحث هذا الموضوع ولكي نعلم للعلم أجمع بطلان هذه التهمة التي تحاول إسرائيل والصهيونية العابرة أن تلصقها باسمي

نشرت الصحف البريطانية يوم 14 مايو خبر وصولي إلى لندن ومعه ملحقا للحديث الذي أدليت به في المطار . ومنذ ذلك اليوم وحتى تاريخ انتهاء خدمتي كسفير في المملكة المتحدة ومغادرتي لـ لندن في 6 سبتمبر 75 لم تتوقف الصهيونية عن ملاحقتي بهدف الإيقاع بي أو تفتيق التهم ضدي

حياة الرفاهية التي اختارها السادات لي :

تقع السفارة المصرية في أرقى أحياء لندن ويتكون منزل السفير من قصر من ثلاث طوابق يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر وربعين حوائطه وأسقفه صور ورسومات رائعة . وقد قامت الحكومة المصرية منذ الثلاثينات بتأثيثه تأثيثا فاخرا يتناسب مع عراقته التاريخية . وبالرغم من عواصم الزمن التي ترتب عليها فقدان بعض الصور والتحف الفنية - سواء بالقتل أو التلف أو البيع - فإن المنزل كان لا يزل من أجمل البيوت وأكثرها بهاء . ويقوم على

خدمة السفير خمسة من الخدم وثلاث عربات بسائقهم . وتتولى الدولة دفع جميع المصاريف التي تتعلق بدار السكن من أجور وكهرباء ومياه وتليفونات وتأثيث وإصلاح الخ لم يكن للسفير من أوجه للإنفاق سوى المأكل والملبس واستهلاك النزين لواحدة من العربات الثلاث ، وكنت أتقاضى ماهية شهرية حوالي 1300 جنيه استرليني خالية من الضرائب . كانت هذه الماهية والامتيازات التي تصاحبها تضمن لي أن أعيش في مستوى يفوق كثيرا - بل وكثيرا جدا عن المستوى الذي كنت أعيش فيه وأنا أشغل منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، وهذا هو ما كان يريده السادات .

كان السادات يريد أن تفتني الحياة السهلة والمرحجة . طعام جيد وملابس فاخرة وحفلات وولائم مستمرة وأصواء وحياة اجتماعية مسلية . كان السادات يريد أن أصبح عبد وأسيرا هذه الحياة التي اختارها لي فأتمسك به وأتمسك بالاستمرار فيها مقابل الثمن الذي يريد أن يحصل عليه ، وهو أن أصمت . لم يكن السادات يطمح في أن أحمله بيرقيات التأييد والتهنئة على ما يقوم به من أعمال أسوة بالورراء وكبار موظفي الدولة ، لأنه كان يعلم جيدا أن هذا لا يمكن أن يحدث . إنه كان يطمح فقط في أن أصمت ولا أوجه إليه نقدا . ولكن هيات هيات . ان السادات كان يرى الناس من خلال نفسه . إنه يعتقد أنه يستطيع أن يشتري الناس جميعا بالمال والمناصب .

تقديم أوراق اعتمادى إلى الملكة :

في صباح يوم 31 مايو كنت أقف في -و السفارة الفحم أنتظر وصول الجنرال ميخائيل فيتزلان هوارد sir Michael Fitzalan Howard المسؤول عن السلك الدبلوماسي في بلاط الملكة . كان هذا هو اليوم المحدد لتقديم أوراق اعتمادي للملكة اليراييت الثانية . كنت ألبس ملابس التشريفة الكبرى (جاكته ذات الذيل ، البايون الأبيض والقبعة العالية) وكانت زوجتي وثمانية آخرون من أعضاء السفارة ينتظرون معي في البهو المرافق إلى قصر باكنجهم Buckingham Palace

وفي الوقت المحدد وصل الجنرال هوارد إلى السفارة وصعد إلى حيث كنت في انتظاره . وبعد أن تبادلنا التحية أخذ يستعيد معي جميع الإجراءات التي يجب علي أن أقوم بها قبل وأثناء وبعد مقابلة الملكة . ان بريطانيا بلاد ذات تقاليد وتعمل جاهدة على المحافظة على هذه التقاليد . كنت قد قابلت الجنرال هوارد قبل ذلك بأسبوع في مكتبه بالقصر حيث قام بتلقيبي بكل ما يجب علي أن أفعله منذ أن أعاد السفارة المصرية في طريقي إلى مقابلة الملكة وإلى أن تتم المقابلة الملكية وأعود مرة أخرى إلى السفارة . وها هو اليوم يتأكد للمرة الأخيرة من أنني على إلمام تام بجميع هذه الإجراءات .

وبينما كنت أضحك وأقول له بأني قد استوعت جميع الدروس التي أعطيتها نظر الجنرال إلى صديري الحلي من اليأس وقل لي مستغرباً «أين أوسمتك ؟ ولم أقل لك أنه في هذه المناسبة يجب أن تحمل الأوسمة ؟» وأنا أعلم أنك تحمل الكثير من الأوسمة أخبرته بأني لم أحضر أوسمتي معي من القاهرة ونبي كنت قد أرسلت في إحضارها بعد أن أخبرني بذلك منذ أسبوع ولكنها للأسف لم تصل في الوقت المناسب لم تكن ذلك هي الحقيقة . ولكن الحقيقة هي أنني خجلت أن أحمل أوسمة ليس من بيها وسام واحد عن أعظم عمل قمت به في حياتي وهو حرب أكتوبر 73 الهجيدة حقاً لقد كرمني سوريا ومخيتي نجمة الشرف - وهي أعلى وسام عسكري سوري - عن دوري في حرب أكتوبر ولكي خجلت أن أحمل هذا الوسام لسوري دون أن يكون غوره وساماً مصرياً عن نفس هذه المناسبة . كنت أشعر أنني لو فعلت ذلك لكان فيه إهانة لمصر أكثر مما فيه إهانة لي . إن العالم اجمع يعلم بسوري في حرب أكتوبر ، فإذا علم الناس أن بلدي لم تكرمي لهذا الدور الذي قمت به سوف يسيء ذلك إلى سمعة بلادي . ولكي كنت أعلم أن بلادي معلومة عن أمرها وإن اسادات وحده وليس مصر هو الذي وراء كل هذه الاعمال المشيدة (1).

وفي الوقت المحدد ركبت العربدة الملكية التي تجرها أربعة خيول وبجواربي الجنرال هوارد ومن خلفنا أربعة عربات أخرى يجر كل منها حصانان ويستقبلها أعضاء السفارة الثمانية الذين تم اختيارهم هذه المناسبة . ما روحتي فكانت تستقل عربة مكينة أخرى (سيارة) وتراقبها إحدى سيدات ابروتوكول وتتحرك من السفارة بعد خروجها ببعض الوقت لكي تصل إلى القصر بعد وصولي إليه بوقت قصير . وبينما كنت استقل العربة الملكية التي تقف أمام مبنى السفارة كان بضعة عشرات من الصابئة يقفون على مقربة من المبنى يحملون اللافتات واشعارات المعادية ويرددون بعض الشتات المعادية .

وتحرك الركب إلى قصر باكنجهام حيث تمت مراسم الاستقبال الخارجية ، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى حيث قابلت جلالة الملكة وقدمت لها أوراق اعتمادتي ثم قدمت لها زوجتي وأعضاء السفارة وقد استغرق كل ذلك بضع دقائق انسحب على إثرها أعضاء السفارة برفيق أنا وزوجتي بعد ذلك مع الملكة ما يقرب من نصف ساعة . وبعد انتهاء اللقاء عاد الركب إلى السفارة بنفس النظام الذي حضر به إلى القصر .

وهكذا فإن يوم 31 مايو 74 يعتبر بديهي حياتي في عالم الدبلوماسية وفصلاً حاداً من مراحل الصال من أجل عزة مصر وروع شأنها . ترى هل تتعجب طبيعة لحدي فتمرض نفسها على أن الرجل الدبلوماسي . أم أن طبيعة حياة الدبلوماسي وطروفه هي التي تفرض نفسها وتغير من أخلاقي الجندي . هذا ما سوف يراه في الفصول القادمة .

الفصل الثاني

الصراع بيني وبين الصهاينة

كما سبق أن قلت فإن الصراع بيني وبين الصيوبة لم يتوقف قط طوال مدة إقامتي في المملكة المتحدة وأنه قد يتبع ليشمل عدة مواضيع أخرى غير هذين الموضوعين اللذين أتروهما عند بدء تعيبي وهما موضوع قتل الأسرى الإسرائيليين وموضوع اتصالني السابقة مع الحرب الوضي الاشتراكي البريطاني ويدعون أنهم اقتنعوا بأنهم يتقصص لحجة بالنسبة لموضوع الثاني فركزوا هجومهم علي بالنسبة لموضوع الأول وهو قتل الأسرى . وقد ترعم هذا الهجوم المستر حريفيل حامر Mr Greville Janner وهو عضو في مجلس عموم البريطاني والمستر ماركوس شلويموفيتس Mr Marcus Shloimovitz أحد كبار اشجار اليهود في مانشستر .

وقد اعتمد الصهاينة في هجومهم علي علي ترجمة محرقة لكتيب كت قد ورعته علي الحدود قبل حرب أكتوبر وعنوانه هو «عقيدتنا الدينية هي طريقنا إلى النصر» وكانت بعض هذه لكتيب قد استولى عليها العدو من بعض الأسرى الذين سقطوا في أيديهم وقد قامت وزارة الإعلام الإسرائيلية بحملة صحفة ضد هذا الكتيب وترجمته إلى عدة لغات أجنبية ولكن لينهم قاموا بترجمته ترجمة أمية . لقد قاموا بترجمة بعض الصفحات دون الأخرى كما قاموا بتحرير خطير في ترجمة الأحرار التي بقوها حتى ظهر الكتيب في النهاية صورة ممسوحة ومحرقة نسيء إلى سمعتي بأعشاري صاحب هذا الكتيب ، كما نسيء إلى المصادر الرئيسية التي أخذت عنها وهي القرآن الكريم والإنجيل . لقد وصلني مئات الخطابات حول هذا الموضوع وكنت رد عليها جميعا . وانتقل الصراع أحيانا إلى صفحات الجرائد عندما قام البعض بنشر رسائلهم إلي وما وصلهم مني رد عليها . ويدعون أن لبعض منهم

قد اقتنع بوجهة نظري ، مثال ذلك المستر شلويموفيتس الذي نشر خطابي اليه في جريدة الجارديان بتاريخ 21 يونيو 74 وأعلن أنه بالرغم من أنه كان من المعارضين في تعييني سفيرا بالمملكة المتحدة إلا أنه يعتبر ردي مرضيا بالنسبة لهذا الموضوع .

أما النائب المحترم جريفيل جانر فإنه لم يقتنع بحجتي ونشر في جريدة الجارديان بتاريخ 25 يونيو 74 ترجمة لبعض الفقرات التي وردت في الكتيب السابق الإشارة اليه وفيه يقول «اقتنوهم حيث نفقتوهم ولا تأخذكم بهم شفقة ولا رحمة ، فقد قتلوا أباءنا ولم يدفعوا شهداءنا وتركوا جثثهم في المراء تنهشها الكلاب والوحوش الصارية . انتقموا لأنفسكم ولشهداءنا . يجب أن ندخل انحراب وشعارنا النصر أو الشهادة . فإذا كان هذا هو شعارنا فالنصر حليفنا بإذن الله ثم أضف ساخرا «ان هذ الكلام المتعالي وهذه التعليمات التبينة مهيورة بتوقيع الفريق سعد الدين الشاذلي» . ثم استمر بعد ذلك في تنقده وهجومه عني . وقد رددت عليه بخطاب طريل نشر في جريدة الجارديان بتاريخ 3 يوليو 74 جاء فيه ما يلي «نعم لقد أمرت جنودي بقتل عسوهم في الميدان . رجل صد رجل وسلاح ضد سلاح وهل كان السيد النائب المحترم يتظر مني أن أطلب اليهم أن يقابلوا عدوهم في الميدان بالإحضان والقبالات ؟ وعموما فستان بين هذه الأوامر التي أصدرتها وتلك الأوامر التي يصدرها القادة الإسرائيليون إلى طياريهم الذين يغربون كل يوم على جنوب لبنان حيث يدمرون المنازل ومعسكرات اللاجئين ويقتنون النساء والأطفال لعن من السلاح دون أن تتحرك ضمايرهم ودون أن يتأثر السيد النائب المحترم بهذه الفظائع التي يرتكبها هؤلاء الدين يدافع عنهم» .

محاولة فاشلة ولكنها لئذرة :

كان الصراع بيني وبين الصحابة حول موضوع قتل الأسرى وموضوع اتصالي بزعم الحزب الوطني الاشتراكي البريطاني ، يدور على صفحات الجرائد بعف ، ولكن نتائجه كانت في صالحني فقد كانت حججي قوية واقتنع الشعب البريطاني بأنني لم أصدر أي أوامر بقتل الأسرى وأن الادعاءات بأنني كنت أقوم بتمويل الحزب الوطني الاشتراكي هو اتهام باطل . وكان على الصحابة أن يبحثوا عن ثغرة يتعدون منها إلي حتى لو احتاج الأمر أن يلفقوا تهمة ضدي وجاءتهم الفرصة - أو باب ششا الدقة فنقول خلقتوا الفرصة بذلك - يوم 21 يونيو 74 .

في يوم 19 يونيو قبضت الشرطة البريطانية على سيدتين مصريتين في محلات ماركس ان سبنسر (وهو محل يملكه يهودي ويدخل ضمن المحلات المفروص على المصريين والعرب مقاطعتها) بتهمة الشل وقدمت السيدتان إلى المحكمة في صباح ابرم التالي محكم القاضي

بتفريم كل من السيدتين بمبلغ 300 جنيه استرليني وإخلاء سبيلهما . كانت إحدى السيدتين تحمل حوار سفر دبلوماسي وإن كان زوجها لم يكن دبلوماسياً . وكان جواز سفر الثانية يبين أن زوجها يعمل في وزارة السياحة . وفي صباح يوم 21 يونيو صدرت الصحف البريطانية تحمل الخبر وعنوانه «حرم وزير السياحة المصري وحرم أحد السفراء المصريين an egyptian ambassador» تم تفريم كل منهما أمس بمبلغ 300 جنيه استرليني لارتكابهما نيل بضائع قيمتها 74 جنيهاً وقد ذكرت الصحف أسماء السيدتين والقصة بالكامل في أماكن واضحة وظاهرة . وتدخلت السفارة المصرية بسرعة فأرسلت بياناً إلى الصحف تنفي فيه أي علاقة رواج أو قرابة بين وزير السياحة المصري أو أحد السفراء المصريين بأي من السيدتين المذكورتين وتم نشر هذا البيان في الصحف يوم 22 يونيو .

وقد كان من الممكن أن ينشئ هذا الحادث المؤسف عند هذا الحد ، لولا أن أصابع الصهيونية التي لا تنهدأ أردت أن تستغل هذا الحادث لتشويه سمعة مصر بصورة عامة وسمعة بصفة خاصة . ففي خلال سهار يوم 21 يونيو أخذت إحدى محطات الإذاعة البريطانية التجارية الصغيرة والتي يسيطر عليها اليهود في بريطانيا وهي محطة اتحاد إذاعة لندن (L.B.C London Broadcasting Corporation) (تذيع الخبر على منسمعيها كل ساعة ولمدة خمس مرات ومكها بدلا من أن تقول حرم أحد السفراء المصريين قالت حرم السفير المصري The wife of the egyptian ambassador ان كل ما قامت به الإذاعة هو استبدال كلمة أحد an بحرف التعريف الـ The . وبالرغم من أني لم تذكر اسمي وبالرغم من أنها ذكرت أن اسم الزوجة هو معاد وأن هذا هو ليس اسم زوجتي . إلا أن المستمع العادي لابد وأن يتصور ان إذاعة لندن عندما تقول حرم السفير المصري فلا بد أنها تقصد السفير المصري في لندن سواء ذكرت كلمة لندن أم لم تذكرها . كما وأن ملايين المصريين العرب والمصريين الذين يعرفونني لا يعرفون اسم زوجتي وبالتالي فقد يتصوروا خطأ أن اسمي هو معاد .

وقد اتصلت فوراً بأحد أعمامى وطلبت إليه أن يرفع دعوى ضد الإذاعة المذكورة . وكنت أعقد أنني قد استطعت أن أحسم الموقف ولا سيما بعد أن توقفت الإذاعة المذكورة عن ترديد الخبر بعد أن كانت قد رددته بصورة المخرفة لمدة خمس مرات . ولكن يبدو أنني في تصوري هذا لم أكن أقدر النموذج الصهيوني حتى قدره . ففي صباح اليوم التالي اتصل بي تيلينا سفيرة في إسبانيا وأبلغني ان الإذاعة والتليفزيون والصحافة هناك أدعت الخبر المخرف بل وأضافت كلمة لندن إلى صفة السفير فأصبح الخبر يذاع في إسبانيا عن أن السيدتان المذكورتان هما حرم وزير السياحة المصري وحرم السفير المصري في لندن . ثم توالى المعلومات علي من

أثينا «Athen» ، فيينا «Vienna» ، ومن بلاد أوروبية أخرى بأن الإذاعة والصحافة تقوم
بإذاعة الخبر بنفس تلك الصورة المخرفة . وبالرغم من قيام سفارتنا في تلك البلاد بإصدار
ليبنات التي تكذب هذا الخبر . إلا أن التشويه المقصود لسمعة كان قد وجد طريقه إلى
ملايين المستمعين والقراء في أوروبا .

وفي أثناء بحث القصة مع المحامي انضج أنني لا أستطيع أن أقاضي وسائل الإعلام
التي نشرت الخبر في البلاد الأجنبية إلا أمام محاكم تلك البلاد حتى ولو كانت لندن هي
مصدر هذا الخبر وأن الجهة الوحيدة التي يمكنني أن أقاضيه في لندن هي محطة الإذاعة
لبريطانية L.B.C . كتبت خطابين إلى القاهرة أحدهما إلى وزير الخارجية والآخر
إلى وزير السياحة وطالبت وزارة الخارجية أن تتولى هي رفع الدعوى حيث أن قضية التشهير
واضحة وأنا سوف نرفع القضية لا محالة ونقوم بفضح وسائل الإعلام التي تساعد
الصهيونية . كد من واحد وزارة الخارجية أن تتحمل مسؤوليتها في هذا الخلل فهي وحدها
التي تستطيع أن تجمع المعلومات وتتابع القضية بواسطة سفراتها في الخارج ولكنها وللأسف
الشديد لم ترغب في القيام بهذا الدور . ورد على خطابي الذي أرسلته إلى الوزارة بتاريخ
22 نوفمبر 74 حول هذا الموضوع والذي تضمن أربعة صفحات كاملة وصلني بريقة من
السيد اسماعيل وهي وزير الخارجية بتاريخ 10 ديسمبر وفيها يطلب الوزير مني أن أصرف
ال نظر عن هذا الموضوع لأنه قد يدفع وسائل الإعلام هذه إلى أن تقف صدى في القضايا
السياسية . ولو أن لدي الإمكانيات المادية لوقفت وحدي ضد تلك الوسائل الإعلامية الصهيونية
ولكن كيف السبيل إلى الذهاب إلى مدريد وأثينا وغيرها من البلاد متحملا مصاريف
السفر ومحاكم لحبما تقف وزارة الخارجية لمصريه موقف المتفرج وللامالة ؟

اكتفيت بالسير في إجراءات الدعوى ضد الإذاعة وأخذت الأمور تسير في مجراها
الطبيعي ولكن ببطء شديد إلى أن وقفت الإذاعة المذكورة أمام المحكمة يوم 18 يونيو 75
وأعلنت اعتذارها ودفعت لي تعويضا ماليا مقابل الأضرار التي ألحقها باسمي نتيجة إذاعتها
الخبر على النحو الذي أذاعته كما أسلفت . وهكذا انتصرت على الدعاية الصهيونية مرة أخرى
ولكنه م يكن انتصارا حاسما وشاملا لأنه كان قاصرا على بريطانيا فقط . أما الدعاية الصهيونية
في البلاد الأخرى فإنه بالرغم من أن اتهاماتها كانت أكثر تحديدا إلا أنها فلتت من محالي
وذلك نظرا لتحلي الحكومة المصرية عن الوقوف بحامي في هذا الصراع
الدعوة لقاطعة احتفال 6 أكتوبر :

عندما قرب شهر أكتوبر 74 أعلنت السفارة المصرية بأنها ستحتفل بمناسبة 6 أكتوبر
ووجهت الدعوة إلى ما يقرب من 1000 مدعو . وثار تائرة الصهاينة وكتبت جريدة الديلي

اكسبريس *Daily Express* تدعو إلى مقاطعة هذا الحفل لسببين : السبب الأول هو اعتبارها أن يوم 6 أكتوبر هو رمز للحرب والعنف وأن العالم المتحضر لا يجوز له أن يمجّد مثل هذه الأيام ، أما السبب الثاني فهو أن الفريق الشاذلي هو صاحب هذا اليوم وهو في نفس الوقت صاحب الدعوة للاحتفال بهذا اليوم . وقمت بالرد على هذه الحملة بخطاب مطول بعنوان «الذنب ينحى في حلد شاه» ونشره نفس الجريدة بتاريخ 5 أكتوبر ومع أن الجريدة قد أسقطت جزءا هاما من خطابي إليها كما أنه عبرت عن عوان المقال ليكون «نقطة تحول» فإن هذا لم يمنع من أن هذا الرد كان حاسما ضد كل الادعاءات التي أثبتت لمقاطعة هذا الحفل . وأنه من المثير حقا أن يقبل الناس على حضور هذا الحفل كان يعرف كل التوقعات ، ونجح الحفل نجاحا باهرا .

حفل تكريم قتل الحرب في هارو :

انطلق أهالي مقاطعة هارو Harrow في إنجلترا على إقامة نصب تذكاري لقتلهم في الحرب العالمية الثانية ، على أن يقدم هذا النصب التذكاري على قطعة حجر مصرية من منظمة العلمين في صحرائنا العربية حيث سقط الكثير من الجنود البريطانيين . وقد تحدد يوم 27 أكتوبر 74 للاحتفال بإراحة أرواح من حارب العلمين الذي أهدته الحكومة المصرية لأهالي هارو . وقام عمدة هارو بدعوتي لكي أكون صيف اشرف في هذا الاحتفال . وثار ثائرة للصهاينة في بريطانيا وأخذوا يصعقون على عمدة هارو لكي يسحب دعوته ويمنعه صعدا ، ثم ضغطوهم وأصر على أن الدعوة قائمة وأنه لن يقوم بسحبها . وهذا حول الصهاينة مدافعهم نحوي فأخذوا يهددونني في محادثات تليقوية وفي خطابات بدون توقيع بأنهم سوف يعتالوني إذا ذهبت إلى هذا الاحتفال ولكن ذلك لم يردني إلا إصرارا على الحضور وأعلنت ذلك على الملأ لكي يعرفوا أنهم من يحميوني بهذه التهديدات وهذا أعلى زعماء اليهود في هارو بأنهم سيقاطعون الاحتفال . وطالوا نصارهم بمقاطعته وفي اليوم المحدد حشرت الاحتفال الذي تخلف عنه إنسان من زعماء اليهود في هارو ، ولكن هذا التحالف لم يؤثر مطلقا في سير الاحتفال ونجاحه . لقد خرجت من هذه المعركة بأصدقاء جدد في هارو ، أما الأعداء فلم يرد عددهم وإن كان قد تم تحديدهم وحصرهم وهذا في حد ذاته يعتبر ربحا كبيرا لأن من لا يعرف عدوه فإنه بائس من يستطيع أن يحده ولن ينتصر عليه .

الوجه العربي القبيح :

تحاول الصهيونية أن تصور الوجه العربي على أنه وجه قبيح غير متحضر يسفك الدماء ويقتل الأبرياء . وإذا أعورنا الدليل على ذلك فإنها لا تتورع أن تخلق بعض الأحداث

وتشوه بعض الأحداث لكي تقنع القراء والمستمعين عما تريد هم أن يفهموه وأن يقنعوا به .
 ففي يوم 6 يناير 75 اختطف أحد اشخاص طائرة من صائرات شركة الخطوط الجوية البريطانية
 بينما كانت في إحدى رحلاتها الداخلية في بريطانيا . وعندما هبطت الطائرة محتظفها في
 مطار لندن كانت معلومات عن هوية خاطف الطائرة وأهدافه لا زالت شحيحة ولكن محتظف
 الطائرة سرعان ما استسلم إلى الشرطة البريطانية واستأنفت الطائرة رحلاتها في نفس اليوم .
 وقد حرصت الشرطة البريطانية تضاق من السرية على التحقيقات التي كادت تجريها مع محتظف
 الطائرة لمدة 48 ساعة ، قبل أن تعلن نتيجة التحقيق التي أظهرت أن محتظف لطائرة كان
 بريطاني الجنسية ، وأنه كان يحمل مسلحاً من مسدسات لعب الأطفال التي تشبه اسلحات
 الحقيقية .

وفي خلال اليومين التي سبقت إعلان تحقيق الشرطة البريطانية كانت معلوماتنا عن
 هذا الحادث تعتمد على ما تنشره وسائل الإعلام المختلفة . وكانت معظم هذه الوسائل تشير
 بطرف نحي أن محتظف الطائرة هو شاب عربي . وقد ذهبت إحدى الجرائد إلى أكثر من
 ذلك فذات أنه كان يلبس الملابس العربية . ورغم سخافة هذا الادعاء - حيث أن محتظف
 الطائرة إذا كان عربياً فإنه لن يحاول أن يلبس اليه الألبار يرتداء العباءة والعقال - فقد
 سكتنا على مضض أمام هذه الادعاءات الظالمة انتظاراً لما يسفر عنه التحقيق . وبعد أن أعلنت
 الشرطة نتيجة تحقيقاتها سارعت بإرسال خطاب إلى رئيس تحرير جريدة التايمز Times
 انتقد فيه تحمل وسائل لإعلام لبريعدنية ضد العرب . وما أن نشر الخطاب في جريدة
 التايمز بتاريخ 10 يناير 75 حتى انتهت عبي الخطابات التي تؤكد أن العرب هم الذين
 يحتظفون الطائرات ، وأن هذه الحالة الدرة التي كان فيها محتظف الطائرة بريطاني الجنسية
 هي التي أوقعت لإعلام البريطاني في هذا الخطأ ، وهو خطأ مقبول لأن الحالات الدرة
 لا يمكن أن تكون أساساً لتقدير عند بحث لاحتتمالات . وكان يتزعّم هذه الحملة في الجرائد
 المستر سكوت فوربس Mr Scott Forbes الذي كتب مقبلاً في التايمز بتاريخ 16 يناير
 يقول فيه أن العالم قد أصبح الآن يربط بالغيرة بين العرب وبين كل حادث اختطاف طائرة .

وكان لابد أن أراجع إحصائيات حوادث اختطاف الطائرات لكي أزد على هذا الهجوم .
 إن الأرقام لا تخفي وهي كقيلة بأن تكشف جميع الحقائق دون ما حاجة إلى لصراح .
 وقد ثبت لي من الدراسة أن حوادث اختطاف الطائرات منذ عام 1969 وحتى نهاية عام
 1974 بلغ 80 حالة وكان توزيعها كما يلي : أمريكا 46 ، العرب 15 ، التشيك 4 ،
 بوسنيون 3 ، أترك 2 ، كنديون 1 ، كروايتون 1 ، أريتريون 1 ، فليبيون 1 ،
 فرنسيون 1 ، يابانيون 1 ، كشميريون 1 ، كوريون 1 ، ليتوانيون 1 ، فيتناميون 1 . وحب

أن أعداد سكان العالم العربي في ذلك الوقت كان يعادل حواري ثلثي أعداد الولايات المتحدة الأمريكية ، فيه من الواضح أن عدد حوادث الاختطاف بالنسبة لتعداد السكان يكون في العالم العربي نصف ما هو عليه في أمريكا . وقد تم نشر هذا لمحت وتعليقي عليه في جريدة التايمز بتاريخ 31 يناير 75 وقد كان هذا المقل هو القول الفصل في هذا الموضوع ، وعلى أثره وصلني عدة خطابات تأييد من كثير من الفراء البريطانيين .

الإسرائيليون يدمرون القنيطرة :

في 31 مايو 74 وقع في حيف كل من سوريا وإسرائيل على اتفاقية انفصل بين القوات . وموجب هذه الاتفاقية كان على إسرائيل أن تسحب من آخر من مرتفعات الحولان بما في ذلك مدينة القنيطرة بـ 19 يونيو التالي (19 يوم بعد التوقيع على الاتفاق) . وبينما كانت المفاوضات جارية بين الطرفين بواسطة الدكتور كيسنجر خلال شهر مايو 74 قامت شركة التليفزيون البريطانية إي . بي . ان بإرسال بعثة تليفزيونية إلى إسرائيل . وقامت هذه البعثة بعمل تحقيق كامل من مشكلة الحولان وصاحبة مدينة القنيطرة والتقطت لها فيلما وثائقيا . وتم عرض هذا الفيلم في بريطانيا قبل التوقيع على اتفاقية فصل القوات بعدة أيام فقط . وعندما دخل السوريون مدينة القنيطرة يوم 20 يونيو اتضح لهم أن الإسرائيليين قد قاموا بتدمير المدينة تدميرا شاملا . لم يكن هناك منزلا واحدا أو حتى غرفة واحدة من منزل لم تمتد إليه يد التدمير والهب . لقد كان مظهر المدينة رهيبا ويتم عن مدى الهزيمة التي يتصف بها إسرائيل . قامت سوريا برفع صوتها بالشكوى للهيئات الدولية ولكن إسرائيل كعدنها دائما نفت أن تكون قد قامت بتدمير منازل عديدة عن عمد ، وادعت أن منازل لمدينة قد دمر أثناء القتال إبان حرب 67 وحرب 73

وهنا قررت سوريا أن تنتج فيلما وثائقيا عن القنيطرة لكي تؤكد للهيئات الدولية والإعلام العالمي أن تدمير مدينة القنيطرة قد تم بالفعل فاعل وليس كعمل من الأعمال الحربية ، وكلفت أحد الرجال الأمريكيين وهو المستر نيتو هوارد Mc Tito Howard بإخراج هذا الفيلم . وحيث أن شركة التليفزيون البريطانية إي . بي . ان قد درجت على أن تبث أفلامها الوثائقية لمن يرغب في شرائها بعد أن تكون هذه الأفلام قد استغذت أغراضها ، فقد تقدم المستر هوارد بطلب شراء فيلم القنيطرة وحصل عليه بعد أن دفع الثمن المحدد ، وبذلك أصبح تحت يده وثيقة قوية تبين حالة القنيطرة قبل 3 - 4 أسابيع من إخلائها بواسطة إسرائيل . كانت المقارنة بين فيلم القنيطرة الذي صورته شركة التليفزيون البريطانية إي . بي . ان قبل انسحاب الإسرائيليين منه والفيلم الذي صورته المستر هوارد عن نفس المدينة بعد انسحاب

الإسرائيليين منها بين بوضوح مدى التدمير المتعمد الذي مارسته إسرائيل قبل أن تسحب من المدينة .

وللدعاية عن الفيلم وحده المستر هوارد اندعوة إلى رجال الإعلام لحضور حفل عرض حصل لهذا الفيلم في قاعة عرض The Sapphire Preview Theatre في الساعة الحادية عشر من صباح يوم الإثنين 27 يناير 75 . لقد انصح لأصدقاء إسرائيل في بريطانيا أن عرض هذا الفيلم بهذه الصورة سوف يثبت للرأي العام البريطاني أن إسرائيل قد قامت فعلا بتدمير القنيطرة عمداً قبل أن تسحب منها ، ومن هنا وجهوا اعتراضهم إلى الشكل دون الجوهر . لقد ركزوا اعتراضهم على أن شركة إي . بي . إن . عندما تباع أعلامها الوثائقية فإنها تباعها للاستخدام الخاص وليس للاستخدام العام وبالتالي فإن المستر هوارد لا يجوز له أن يعرض الفيلم الذي شتره من إي . بي . إن . في عرض عام وقد قدموا أشكالا قانونيا بذلك وتمكنوا من استصدار قرار عاجل من المحكمة بوقف عرض الفيلم إلى أن يتم اتخاذ قرار نهائي بواسطة المحكمة

وفي صباح يوم الإثنين ذهبت مع السفير السوري لحضور العرض الخاص لفيلم القنيطرة حيث شاهدنا القسم الذي تم تصويره بعد انسحاب إسرائيل ، واستمع المحاضرون إلى اعتذار المستر هوارد عن الأسباب التي سببت عرض الجزء الآخر من الفيلم ولأن الموضوع قد أصبح بأكمه فتم القضاء البريطاني . وبعد عرض الفيلم فتح باب المناقشة فقدم أحد الصحفيين اليهود وردد أقوال إسرائيل بأن هذا التدمير قد حدث أثناء القتال الأعوام 67 ، 73 ولكني وقعت بعد ذلك وقلت إن أي حدي محترف أو أي خير في المرفعات يستطيع أن يؤكد من هذه الصور أن هذا التدمير هو نتيجة أعمال نفس مدبرة وأنه قطعاً ليس نتيجة أي قصص بواسطة الطيران أو المدفعية . وأصغيت إلى ذلك قائلاً «لقد سبق لي أن شاهدت الفيلم الذي صور مدينة القنيطرة قبل انسحاب إسرائيل منها ومع ذلك فإني لا أطلب منكم أن تصدقوني بمجرد القول بأن الفرق بين الفيلمين يثبت إدانة إسرائيل . بي على يقين بأن أي لجنة فيه دولية يمكنها أن تؤكد من الصور التي شاهدناها اليوم أن هذا التدمير هو عملية نفس وتدمير متعمدة وليست عملاً من أعمال المدفعية أو الطيران . وبعد مناقشات مطولة انصرفنا لكي نتابع سير هذه القضية في المحاكم البريطانية . وبعد سلسلة من الجلسات حضرت عدداً كبيراً منها أناحت المحكمة عرض الفيلم . ولكن وبعد كل هذا العناء لم تقبل أي صالة عرض سينمائية أن تعرض هذا الفيلم في دارها . وكان النجاح الوحيد الذي تحقق في هذا المجال هو عرض الفيلم في أحد قاعات مجلس العموم يوم 10 فبراير وحضره عدد من أعضاء المجلس الذين يهتمون بقضايا الشرق الأوسط بالإضافة إلى عدد كبير من أصدقاء العرب في بريطانيا

بينما كنت أهم بالانصراف من قاعة العرض احصاى لفيلم القبطرة يوم 27 يناير ،
 اقترب مني أحد الأشخاص وقدم نفسه على أنه مندوب محله حويش كرونيكل في لندن
The Jewish Chronicle وطلب أن يجري معي حديثا فقلت له بكل سرور ولكن
 بشرط واحد فسألني وما هو هذا الشرط فقلت له أن بشر كل ما أقوله دون أن يضاف إليه
 كلمة واحدة أو ينقص منه كلمة واحدة . فأجاب بعم وقا : إنه يريد أن يبدأ فوراً . فقلت
 له يجب أولاً أن يوقع عقد بهذا الاتفاق وعنده أن يحضر إلى السفارة حيث يتم كتابة العقد
 ثم تسجيل الحديث بصوتي ونخط يدي حتى نضمن عدم إجراء أي تحريف في الحديث
 وهنا ظهرت عليه علامات التردد ولكنه لم يرغب أن يتراجع أمام من كانوا يستمعون إلى
 هذا الحديث فوعد بالالتصال في صباح اليوم التالي ، ولكنه لم يفعل ذلك أبداً ولم يتصل في
 مطلقاً وفي أحد الأيام كنت أقص هذه القصة على أحد الصحفيين البريطانيين فقال صاحبه
 «هل تريد يا جنرال أن تصح ما يوتيرا نتيجة التعويض الضخم الذي تأخذه من محلة إذ
 ما أجرت تعبيراً في حديثك ، أم يريد أن تتحدث هذه المحلة الصهيونية متيراً لها حمة الصهيونية ؟»
 فقلت له : إنني أترك لهم حق الخيار فأني الحلين يرضيني

الفصل الثالث

الصراع بيني وبين النظام المصري

بينما كنت أنصارع مع الصهيونية واحول أن كنت اصدفه حددت بقصبة لعرية .
كنت أشعر أن حكومة ملادي تدير بالقصبة لعرية في الأخوة الحصى . وإن هذا الطريق
الذي يسلكه السادات لابد وأنه سوف يجر مصر ولبنان العربية إلى كارثة محققة . كنت
في موقف صعب للغاية . كنت لمثل رسمي لنظام السادات وتوجب هذا المشب كان
على أن أدفع عن سياسة هذا النظام وأبزر تصرفاته . في حين أن هذه تصرفات كانت
تعارض مع أفكاري وما كنت أعقد أنه في مصلحة مصر ومصلحة الأمة العربية . وكان
علي أن أحد خلافا للنقص العجيب . وقد ستقراري في النهاية على أن تقتصر حديثي
في وسائل الإعلام البريطانية على شرح وتوضيح وجهة نظري لعرية لأصيبة حتى لا يعرض
ذلك مع سياسة السادات ولكن بدون الشهير أو لتبديد به . أما بالنسبة لحديثي مع العرب
فكنت أكثر صراحة في توجيه النقد إلى السادات وجماعه

حديث مع سليم اللوزي في لندن :

في مساء يوم الإثنين 10 يونيو 1974 التقيت مع الأستاذ سليم اللوزي في فندق هابسونك
Hyde Park Hotel في لندن خلال حفل استقبال كان السفير السعودي قد أقامه احتفالا
بحضور الأمير فهد بن عبد العزيز في لندن . عانيت لأستاذ اللوزي رئيس تحرير مجلة
الحوادث اللبنانية على ما نشره في مجلة الحوادث قبل ذلك بحوالي ستة أسابيع حول حرب
الكتور وقلت له أنه لم يتوحي الدقة ولم يحدون أن يبحث عن الحقيقة من جميع مصادر .
فقل لي أن ما نشره هو جزء مما قاله السادات عني وليس كله . وأنه اشتق أن يكتب كل

ما قاله السادات عني حتى لا يساهم في تلويث سمعة بطل العرب وليس بطل مصر وحدها
وقال لي أنه يحتفظ بالتسجيلات الصوتية لكل ما قاله السادات قلت له إنني أكتفي اليوم
بأن أقول لك بأن كل ما قاله السادات عني وعن نفسه هو كذب وافتراء ، وسوف يخبرني
ليوم الذي أستطيع فيه أن أحكي قصة حرب أكتوبر كاملة . فرد علي قائلا بأنه سوف يكون
سعد حسام إذا ما نشرت مذكراتي وأنه سوف يكون أول من يقوم بتصحيح ونقد ما قاله
السادات . قلت له ضاحكاً «قد تأتي الفرصة بعد عام ونصف أي بعد أن تنتهي مدة رئاسة
السادات ويصبح مواطن عادياً» فرد ساخراً «وهل تتصور أنه من يحدد رئاسته في أكتوبر 76
فقلت له «ألم يعن هو ذلك مرر وتكراراً؟ ألم يقسم على ذلك أمام الشعب وأمام المؤسسات
الدستورية؟» فرد الصبحي المجرب على السفير الجدي الذي يؤمن بالمش العليا وقال «إذا كنت
تأمل في ذلك فإنت سوف تنتظر طويلاً قبل أن ترى السادات خارج السلطة إنه يستطيع
أن يدفع بعض الأعضاء من مجلس الشعب ومن الاتحاد الاشتراكي للمطالبة بإعادة ترشيحه .
ويستطيع أن يحشد المظاهرات التي تهتف وتطالب بإبقائه رئيساً مدة ثانية ثم يعلن هو بعد
ذلك موافقته نزولاً على رغبة الجماهير» .

لقد مضى الآن ست سنوات على حديثي هذا مع الأستاذ البوري وقد تحقق جزء منه
ولم يتحقق الجزء الآخر . لقد تحقق ما تنبأ به سيم البوري من أن السادات سوف يحدد رئاسته
عام 76 بعد أن تنبع نفس الأسلوب الذي تصوره للبوري . بل وأكثر من ذلك فقد قدم
السادات بتعديل الدستور عام 79 بحيث يضمن لنفسه انقضاء رئيساً مدى الحياة . ولكن
في نفس الوقت فإن سيم البوري لم يغفل عما وعد به . لقد بدأت في نشر مذكراتي عن حرب
أكتوبر عندما من 8 ديسمبر 78 وحتى 31 أغسطس 79 وأصبحت الحقائق معروفة على
مستوى الجماهير العربية ومع ذلك فقد استمر الأستاذ سيم البوري رئيس تحرير مجلة لحدوث
في ترديد نفس الأكاذيب والادعاءات الباطلة التي يدعيها السادات دون أن يشير من قريب
أو بعيد إلى رأي الفريق سعد الدين الشاذلي في هذه المواضع .

في مصر للأستاذ سيم البوري نشره في مجلة لحدوث في العدد 1185 بتاريخ 20 يوليو
(تموز) 1979 وادعى به أنه حديث أجراه مع شخصية عسكرية مصرية سأل صاحبه في
براءة «إدع ما يقوله الفريق سعد الدين الشاذلي من أنه كان يجب سحب الجيشين الثاني والثالث
من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية لمواجهة القوة اليهودية العابرة هو قول سليم» فيرد عليه
صاحبه قائلاً «نظرياً سليم» . وواصل من هذا الحوار أن سليم البوري كان يريد أن يؤكد
ادعاءات السادات الكاذبة بأنني أوصيت بسحب قوات الجيش الثاني والثالث من شرق
القناة . وهذه تهمة نقيضها في مذكراتي نفياً باتاً . لقد كان سليم البوري شأنه شأن أي صحفي

تأخير بيع الكلام لم يدفع كثير يجب أن نعرف جيدا أن الإعلام سلاح خطير ، وأن هذا السلاح الخطير يجب ألا يترك في أيدي التجار والأغبياء أو الباحثين عن الثروة (2)

حديث مع الطلبة العرب في لندن :

يتوافد على أوروبا وأمريكا كل عام عدة آلاف من الشبان العرب ممن أتموا دراساتهم الجامعية في الجامعات العربية ، وذلك بهدف إجراء الدراسات العليا والتخصص في العلوم والفنون الرفيعة التي قد لا يتاح لهم إمكانية إتمامها في البلاد العربية . وفي خلال السنوات التي يقضيها هؤلاء الدارسون هناك فإنهم عادة ما يتأثرون بالنظم السياسية والاجتماعية السائدة في تلك البلاد . وعندما يعود هؤلاء إلى بلادهم فإنهم يشتركون ويقودون الصراع الفكري والثقافي ويلعبون دورا هاما في اختيار المسار الذي يحدد مستقبل تلك البلاد . وقد انتهت الأنظمة العربية إلى أهمية ومدى التأثير الذي يمكن أن تحدثه تلك الفئة في مستقبل البلاد العربية . فأولت رعاية سياسية خاصة تهدف إلى حمايتها من التأثير بالأفكار السياسية التي تتعرض مع تلك الأنظمة وتتعلم لأنظمة عربية دورا هاما في انتخاب الأشخاص الذين يسمح لهم بدراسة في الخارج وشحن الدولة الأحسية التي يدرسون فيها وذلك كحد أدنى لضمان سير معوث في مصر لحظ سياسي خطاه . ثم بعد ذلك نصعه تحت رقابة أجهزة الأمن لتفحصه في نكي تفحص عدم معرفته من الطريق الذي رسمته له ، ونتيجة لهذه السياسة فإن لصحة العرب في الخارج هم في حقيقة اثنين للأنظمة التي تقوم بانتدابهم ولإتفاق عليهم ومراقبتهم . وبالتالي فإنهم يؤيدون هذه الأنظمة ويؤيدون سياساتها الخارجية والداخلية تأييد مطلق . وقد كانت هذه الدولة تقدمية من جميع طوائفها سياسيا ، وأن كانت الدولة محافظة من جميع طوائفها لئلا يفسد المحافظين . إذا كانت الدولة تعادي أمريكا وتتعاون مع الاتحاد السوفيتي فإنها تحسن من كونه من نرى . فإن تغيرت سياسة الدولة في نحو حركة فإنها يتغير اتجاههم .

الأنظمة العربية تحت وطء منعت شأنه عن معوث في الخارج . أي هي التي تحذرهم وهي التي تفتش عليهم وتحللهم في مناسبتهم . معجب يدعو ماي ومعجب حوار معر سعوت تعني أنه يدعو ، تحت وطء منعت من معوث من الدول العربية ليس لأي منها حد سياسي ، بل لا عليه شراء سياسي حب . يقوم به . وعندما تجري الانتخابات لأحد ليس وعقد ، تحدث أحداث حرب في إحدى البلاد لأحبة . فإن هذه الانتخابات - حد شك في معجب حي . فإن لأشبه حرب عتصه ، وعدم كفي يقام بين معوثيه جميع خصومات في نكته من محسوب من كذا عدد محاسب من لأحداث . ويشمل ذلك

مصاريف الدعاية والانتقل من مقر إقامتهم إلى مكان الانتخاب وإقامتهم في الفنادق قرة
الانتخاب الخ . وفي ظل هذه القواعد المرعية وصلت إلى لندن عام 1974 لاستلم مهام
مصري كسفير لمصريين بربطانيا حيث كان الطلبة العرب بها يقدرون بعدة آلاف وكانت
غالييتهم العظمى من المصريين والعراقيين .

في يوم 5 أغسطس 74 رارني بالسمارة وفد من الطلبة العرب في المملكة المتحدة ووجه
إلى الدعوة لحضور حفل يرمعون إقامته في لندن لتكريمي على الدور الذي قمت به إبان حرب
أكتوبر المحيدة ويلتمسون مني الموافقة على إلقاء كلمة بهذه المناسبة ، فقبلت الدعوة وتحدد
يوم 12 أغسطس لإقامة هذا الاحتفال في النادي المصري الكائن في المبني رقم 4 سنتر ببلد
جاردنز . وفي الميعاد المحدد وصلت إلى المكان حيث كان غاصا بالطلبة من جميع الأقطار
العربية . وبعد أن ألقى الدكتور وميض بطمي رئيس الاتحاد (عراقي الجنسية) كلمة الترحيب
والتكريم المعتادة في مثل هذه الظروف قدم إلي باسم الاتحاد هدية رمزية هي عذرة عن
حافظه أوراق ، ثم طلب مني الكلمة . ألقىت كلمة مرتحلة قصيرة لكي أوفر أطول وقت
ممكناً للأسئلة والمناقشات ، لأنني أؤمن بأن نقاش الحر الصريح هو أفضل الوسائل لحلق
الثقة بين السائل والمجيب .

كان الحاضرون يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية في العالم العربي فهم المصريون
ومهم العشيون ومنهم الماركسيون ومنهم الليبراليون ومنهم الإخوان المسلمين ومنهم المستقلون
كانوا شريحة من المثقفين العرب الذين يمثلون جميع التيارات التي تهب على العالم العربي .
وكانت كل مجموعة تحارب أن تتصيد أخطاء المجموعات الأخرى . قد لا يكون هناك
ديمقراطية داخل كل مجموعة حيث يترجم أفراد كل مجموعة برأي الطم الذي يمثلونه .
ولكنهم في مجموعهم يشكلون برنامجاً ناقش فيه لمشاكل العربية بحرية نامة وتوجه فيه لاتهامات
بعنف وقوة إلى الآراء والاتجاهات المصادة . لقد بصحني بعض الأصدقاء بالألا أحضر هذا
اللقاء . لقد قاتر لي أن اسمير إماما يلترم برأي بلاده ولكن سوف يحضر هذا اللقاء الكثير
من الدارسين الذين يعرضون سياسة لسادات وأنهم سوف يوجهون لي أسئلة محرجة في
هذا المجال . ولكنني رفضت الأخذ بهذه النصيحة .

م أكن اعتبر نفسي سميراً نقدياً . لقد كان خلي اتحاد حرب أكتوبر وم أكن في
حاجة إلى أن أشتري رضاء السادات بأن أصهر تأييدي له في جميع الأحوال . خطأ أو صواب .
لقد كان شعاري هو أن أؤيده أن كان على حق وأن أنتقد إن كان على خطأ . لقد كنت
أرى في هؤلاء لطلبة قادة الأمة العربية في اثنايات والسبعيات . وكنت أريد أن أعطيهم

درسا في الشجاعة الأدبية وضرورة الوقوف موقف المعارضة الحرة ضد أي رأي لا يقتضون بصحته ، حتى لو كان هذا الرأي هو الرأي الرسمي لدولهم .

كان حديثي مع الطلبة العرب صريحا للغاية . أجبته على الكثير من أسئلتهم عن حرب أكتوبر ولكنني اعتذرت عن إجابة بعضا من هذه الأسئلة على اعتبار أن ميعاد ذاعتها لم يحن بعد . ولكن كانت الإجابات التي قلنها تعني بوضوح أن لتصاريح والأحداث التي أدلى بها السادات كانت مليئة بالكذب المتعمد . أخبرتهم بأن في مصر تدرا قويا - دون أن أذكر أن السادات على رأس هذا التيار - ينادي بعزلة مصر عن العالم العربي وخروجها من المعركة ، اعتمادا على أن مصر قد تحملت الجزء الأكبر من تكاليف الحرب مع إسرائيل ، وأن الدول العربية لم تتحمل نصيبها العادل في تلك المعارك . وقد خذرتهم بأنه لا مستقبل للبلاد العربية بدون مصر ولا مستقبل لمصر بدون العالم العربي وأن هذه الحقيقة نعلمها الأمر نالية والصيوية وأنهم يعملون سويا بالتعاون مع بعض المصريين في عزل مصر عن العالم العربي . وقد طلبت إليهم أن يضغطوا على حكومات بلادهم لكي تقدم العون الاقتصادي إلى مصر حرصا على إبقاء مصر في المعركة . وعندما تعرضت إلى موضوع متويع مضاد السلاح الذي كان السادات قد أعلنه كشعار ، شرحت لهم استراتيجية الدول العظمى في منطقة الشرق الأوسط . وكيف أن أمريكا ترمي بكل ثقلها خلف إسرائيل وتمدها بأسلحة متطورة تضمن بأن تمتد بها حلفاءها في حلف شمال الأطلسي . وأن أمريكا والدول الغربية لن تقوم بإمداد مصر أو أي دولة عربية بسلاح متطور يشك من ناحيته الكم والكيف أي خطورة على إسرائيل . وأن الاتحاد السوفيتي هو الدولة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تمتد مصر والعالم العربي بالسلاح بالحجم والكيف الذي يمكنهم من استرداد أراضيهم . وقلت أن السوفيت قد أمدوا الدول العربية خلال العشر سنوات الماضية بحوالي 5000 دبابة ، 1000 طائرة وأن أمريكا والدول الغربية لا يمكن أن تحل محل الاتحاد السوفيتي كمورد سلاح للدول العربية إلى الحد الذي يمكنهم من استرداد أراضيهم .

وعن استراتيجيةنا خلال الحرب قلت لهم ما سبق لي أن قلته لوفد كلية الدفاع الوطني الكندي يوم 29 مايو 73 ، أثناء زيارته لمصر . هناك نقطتي ضعف خطيرتين لدى إسرائيل . النقطة الأولى هي عدم قدرتها على تحمل الخسائر في الأرواح . والنقطة الثانية هي عدم قدرتها على تحمل حرب طويلة . إن إسرائيل عندما تعلن التعبئة العامة فإنها تستدعي حوالي 20٪ من تعداد سكانها اليهود للخدمة في قواتها المسلحة . ونتيجة لذلك فإن إنتاجها الزراعي والصناعي يكاد يتوقف توقفا تاما خلال فترة التعبئة . وكلما طالبت الحرب كلما انهارت إسرائيل من الداخل لذلك فإن طبيعة الحرب التي تناسب إسرائيل هي الحرب البرقية

Blitz Krieg . وللدرد على ذلك فإن استراتيجيتنا يجب أن تعتمد على إطالة مدة الحرب ، والعمل على إجبار العدو على تحمل أكبر خسارة ممكنة في الأرواح ، حتى لو كان ذلك على حساب السرعة في استرداد الأرض المحتلة أثناء سير القتال . ولو أننا حافظنا على هذه الاستراتيجية لما تطورت الحرب إلى الصورة التي تطورت عليها ، ولجشت إسرائيل على ركبتها خلال حرب أكتوبر .

وعن الثغرة قلت أنه كان من الممكن ألا تحدث مطلقا ، فقد حدثت نتيجة ارتكاب بعض الأخطاء . ومع ذلك فإنه كان من الممكن انقضاء على هذه الثغرة فور وقوعها ولكن أخطاء أخرى ارتكبت وترتب عليها عدم القضاء على هذه الثغرة ، واستمرت الأخطاء تتوالى بعد ذلك . وكان لخطأ الأكبر في كل ذلك هو محاولة القيادة المصرية التقييل من أهمية الثغرة

لقد كان هذا النقاء في مجمله نقدا موضوعا وعلميا لسياسة السادات الخارجية والداخلية دون أن أذكر السادات بالاسم وقد تنقعت لعناصر المعارضة للسادات ما قلته ، وصدرت صحيفة السمر في بيروت يوم 22 أغسطس بعنوانين ضخمة ومشيرة مثال ذلك «الشاذلي يتفقد السادات ويتهمه بكذبة وكذا» . ثم أكن أنا على علم بوجود مدووب لأي صحيفة بين الحاضرين وبالتالي فإني لم أعرف ولم أهتم أن أعرف بما نشرته هذه الصحف البيروتية إلى أن اتصلت بي ودررة الخارجية المصرية يوم 23 أغسطس تستفسر عما ورد في هذه الصحيفة فأجبته في نفس اليوم عن ما استفسرت عنه قل أن أقوم بإحارتي السوية التي كنت تبدأ اعتدرا من يوم الإثنين 26 أغسطس وتمتد لمدة ثلاثة أسابيع .

مجلس تحقيق برئاسة وزير الخارجية :

كنت أقضي إجازتي في سكوينلند، عندما وصلني إخطار من سفارتنا في لندن نجبطيني علما بأن القاهرة قد قررت إعاءة إجازتي وتطلب عودتي إلى القاهرة في أسرع وقت ممكن للتشاور في موضوع هام . وفي صباح يوم السبت 7 ستمبر كنت أستقل الطائرة إلى القاهرة . وبعد انصالي بالوزارة تحدد لي الساعة 19.00 من يوم الإثنين لمقابلة السيد وزير الخارجية في مكتبه ببيدال التحرير

في الوقت المحدد وصلت إلى ودررة الخارجية ودخلت مكتب السيد اسماعيل فهمي فوجدت معه الفريق محمد عبد الفتحي الجمعي رئيس أركان حرب القوات المسلحة والمستشار أسامة الباز مدير مكتب الوزير . وبعد السلام وتناول القهوة فتح الوزير موسوع لقائني مع الطلبة العرب ولاحظت أن اسمه لماز يقوم بتسجيل ما يقوله الوزير وما أجب به عليه . إذن فهو مجلس تحقيق برئاسة الوزير وعصوية الجمعي وليس مجرد استشار عما دار في هذا

اللقاء . سألي اسماعيل فهمي عن مدى صحة ما جاء في جريدة السفير البيروتية فأخفته بأني لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال لأنني لا أعرف ما كتبه هذه الجريدة ولم أطلع عليه فظن أنني أنهرب من الإجابة وقال لي «على العموم هناك تسجيل صوتي لكن ما قلته في هذا اللقاء» فأجته نبذة لا تخلو من التحدي «لماذا إذن توجه لي لأسئلة وانتظر مني أن أحيب بي أعترف بكل كلمة قلتها في هذا اللقاء» هي أحضر لنا هذا التسجيل لسمع إليه سوري ونوفر على أنفسنا عدم الاستحواث» ثم يحضر الوزير أي تسجيل ولم يعرض علي نسخة من صحيفة السفير وإنما أحضر لي بعض الأوراق المطبوعة والتي يفيد عناونها بأنها نص حديثي مع مطلة العرب في لندن . وبعد قراءة سريعة للأوراق التي عرضت علي قلت للوزير إن هناك أقوالا قلتها فعلا ولكن هناك عناوين مثيرة واستنتاجات توصل إليها كاتب المقال وهي من الأمور الصحفية المعروفة فطلب إلي أن أصدر تكديبا عما ورد في الجريدة فرفضت وقلت له إن معنى التكذيب هو أن كل ما قالته الصحيفة خطأ وهذا ليس صحيح بالنسبة لحداثة هذه . وبعد مناقشات صعبة تم الاتفاق على قص الاجتماع على أن يلتقي مساء يوم التي في نفس الوقت وفي عين المكتب لمابعة التحقيق بعد أن قام بتسليمي مطبوعات يعرض أيا ما نشرته الجريدة عن هذا الموضوع وذلك لدراستها والاستعداد للإجابة عما ورد فيها في اليوم التالي .

عندما استأنف التحقيق في مساء اليوم التالي بدوري الوزير قائلا ، لقد حدثت نظورت أخرى في هذه القضية لقد نشرت صحيفة السفير مقالا حديثا قالت فيه ان مدونها حديث في مطار لندن ومت في طريفث إلى القاهرة وسأنت عن احتمال التحقيق معك فقلت له ليس هناك شيء نحل منه وأنت مستفول لمسؤولين في القاهرة ما قلته لمطلة العرب في لندن . فقلت له أشوف ما سيادة الوزير . إني م أقابل احدا في مطار لندن سوء كان مدونا بصحيفة السفير أو غيرها ولم أدل بأي تصريح صحفي لأحد . وكس يبدو أن محرر صحيفة السفير بعدم حيدا أخلاق ومبادئ التريق شاذلي لو أن أحدا قابلي وسأني هذا السؤال لكادت إجابتي هي نفس الإجابة التي جاءت في العدد الأخير من مجلة السفير . ثم دار حديث ضوئ حول كل فقرة من فقرات لقائي مع المطلة العرب طبقا لما نشر في جريدة السفير وأديت رأيي في كل منها على حدة . وأكدت ما سبق أن قلته في لندن عن رأيي فيما يتعلق بمواضيع الرئيسية الأربعة التي وردت في هذا الحديث وهي : موضوع المحاولات التي تقوم بها الامبريالية لعزل مصر عن الدم العربي . وموضوع تنويع مصادر السلاح . وموضوع سرائيجينا خلال الحرب . وموضوع الثغرة لقد استمر التحقيق حتى منتصف الليل . وغادرت المكان وأن أعم أن أحد لن يستصحب أن يبيت في هذا الموضوع بطرا لوجود الرئيس خارج القاهرة في

ريادة لمنطقة القتال . وبعد بضعة أيام أبلغني وزير الخارجية بأن الأستاذ موسى صبري رئيس تحرير صحيفة الأخبار سيجري معي حديثاً صحفياً حول هذا الموضوع .

حديث مع الأستاذ موسى صبري :

اتصل بي بعد ذلك الأستاذ موسى صبري وطلب مقابلي ، فاتفقت معه على أن أستقبله في منزلي بمصر الجديدة . كان آخر لقاء لي بالأستاذ موسى صبري في نوفمبر 73 حيث أجرى معي حديثاً صحفياً حول عبور قناة السويس . وكان حديثي معه هو أول شرح دقيق لعملية العبور ونقل الصحف الأجنبية والعربية هذا الحديث عن صحيفة الأخبار فكان ذلك نصراً صحفياً لصحيفة الأخبار ونصراً شخصياً للأستاذ موسى صبري الذي أجرى الحديث . كان موسى صبري في أعماق قلبه يذكر لي هذا الجميل ، ولكنه في نفس الوقت كان أحد كتاب السلطة وكان مطلوباً منه أن يقدم حديثي معه للقراء على أنه تكذيب لما ورد في صحيفة لسمير اسبروتيه ، وأني لم أوجه أي نقد إلى سياسة الرئيس السادات . وبعد أن شرح لي موقفه الصعب قلت له إنه لا ينبغي أنسوب الإثارة الصحفية ما دام يلتزم بذكر الحقائق التي قلتها في لندن وأكررها الآن في القاهرة ، ولكي عارضته عندما اقترح أن يكتب عن لساني شعارات الولاء للسادات وقلت له غاضباً « كيف تطلب مني يا أستاذ موسى أن أقول مثل هذا الكلام عن شخص يهاجمي وينهني ظمناً وعدواناً باتهامات هو يعلم بطلانها ؟ » إنه يتهمني بأنني عدت من الحجة مهاباً يوم 19 أكتوبر ، وأنني أوصت بسحب جميع قواتنا من شرق القناة ، وهذا كذب ويعرف الكثيرون أنه كذب . ولكن مع ذلك ترددوا هذه الأقوال دون أن يحاولوا الكشف عن الحقيقة . هل حاولت يا أستاذ موسى أن تتحقق من هذه الادعاءات قبل أن نشرها في صحيفتكم ؟ فأجاب بأنه حاول فعلاً وأنه سأل ثلاثة أشخاص ممن كانوا في غرفة العمليات مساء يوم 19 أكتوبر فلم يؤيد أحد منهم ما جاء على لسان الرئيس . فقد قال له كل من حسي مبارك ، محمد علي فهمي هذه الادعاءات بقيا قاطعاً . أما الجمسي - حسب قول موسى صبري - فقد قال له أنه لا يريد أن يقحم نفسه في هذه الصراعات . كان ما قاله موسى صبري مفاجأة سارة لي فبادرته بالقول ولماذا لم تنشر ذلك ؟ فقال ما افترضت قلت له بأنني أقدر ظروفه ولكنه كان يجب عيبه في هذه الحادثة لا يكتب أو يردد ما يقوله لسادات فاعتذر مرة أخرى وقال « وحتى هذا فإنا لا نستطيع عمله » ان كل ما استطعت أن أفعله هو أن أنسب تلك الأقوال إلى لسادات وبذلك فهو المسؤول الأول عن صحة هذه الأقوال أو عدم صحتها .

العودة إلى لندن :

بعد بضعة أيام من حديثي مع الأستاذ موسى صبري استدعيت لمقابلة وزير الخارجية

حيث أذن لي بالسفر ونقرر أن أعود إلى مقر عملي يوم الجمعة (20) سبتمبر . وقد أن أعود
مكتب الوزير قال لي بطريقة عذرة وكأنه موضوع نابوي القذافي على حديثك مع موسى
صبري وقد وافقت على نشره فيما عدا بفعليين صغيرتين . فقلت وما هي هاتين البفتين ؟ فأجاب
بأنه لا يذكر . وأن الحديث موحود طرف أسامة البار مدير مكتبه . وبعد أن خرجت من
مكتب الوزير قابت أسامة البار في مكتبه وقلت له : إني لا أستطيع أن أحكم مع تكبير
ولكني أستطيع دائما أن أؤكد أو أنفي ما يسبب إلى إذا سألني أحد عن ذلك ، ثم بصرفت

مما سبق يتضح لنا أن موسى صبري بالرغم من أسلوبه الذي يعتمد على الإثارة . فإنه
وجد أن هذا الأسلوب من يستطيع أن يقلل من وقع أقواله لدى القراء . فآثر أن يعرض المقاد
قبل صدوره على وزير الخارجية للمراجعة والتصديق بالنشر . أن الوزير في مصر لا يستطيع
أن يصدق على نشر أي رأي يعارض النظام . فإذا كانت الظروف السياسية تحتم نشر بعض
الآراء المعارضة كمظهر من مظاهر الديمقراطية الزائفة . فإنه يتحأون إلى حذف بعض
الفقرات وتحريف بعض الأقوال حتى يصبح الرأي المعارض مقبولا من وجهة نظرهم .
آه لو علم من في السلطة أن السلطة رائته وأن السيف الذي كانوا يسلطونه على خصومهم
لا بد وأن يستخدم ضدهم في يوم من الأيام . فقد سقط السيف من يد سماعيل فهمي عام 1977
وكان موسى صبري أول من التقط هذا السيف ليضع به سماعيل فهمي . لقد أدى سماعيل
فهمي بحديث إلى صحيفة أمريكية في أوائل عام 78 يبر فيه الأسباب التي دفعته إلى الاستقالة
في نوفمبر 77 فما كان من موسى صبري إلا أن هاجمه واتهمه بالكذب . ولم يسطع سماعيل
فهمي أن يدافع عن نفسه . لأن الصحافة المصرية لا تنشر إلا صوت السلطة ومن يسير في
ركابها . لو يعلم موسى صبري وغيره من الصحفيين أن لسيف الذي يضربون به أعداء لسادات
قد يستخدم ضدهم في يوم ما . لثأروا إلى رثدهم وحققوا من حضورهم للسلطة . ولكن خلق
الإسكان ضعيفا . والمال والسلطة قسمة لذوي العوس الضعيفة .

في يوم 18 سبتمبر نشرت صحيفة الأندلس الحدث الصحفي الذي أجراه معي موسى
صبري . ورغم أسلوب الإثارة الذي اشتهر به موسى صبري ، فإن رأيي في موضوع محاولات
عزل مصر عن العالم العربي وموضوع تنوع مصادر السلاح كان واضحا . وقد اختلفت الآراء
حول تحييل شخصية موسى صبري بعد هذا المقاد . فقد وصفه بعض الناس بأنه شخص
عبي لأنه هاجم صحيفة السفير في حين أن ما كتبه نقلا عني إني هو اعتراف منه بأن ما ذكرته
تلك الصحيفة كان صحيحا . وقد وصفه آخرون بأنه شديد الذكاء لأنه استطاع أن يقدم
حقائق ما قلته في قالب مقبول من السلطة . أما صحيفة السفير نفسها فقد علقت في عدها
لصادر يوم 19 سبتمبر على مقال موسى صبري بأنه تأكيد لما كانت قد نقلته عني واعتبرت

ذلك نصرا لها . وفي يوم 20 سبتمبر سافرت إلى لندن مرفوع الرأس بعد أن سجلت أول انتصار عني في معارضي ضد سياسة السادات الخارجية والداخلية . وفي عدد لصحيفة الجارديان اللندنية يوم 20 سبتمبر ظهر مقال كبير تحت عنوان مثير «الشاذلي يحتفظ بمنصبه بالرغم من هجومه الحاد على السادات» وهكذا بدأ الخلاف بيني وبين السادات بأخذ شكلا عابلا على المستوى الوطني والعربي بحسب ، بل وعلى المستوى الدولي أيضا .

محاضرة عن حرب أكتوبر في معهد (راس ي) RUSI

يعتبر المعهد الملكي للأسلحة المشتركة لشؤون الدفاع (راس ي) Royal United Services Institute for defence studies (RUSI) أكبر

المعهد العسكري في بريطانيا . ويهتم المعهد بصفة خاصة بالبحوث والدراسات الاستراتيجية . ويقوم المعهد كل عام بدعوة عدد من الأساتذة الزائرين وكبار القادة السياسيين والعسكريين الأجانب لإلقاء المحاضرات في المعهد ، وذلك للاستفادة من خبراتهم في المجالات التي اشتهروا بها ، ولإثارة العرصة للدرسين وباحثين في المعهد لكي يستمعوا إلى وجهات النظر المختلفة حول المشاكل الدولية المعقدة . في أوائل يونيو 74 ، اتصل بي مدير المعهد وأخبرني بأن المعهد سوف يقوم بتنظيم دراسة عن حرب أكتوبر 73 وأنهم يريدون أن يستمعوا إلى وجهتي النظر العربية والإسرائيلية حول تلك الحرب . وحيث أن أحد القادة العسكريين لإسرائيليين سيفهم بشرح وجهة النظر الإسرائيلية يوم 6 نوفمبر فإنهم يريدون أن أقوم بإلقاء محاضرة عليهم حول هذه الحرب لكي أمثل وجهة النظر العربية ، وطالب أن يعرف قرري في أسرع وقت حتى يمكن إدراج هذه المحاضرة ضمن لبرنامج السوي للمعهد ، والإعلان عنها في الأوساط العلمية قبل إلقائها بوقت كاف .

ولو أنني كنت سفيرا تقليديا لاتصلت بوزارة الخارجية وطلبت منها لإذ ذلك ، فإذا وافق وزير الخارجية على أن ألقى هذه المحاضرة فإنه يجب علي أن أعرض عليه نص المحاضرة قبل إلقائها لمراجعتها ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث . لقد اتحدت القرار بسمي دون أن أخطر وزارة الخارجية وأبلغت مدير المعهد بأنني أوافق على إلقاء المحاضرة المطلوبة . وفي 17 يونيو أخبرني مدير المعهد بأنه قد تحددت الساعة 14.30 من يوم الأربعاء 16 أكتوبر 74 لكي ألقى هذه المحاضرة وسألني إذا كان هذا الوقت يناسبني فاجبت بالإيجاب . كان مدير معهد راس ي سعيدا جدا بقبولي إلقاء هذه المحاضرة ولكن سعدي م تكن نقل عن سعادة مدير المعهد بذلك . لقد كنت أول شخص عربي يطلبه المعهد الأسترالي لكي يحاضر فيه ويشرح لهم كيف استطاعت قوات مصر أن تعبر قناة السويس وتفتح خط

بارليف الذي كانت صحافة العالم تصفه بأنه مبيع ، وأن احتراقه هو من الأمور لمستحبة
لقد كنا نتعم فنون القتال منذ عشرات السنين على أيدي قادة وأساتذة من الدول الغربية ،
وقد جاء الوقت الذي يجلس فيه هؤلاء الأساتذة لكي يستمعوا إلى حبرة أحد القادة العرب
لقد كانت الدعوة في حد ذاتها حدثاً عصبياً واعتزازاً من الدول العربية بمدى التقدم الذي
أحرزه العرب في مجال القيادة والتخطيط .

ومن ناحية أخرى فقد كنت أرى أن قيامي بإلقاء هذه المحاضرة سوف يتيح لي الفرصة
لكي أفك الحصار الإعلامي الذي فرضته حولي أجهزة السادات الإعلامية ، والتي كانت
ترمي إلى أن يسمع العام فقط ما يرويه السادات من أكاذيب حول حرب أكتوبر . كنت
أعلم أن قيامي بإلقاء هذه المحاضرة هو أمر لا ترضى عنه القاهرة ومع ذلك فإني لم أحاول
إحطاره ، كما أنني لم أحاول إحقاق الخسر عا . ان معهد ر س ي يعمل في الصحف ووسائل
الإعلام الأخرى عن المحاصرات العامة التي تنقئ فيه بواسطة القادة السياسيين والعسكريين .
قل ميعاد إلقاء هذه المحاضرات بضعة أشهر ولا شئ أن القاهرة تستطيع أن تعين بذلك
من أكثر من جهة . وبالإضافة إلى ذلك فإن الخطابات المتبادلة بيني وبين المعهد حول إلقاء
هذه المحاضرة كانت تصل إلي وتصدر مني عن صديق أرسيف السفارة . وبالتالي فإن بعض
أعضاء السفارة المصرية في لندن كانوا على علم تام بهذه الاتصالات ، وكان من بينهم
من يعمل لحساب محاورات السادات . كنت أعلم كل ذلك ومع ذلك رفضت إحطارهم
في القاهرة وقلت سسسي ، فليعلموا بواسطة حواسينهم وبكفي لن أستأذهم لأي أعرف
إجابتهم مسبقاً إذا أنا استأذنتهم .

في مساء يوم 14 أكتوبر وصيتني إشارة من وزير الخارجية تقول أنه علم بأنني سألتي
محاضرة في معهد (R.L.S.I) يوم 16 أكتوبر ويطلب مني عدم إلقاء هذه المحاضرة . وفي
صباح يوم 15 أكتوبر اتصلت بليفوب بالدارشال الحوي ميول Air Vice Marsha
SWB Menaul مدير المعهد وأخبرته أنني لن أستطيع أن ألتقي محاضرتي لأنه قد
وصلتني تعليمات من القاهرة تأمرني بعدم إلقاء هذه المحاضرة . أزعج مدير المعهد من هذا الحبر
وأخذ يشرح لي بأنه في موقف صعب للغاية لأنني لم أعتذر عن إلقاء المحاضرة قبل موعد إلقائها
بوقت كاف يسمح بإحطار من طلبوا حجز أماكنهم لحضور هذه المحاضرة . وأخطرتني
أن هذا من سوف يحضر من بروكسل وبعض العواصم الأوروبية لحضور هذه المحاضرة .
وأنه لا توجد لديه أي وسيلة للاتصال بهم وإيقاف سفرهم فقد يكون بعضهم في الطريق
الآن كررت عليه بأنني لم أعتذر وإنما فرص علي ألا أقوم بإلقاء هذه المحاضرة ، وأنه مع
اقتناعي بحظ هذا القرار من القاهرة إلا أنني مكرم بنفيده . رجائي مدير المعهد وألح في

الرجاء أن اتصل بالقاهرة وأشرح لهم الموقف ولكني قلت له إنني لن أفعل ذلك لأنني أعلم أنهم لن يوافقوا على هذا الطلب .

قد يقول قائل ولماذا استعنت إلى تعليمات القاهرة ؟ لماذا لم نذهب إلى المعهد ونلقي المحاضرة وليكن ما يكون ؟ واليه أقول . إن أي معركة نحتج بـ إعداد ونحتج بـ انتحاب لوقت المناسب . لقد كنت أقوم بتصعيد معارضي ضد السادات ولكني كنت حريصا على ألا أدفع بعجله الصراع بيني وبينه إلى مرحلة المعركة الفاسلة كما فعلت عام 1978 . لم تكن مستعدا ذاتي للمجابهة العلنية قد استكملت . كما وأن الوقت لم يكن مناسباً . لقد كان هناك بعض التناقض بين السياسة الخارجية المصرية وبين سياسة الخارجية لكثير من البلاد العربية ، ولكن هذا التناقض كان لا يزال تحت السيطرة ، ولم يصل بمصر إلى نقطة العرلة التامة بينها وبين العرب . لقد كان الوقت في صالحني ، ولذلك فقد فضلت أن أوصل المعركة العاصنة بيني وبين نظام السادات إلى الوقت المناسب .

انتقاد سياسة السادات الخارجية في التلفزيون البريطاني .

في 10 يناير 75 تمت دعوة السفير البريطاني وظهرت على بي . في . سي . نو 2 B.B.C في برنامج نيوز داي News day الذي يديره المستر ميشيل شارلتون Michael Charlton لمناقشة السياسة الخارجية لمصرية والزيرات المكوكية التي كان يقوم بها كيسنجر وزير خارجية لولايات المتحدة بين مصر وإسرائيل . وفي هذا اللقاء انتقدت سياسة «الخطوة خطوة» التي كان يادي بها كيسنجر والسادات وقلت إن سياسة «الخطوة خطوة» دون أن يكون هناك اتفاق مسبق على الهدف النهائي ، تعني أن كل خطوة نخطوها هي بمثابة فقرة في السلام . وقد دعي ذلك المستر شارلتون أن يقول لي إن ذلك يعني أنك ترفض السياسة التي تسير عليها حكومتك» فلم أعقب على ملاحظته لأنه كان من الواضح أنني أنتقد سياسة السادات .

وعن كيسنجر قلت إنه يورع الرجوع ولكنه لا يفعل شيئا . وعن علاقة مصر بالدولتين الأعظم قلت إن هناك من يؤمن بـ حتمية الصداقة المصرية السوفيتية بينما هناك من يؤمن بـ ضرورة الصداقة المصرية الأمريكية ؛ فلما سألتني في أي جانب أقف ، قلت له «إن عوطي نتحه لي من يساعد بلادي وبفك بحبي ضد عدو بلادي أيا كانت هويته» .

الدعوة للذهاب إلى جنيف :

بينما كان السادات يسير في ركاب كيسنجر ، ويؤيد سياسة «الخطوة خطوة» step by step ، كنت أنا أنتقد هذه السياسة عنك وأدعوا للذهاب إلى جنيف كحل سري .

وكنيت أرمي من وراء ذلك إلى تحقيق هدفين . الهدف الأول هو ألا تنفرد إحدى الدولتين الأعظم بالإشراف على المفوضات . كنت أرى في أمريكا حليفا محلصا لإسرائيل بمدّها بأحدث الأسلحة ويقف إلى جانبها دائما عند التصويت على أي قرار من قرارات الأمم المتحدة فكيف يمكنني أن تصور أن أمريكا يمكن أن تكون قاضيا أو وسيطا بين العرب وإسرائيل ؟ ومن هنا فإن توجد لاتحاد السوفيتي في جنيف هو الضمان الوحيد لكبح جماح الهيمنة الأمريكية على منطقة الشرق الأوسط ، أما الهدف الثاني فإني كنت أخشى أن تؤدي سياسة الخطوة خطوة إلى صرح منفرد بين مصر وإسرائيل وبذلك تنجح إسرائيل والصهيوية والامريالية العالمية في نفي التمسك العربي وعزل مصر عن بقية العالم العربي . وقد أبدت رأيي هذا في حديث لي مع مجلة العالم الإسلامي لأسبوعية Muslim World وكررت ذلك في حديث باللفزيون البريطاني بي . بي . سي . 1 - BBC بتاريخ 75/2/12 . وقد سحرت في هذا الحديث التميز بين من التفاوض مع دولة لا تحترم القرارات الدولية واتهمت إسرائيل بأنها لم تنفذ 150 قرارا من قرارات الأمم المتحدة . وإن إسرائيل ما كانت لتجرؤ على تحدي الرأي العام العالمي وقرارات الأمم المتحدة بهذا الشكل لمثير لو لم تكن تتمتع بتأييد الولايات المتحدة . وقد ذكرت رأيي هذا بخصوص الذهاب إلى حيف في أكثر من حديث صحفي وإذاعي خلال فترة إقامتي بالملكة المتحدة .

الرأي العام البريطاني والقضية :

في فبراير 75 وصل كيسنجر إلى منطقة الشرق الأوسط في محاولة جديدة لكسر الجمود في قضية الصراع العربي الإسرائيلي . كان العام أجمع يتجه بأبصاره إلى هذه الرحلة ويتمنى لها النجاح . لقد أصيبت الدول الصناعية بأضرار اقتصادية كبيرة أثناء حرب أكتوبر 73 نتيجة قيام الدول العربية بخفض إنتاجها من البترول بصفة عامة ، وخطر تصديره إلى الدول الغربية التي تساند إسرائيل بصفة خاصة . لقد أصبح العالم الغربي بعد هذه الحرب أكثر استعدادا لسماع وجهة النظر العربية بعد أن كان الإعلام الصهيوني يفرص وجهة نظره على الرأي العام العالمي . كان كل من العرب وإسرائيل يعلمون أنهم يريدون السلام ولكن كل طرف كان يقي اليوم على الطرف الآخر وينهجه بأنه هو الذي لا يريد السلام وأنه يضع العراقيل في طريق السلام .

وفي بدعريق في الديمقراطية كبريطانيا ، أرادت محطة تليفزيونية BBC أن تقدم لمشاهديها بحثا ودراسة موضوعية عن هذه المشكلة أثناء زيارة كيسنجر للمنطقة بحث عن السلام . كان برنامج رحلة كيسنجر هو الوصول إلى إسرائيل يوم الإثنين 10 فبراير ثم الذهاب إلى مصر يوم الأربعاء 12 فبراير . وفي يوم وصول كيسنجر إلى إسرائيل اتصل بي

مقدم برامج 1 Midweek BBC واخبرني بأنه يريد أن يقدم تغطية مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي ويعرض فيها وجهة النظر العربية ووجهة النظر الإسرائيلية على الشعب البريطاني . وأنه لذلك يريد أن يستضيفني لكي أعرض وجهة النظر العربية . وأنه سوف يستضيف السفير الإسرائيلي في لندن لكي يقدم وجهة النظر الإسرائيلية . رحبت بالفكرة ولكي طلبت ألا أجتمع مع السفير الإسرائيلي في مكان واحد فوافق على ذلك .

وفي الوقت الذي كان يصل فيه كينسجر إلى القاهرة قادما من إسرائيل . كنت أنا أدخل استوديو تلفزيون BBC لكي أعرض على الشعب البريطاني وجهة النظر العربية في قضية الصراع بين إسرائيل ودولها . دخلت الاستوديو قبل ميعاد الإرسال ببضع دقائق ، ففحائي مقدم البرنامج بأنه نظر ، بطرف فنية فإنه لا يستطيع أن يقدم البرنامج من استوديوهين في وقت واحد وأنه مضطر لأن يجري الحوار معي ومع السفير الإسرائيلي من داخل نفس الاستوديو . كان ذلك معجزة نامة لي وكان عني أن اتخذ قرارا سريعا واختار بين أمرين إما الانسحاب وإما الصراع تحت الظروف التي فرصت علي . كان الانسحاب يعني أن أتترك للحجاب الآخر الحرية المطلقة لكي يقول ما يريد من أكاذيب وأباطيل دون أن يجد من يرد عليه أكذيبه . كان الإرسال سوف يتم على الهواء وكان التلفزيون البريطاني قد سبق أن أعلن عن هذا البرنامج وكان هناك الملايين من الشعب البريطاني يلتصقون حول أجهزةهم اسطرا هذا البرنامج . وكان إعلان اسعالي يعني بأسية اليهم أن قصصنا تقتصر إلى الحجة والأسايد القاسوبية والتاريخية . لم يكن أمامي إلا بضعة دقائق لاتخاذ القرار . وقررت البقاء ولكني اشترطت ألا يتم أي حديث مباشر بيني وبين السفير الإسرائيلي . فوافق مقدم البرنامج على ذلك

وبعد دقائق وصل السفير الإسرائيلي وحل في المكان المخصص له دون أن يتبادر كلمة واحدة . أحد مقدم البرنامج يوجه لسؤال نلو الآخر لكل ما على حدة وكان كل ما يرى الآخر وهو ينكم من خلال جهاز تلفزيوني وضع أماما . كب أرافب السفير الإسرائيلي وهو ينكم من خلال هذا الجهاز وكأني واحد من الملايين الذين يشاهدون هذا البرنامج ، ولم يحدث قط أن التقت عينا عيني معي السفير الإسرائيلي طوال فترة البرنامج . على الرغم من أنه كان يجلس على بعد خطوات مني .

وبالرغم من الظروف التي فرضت علي في هذه المقابلة التلفزيونية فإني أعتقد أنني نجحت في كسب الرأي العام البريطاني وفي أعقاب هذا الظهور وصني مئات من خطابات التأييد في حين أنه لم يصني سوى خطاب واحد معارض . ولم يتقد هذا الخطاب المعادي رأيي وحججي ولكنه انتقد سلوكي تجاه السفير الإسرائيلي وتجاهي لوجوده . وشهد الإعلام

الصهيوني في أعقاب هذا الظهور التليفزيوني ولم يجد ما يهجمي به سوى سلوكي تجاه السفير الإسرائيلي . وانتقلت الحملة الإعلامية إلى الصحف ، وكان لابد علي أن أقاوم هذه الحملة .

في 17 فبراير نشرت مقالا مطولا في جريدة التايمز Times أدافع فيها عن سلوكي تجاه السفير الإسرائيلي وقد جاء في هذا المقال ما يلي «يجب أن يعلم الجميع أن مصر في حالة حرب مع إسرائيل ، وأن الحكم على سلوك السفير المصري تجاه السفير الإسرائيلي في بند محايد يجب أن يتم في إطار هذا التصور . لقد كانت بريطانيا في حالة حرب مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية بينما كانت لكل دولة سهم سيرا في مركبة المحيدة . وإني أود أن أسأل البريطانيين عن شعورهم إذ قد قام سفيرهم في أنقرة باستقبال السفير الألماني هناك بالترحاب في الوقت الذي تقوم فيه ألمانيا بقتل الآلاف من أبنائهم» وانتعج الرأي العام البريطاني بهذا المطلق وسكنت الحملة حول هذا الموضوع .

كان موقف لإعلام المصري فيما يتعلق بظهوري في التليفزيون البريطاني يوم 12 فبراير متناقض مع نفسه . فقد كتب أحد الصحفيين بتقديري لأنني ظهرت مع السفير الإسرائيلي دون أن يذكر الملاحظات التي أدت إلى هذا اللقاء . والعرب أن الصحفي المذكور كان أول المؤيدين لزيارة السادات مقدس في 19 نوفمبر 77 ورَفَقَه في تلك الزيارة المشؤومة . كما وأنه كان ولا يرل أحد أبنوا السادات التي تدعو إلى تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل بالرغم من استمرار تلك الدولة الصهيونية في احتلال الأراضي العربية . وإني لأعجب كيف يستطيع كاتب محترم أن يتنوع بهذه السبولة

وفي فبراير 75 كان الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي رئيس تحرير مجلة رور اليوسف موجودا في لندن لعلاج ، فطلب مقدسي وجرأء معي حديث مطولا عن موضوع ظهوري التليفزيوني يوم 12 فبراير . وقد وضحت له بالتفصيل كل ملاحظات هذا الموضوع ويبدو أن عبد الرحمن لشرقاوي قد افصح بأنه ليس في الحديث ما يمكن أن يعصب لسلطة فقرر نشره دون أن يتأذن أحدا في ذلك ولكن سلطة عدمت بهذا الحديث بعد أن كانت المجلة قد تم طبعها وبدأ توزيعها فأمرت بمصادرتها قبل أن يتم تداولها بين الناس وفوجيء الناس بعدم ظهور مجلة رور اليوسف في اليوم المحدد لظهورها دون بدء الأسباب لذلك وهذا هو مثل آخر ما كانت تقوم به السلطة لكي تمنع الحقيقة من الوصول إلى أسماع الشعب المصري (3).

الناس يبحثون عن الحقيقة :

تعتبر لندن من أكثر البلاد الأوروبية احتذايا للعرب بصفة عامة وللمصريين بصفة

خاصة . وفي كل يوم وعلى طول أيام السنة يعد إلى العاصمة البريطانية بضع مئات من العرب سواء لأعمال رسمية أو تجارية أو سياحية . وتتضاعف عددهم خلال فترة الصيف ، حيث يتم المرح بين السيارات الرسمية والسياحية وقضاء الحاجيات والمشتريات . ومن بين هؤلاء الوافدين الكثير من السياسيين والاقتصاديين والكتاب والصحفيين والفنانين الح . وكان جميع هؤلاء يتوقون إلى معرفة حقائق حرب أكتوبر . كانوا قد استمعوا إلى ما رواه السادات بواسطة وسائل إعلامه ، ولكنهم لم يصدقوه . فأما المصريون منهم فالكمل يعلم أن من يخبرو منهم على انتقاد السادات ونظامه فلا بد أن يكون مصيره السجن والتشريد في ظل القوانين القمعية التي تسود مصر .

وأما العرب ، سواء الرسميين منهم أو غير الرسميين ، فكانوا يعلمون أن دولهم ترتبط بنظام السادات ارتباطا وثيقا يجعلها تعرض على صحفها ووسائل إعلامها نوعا من الرقابة . كانت الرقابة في الدول العربية تسمح لوسائل إعلامها بنقد نظام السادات في حدود ضيقة . بحيث لا يؤثر هذا النقد على العلاقات التي تربط هذه الدول مع نظام السادات . كان السادات خلال هذه الفترة يبادي نفس ما كان يبادي به الزعماء العرب بل أنه فاقهم عندما قال «القدس والضفة وغزة أولا ثم الجولان ثم سيناء بعد ذلك» . ولقد اتفق مع القادة العرب في الرباط في 28 أكتوبر 74 على ألا تقوم أي دولة عربية بعقد صلح منفرد مع إسرائيل ، وعلى أن محطة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لجميع الفلسطينيين ، أن زعماء العرب ينادي بذلك لا يمكن لأي دولة عربية أن تسمح لوسائل إعلامها بتجريحه أو تشويه صورته . قد يكون هناك فتاة لدى بعض القادة العرب بأن السادات ارتكب بعض الأخطاء خلال حرب أكتوبر ، ولكن هذه الأخطاء يجب ألا تكون سببا في سفس التضامن العربي . كان لزعماء العرب بما فيهم العقيد معمر القذافي - الذي يعتبر من ألد خصوم السادات اليوم - لا يزالون يشقون في إخلاص السادات ويرتبطون معه بسلاقات صداقة ، وبالتالي لم يكن مموحا للصحف العربية بأن تهاجم السادات أو تنتقده انتقادا شديدا (4).

وفي ظل هذه الظروف السياسية كان الناس يبحثون عن الحقيقة لا بغرض المجابهة أو التنديد بالسادات بل من أجل الاقتناع والاطمئنان . ونتيجة لذلك فقد كان مكثي في السفارة لا يكاد يخلو في أي وقت من الأوقات من رائد عربي . كنت أقص عليهم الحقائق أو بعض الحقائق بالقدر الذي تسمح به ظروف كل شخص . وإن أقل ما قيل لأي منهم سواء كانوا مصريين أو عرب هو أن السادات كاذب فيما يدعيه بأنني عدت من الجبهة منهارا يوم 19 أكتوبر 73 ، وأنني أوصيت حينئذ سحب جميع القوات من شرق القناة .

وفي يوم من الأيام حصرني صحفي مصري وطلب مني أن أقص عليه قصة حرب أكتوبر وأنه سوف يكتبها وينشرها كما هي دون أي حذف . فقلت له أنشر أولا في صحيفتك عن لساني بأن السادات كاذب فيما يدعيه علي من أنني عدت من الجبهة منهارا يوم 19 أكتوبر وأتني أوصيت بسحب جميع القوات من شرق القناة . فإن سمحوا لك بذلك فتعال إلي أقص عليك قصة حرب أكتوبر . وذهب الصحفي ولم يعد

حديث عن الديمقراطية :

في مايو 1975 كان هناك وفد بريطاني تجاريا يزور القاهرة بهدف تنشيط العلاقات التجارية بين البلدين . وقبل سفر الوفد قدم التبصريون البريطاني والإذاعة البريطانية بإجراء لقاء معي في لندن . وبعد أن أجرى مندوب الإذاعة حوار معي عن أهمية تنشيط التجارة بين مصر وبريطانيا ، وجه لي سؤالا أخيرا لكي يختم به هذا الحديث فقال « ما هو الشيء الذي يعجبك في بريطانيا والذي نود أن نتعلمه مصر من بريطانيا » فأجبت بسور تردد « الديمقراطية » ثم أشرت أقبض في شرح الديمقراطية وحرية التعبير ، واحترام الدولة والحاكم شخصه المواضع . واستمع المسؤولون في القاهرة إلى ما قلت ، وشعروا وكأنني أنهم السادات في كل كلمة كنت أقولها وهذا حق . فقد كان ذلك هو ما قصده تماما . وكان ذلك هو القشة التي قصمت ظهر البعير . ففي 16 مايو أي بعد ثمانية أيام من إدلائي بهذا الحديث وصلتني برفقة من وزير لحدوية أنه تقرر فني من لندن إلى البرلمان .

الفصل الرابع

بريطانيا والصراع العربي الإسرائيلي

نبذة تاريخية :

ان مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي ليست مجرد مشكلة محلية بين العرب وإسرائيل ، وإنما هي جزء من مشكلة الصراع العالمي الذي نترعمه الدول العظمى ، والذي يقسم العالم حاليا إلى معسكرين كبيرين . ان موقف كل دولة من دول العالم من هذا الصراع العربي الإسرائيلي ، إنما هو انعكاس لموقف المعسكر الذي تنتمي إليه تلك الدولة . وأن مراجعة نتائج التصويت في الأمم المتحدة حول هذه المشكلة ، تبين لـ توضوح مدى التزام كل دولة بوجهة نظر المعسكر الذي تنتمي إليه . وفي حدود هذه الفاعدة من لعبة الأمم يمكن تقسيم دور بريطانيا في هذه المشكلة إلى مرحلتين . المرحلة الأولى وتمتد من منتصف القرن 19 وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، والمرحلة الثانية وتمتد بعد الحرب العالمية الثانية وحتى وقت هذا .

في حلال النصف الأول من القرن 19 ، تماظلت القوة العسكرية المصرية اباا حكم محمد علي باشا ، وامتدت فتوحات مصر إلى السودان والبحيرة العربية وسوريا ، فكانت هذه هي أول محاولة لخلق وحدة عربية في العصر الحديث . كانت بريطانيا في ذلك الوقت امبراطورية عظمى وسيدة ابحار ، وكانت استراتيجيتها تتلخص في لإبقاء على الامبراطورية التركية ، الضعيفة (كانوا يطلقون عليها الرحل المريع) ومنع قيام أي دولة عربية قوية في المنطقة . ولكي تنفذ هذه السياسة ألت بريطانيا الدول العظمى لأخرى ضد حكم محمد علي باشا ، واشتركوا جميعا في تدمير الأسطول المصري في جزيرة كريت عام 1939 ولذلك هددوا خطوط مواصلات القوات المصرية في سوريا وتركيا ، وازغموا مصر على توقيع معاهدة لندن 1840 . وبموجب هذه المعاهدة كان يحتم على محمد علي باشا أن يسحب

جميع القوات المصرية من جميع الأراضي العربية التي تحتها وبالإضافة إلى ذلك فرضت هذه الدول على مصر أن تخفض عدد قواتها المسلحة تخفيضاً كبيراً ، وأن يحظر عليها إقامة أي صاعات عسكرية . كانت معاهدة لندن إذن ، هي أول عملية إحهاض للدولة الموحدة ولكي تضمن الدول العظمى عدم تكرار هذه المحاولة مرة أخرى إذا ما ظهر في مصر زعيم قوي ، فقد عملت بريطانيا العظمى على أن تزرع في أرض فلسطين دولة عربية عن المصطفى تناصب العرب العداء وتعزل مصر عن المشرق العربي وبذلك تمنع قيام أي وحدة عربية .

لقد استغلت بريطانيا آمال بعض اليهود المتدينين في العودة إلى القدس ، وأخذت تشجع هذا التيار وتروح له بين جميع يهود العالم . وهكذا ولدت الحركة الصهيونية بزعامة هرتزل Herzl في كنف ورعاية السلطات البريطانية خلال النصف الثاني من القرن 19 . ومنذ ميلاد الحركة الصهيونية وحتى وقت قيام الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا تعمل على تشجيع هجرة اليهود واستيطانهم في أرض فلسطين . ولكن نظراً لمعارضة الباب العالي ، ونظراً لإغراض معظم اليهود عن ترك أوطانهم الذين كانوا يعيشون فيها ، فإن عدد اليهود في فلسطين لم يصل حتى عام 1918 إلا إلى 65671 فرد فقط ، وكان هذا يشكل 8% من سكان فلسطين .

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، فكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي كانت تنتظرها لكي تحقق حلمها نحو إقامة دولة عازلة بين مصر وبين المشرق العربي . وفي ظل الانتداب البريطاني الذي استمر من 1918 حتى 1948 تضاعف عدد اليهود في فلسطين حوالي 11,5 مرة ووصل إلى 649632 فرد ، وأصبح يمثل 35% من سكان تلك البلاد .

بعد الحرب العالمية الثانية هبت رياح الحرية عبر آسيا وأفريقيا ، وحصلت الغالبية العظمى من الممتلكات والمستعمرات البريطانية على استقلالها ، وتقلص حجم الامبراطورية البريطانية التي كانت لا تغيب عنها الشمس ، إلى أن انكمشت داخل الجزر البريطانية الأم ونتيجة لذلك ظهر في بريطانيا تياران فكريان . تيار يتزعمه حزب العمال البريطاني ، ينادي بأن تتوقف بريطانيا عن التدخل في المشاكل العالمية كما كانت تفعل أيام الامبراطورية ، وأن تركز جهودها على مشاكلها الداخلية . أما التيار الثاني الذي كان يتزعمه حزب المحافظين البريطاني ، فكان يشتب بالأفكار الامبراطورية قولا وعملا وأحلاما . كان المحافظون يتفقون مع العمال على ضرورة تقليص الدور البريطاني في السياسة العالمية ، ولكنهم كانوا يختلفون معهم حول المدى الذي يجب أن يتقلص اليه هذا الدور . وفي ظل هذه الأوضاع ، تعاظم الدور الأمريكي في مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي ، وتضاءل الدور البريطاني إلى أن أصبح

دور التابع والمؤيد للخط الأمريكي . واستمرت السياسة البريطانية على هذا النوال إلى أن قامت حرب أكتوبر 73 ، بعد ذلك بدأت تظهر بعض التناقضات بين السياسة الأمريكية وسياسة دول أوروبا الغربية تجاه مشاكل الشرق الأوسط .

اليهود في بريطانيا :

في عام 1974 كان عدد اليهود في بريطانيا هو 400 000 ، بينما كان تعداد بريطانيا هو 56230 000 نسمة . أي أن اليهود كانوا يشكلون 0,71% من تعداد السكان . ولكن كان هناك 46 يهوديا أعضاء في مجلس العموم البريطاني الذي يبلغ إجمالي عدد أعضائه 635 عضو ، أي أن نسبة اليهود في مجلس العموم كانت 7,24% . ومن بين حكومة العمال البالغ عددها 45 وزيرا ، كان من بينهم 11 وزيرا من اليهود ، أي بنسبة 24,44% . ومن هذه الأرقام ، يتضح لنا أن نسبة تمثيل اليهود في الهيئة التشريعية (مجلس العموم) كانت تزيد عن عشرة أضعاف نسبتهم العددية . أما على مستوى الهيئة التنفيذية (الحكومة) فقد كان تمثيلهم يزيد عن نسبتهم العددية بحوالي 35 ضعفا .

كان توزيع الأعضاء اليهود في مجلس العموم البريطاني هو 35 في حزب العمال ، 10 في حزب المحافظين ، 1 في حزب الأحرار . وبالرغم من الاختلاف الأيديولوجي بين يهود المحافظين ويهود الاشتراكيين ، فإنهم يتفقون مع بعضهم البعض اتفاقا تاما فيما يتعلق بسياساتهم تجاه إسرائيل . أو بمعنى أصح فيما يتعلق بتوطيد اليهود في فلسطين على أشلاء وجماحم العرب من سكان تلك البلاد . وكأن اليهود البريطانيين قد اتفقوا فيما بينهم على توزيع الأدوار التي تناسب كل منهم . إنهم جميعا يتفقون حول هدف واحد : وهو تأييد الصهيونية وتأييد دولة إسرائيل بغير حدود .

وبالإضافة إلى اليهود الصهاينة . فهناك بريطانيون كثيرون ارتبطت مصالحهم بمصالح الصهيونية ارتباطا وثيقا . فأصبحوا يدافعون عن الصهيونية بقوة وحماس لا يقل عن حماس البريطانيين اليهود أنفسهم . وهؤلاء هم أشد خطورة على العرب وعلى قضيتهم من اليهود الصهاينة ، لأنهم يتبنون الدفاع عن إسرائيل دون أن تكسبهم تهمة الولاء المشترك التي تسيطر على اليهود البريطانيين عندما ينصلوا للدفاع عن إسرائيل . وفي عام 1974 كان في مقدمة الذين يتفانون في خدمة الصهيونية من غير اليهود كل من المستر هارولد ويلسون وغم حرب العمال والمستر راندولف تشرشل (حفيد المستر وستون تشرشل رئيس حزب المحافظين السابق ورئيس وزراء بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية) من حزب المحافظين .

حزب العمال البريطاني وإسرائيل :

لقد ولدت الحركة الصهيونية في بريطانيا على يد قابلة من المحافظين ، وعاشت وترعرعت في ظل المحافظين حيث كان ييدهم السلطة والمال . فلما بدأت رياح الاشتراكية نهب على بريطانيا في أواخر القرن 19 وازدادت قوتها شدة في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، سارع الكثير من اليهود البريطانيين إلى الانضمام والارتباط بحزب العمال . وفي سبتمبر 1920 أعلنت المنظمة الصهيونية بأول زبون Paole Zion ارتباطها رسميا بحزب العمال البريطاني . وقد أخذ نفوذ اليهود داخل حزب العمال البريطاني يتزايد ويتعاظم يوما بعد يوم حتى وصل إلى قمته إبان فترة قيادة المستر هارولد ويلسون للحزب .

ان نجاح الصهيونية في السيطرة على حزب العمال لم الأمور التي تثير العجب حقا . ان السياسة التقليدية لحزب العمال ، هي مناهضته للاستعمار ، وسياسة التوسع الاقليمي ، ومقاومته لكل الحركات العنصرية . ومع ذلك فقد منح النوبي اليهودي داخل حزب العمال ، في أن يدفع هذا الحزب إلى الوقوف ضد كل هذه المبادئ ، إذا كان الأمر يتعلق بإسرائيل . فقد وقف الحزب دائما إلى جانب إسرائيل وهي تحتل أرض فلسطين وتتوسع على حساب جيرانها من العرب ، وأنغمض عينيه عن التفرقة العنصرية الشبيعة التي تمارسها السلطات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة .

في عام 1944 وافق حزب العمال في مؤتمره السنوي على القرار التالي «يجب تشجيع العرب على مغادرة إسرائيل لإفساح المجال لليهود النازحين إلى فلسطين . يجب العمل على تهجير عرب فلسطين إلى الأراضي العربية الأخرى بعد تعويضهم عن أملاكهم في فلسطين تعويضا عادلا . ان العرب يملكون أراضي واسعة ، ويجب أن يتركوا أرض فلسطين هذه لليهود . هذا ويجب أن تمارس أيضا احتمال امتداد حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسوريا والأردن» . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أخذ النفوذ الصهيوني يتعاظم في حزب العمال ، إلى أن وصل ذروته عندما تولى المستر هارولد ويلسون زعامة الحزب . لم يكن حدث يهودي الديباجة ، ولكنه كان مثنانيا في خدمة الصهيونية كأحد أبنائها ودعاتها . فقد حدث أن الأمم المتحدة اتخذت في 8 ديسمبر 1972 قرارا في صالح العرب ، وكان القرار بأغلبية 68 صوت مؤيد ضد 7 صوت معارض . كان القرار يقضي بدعوة إسرائيل لكي تعلن التزامها ببدأ عدم ضم أي أراضي بالقوة ، وأن تمتنع عن مدرسة أي سياسة أو تقوم بأي إجراء يرمي إلى تغيير التوزيع السكاني في الأراضي العربية المحتلة ، كما أعلن القرار أن احترام حقوق الفلسطينيين هو عنصر هام من العناصر الضرورية لتحقيق سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط

وكان معارضون السبعة هم السلفادور ، هايتي ، نيكاراغوا ، أوروجواي ، كوستاريكا ،
الدومينيكان ، إسرائيل . وقد أبدت حكومة المحافظين في هذا الوقت قرار الأمم المتحدة ،
ببها امتنعت أمريكا عن التصويت . ورغم هذا الإجماع العالمي ، ورغم المبادئ التقدمية
التي يدين بها حزب العمال ، فقد وقف هارولد ويلسون يعارض هذا القرار ، ويتخذ موقف
البريطانية لتأييدها هذا القرار ، ويقول أن هذا القرار يهدد أمن وسلامة إسرائيل بل ويجعل
بقاءها في خطر شديد . فهل مثل هذا الموقف يتماشى مع مبادئ حزب العمال تجاه القضايا
الدولية الأخرى ؟ لا ثم لا . هذا هو حزب العمال . وهذا هو هارولد ويلسون الذي كان
رئيس حكومة حضرة صاحبة الجلالة عندما وصلت إلى لندن في مايو 1974 لكي أكون
سفيراً بيلادي لدى تلك الحكومة . كان ويلسون رئيساً للحكومة ، ورئيساً لحزب العمال ،
وداعية للصهيونية وصديقاً حميماً لإسرائيل .

ماذا يستطيع السفير أن يفعل :

بالرغم من وجود هيئة الأمم المتحدة ، وبالرغم من وجود قواعد عامة للقانون الدولي تعترف
بها العالمية العظمى من دول العالم ، فإن العلاقات بين الدول تخضع في المقام الأول إلى المصالح
المشتركة بين هذه الدول . ن الحقوق لمشروعة ومبادئ القانون الدولي هي مجرد شعارات .
نجد من يستمع إليها ويعصدها إذا كانت تساندها القوة ، ولقدرة على إلحاق الضرر عن
لا يحزمها . أن المجتمع الدولي والرأي العام العالمي لا يسمع صوت للضعفاء ، حتى ولو كانوا
أصحاب حق . لقد ثار لشعب الأمريكي ضد حكومة نيكسون انتقاداً لسياسته في حرب
فيتنام ، بعد أن شعر بفداحة الثمن الذي يدفعه الشعب الأمريكي في هذه الحرب العبر عادة .
أن هذا الشعب الأمريكي لم يتحرك ضد حكومته وهو يراها تؤيد احتلال إسرائيل للأراضي
العربية وتمدها بأحدث الأسلحة والخبرات لتساعدها في تكريس هذا الاحتلال ، وذلك
لأن الشعب الأمريكي لم يشعر أبان الحرب العربية الإسرائيلية بفداحة الثمن الذي يدفعه
نتيجة لسياسة حكومته .

وكما سبق أن قلت ، فإن السياسة الخارجية للدول الصغرى والمتوسطة تسير دائماً في
اتجاه موري لاتجاه السياسة الخارجية للمعسكر الذي ننتمي إليه . لم يعد من الممكن إذن ،
أن ينجح سفير أي دولة في تغيير مسار السياسة الخارجية للدولة المعتمد لديها ، مهما أوتي
هذا السفير من حذق وذكاء . ن تغيير مسار السياسة الخارجية للدولة يعني إخراجها من
المعسكر الذي ننتمي إليه ، سواء كان هذا الانتماء علياً أم صمياً أم عاطفياً . وإن عوامل

التأثير على مسار السياسة الخارجية للدول لا يتحكم فيها السفراء ، بل ولا يتحكم فيها وزراء الخارجية أنفسهم . إنها تحتاج إلى قرارات سياسية عليا . ومن هنا يبرز سؤال هام «هل يمكن لسفير مصر في المملكة المتحدة أن يقنع حكومة صاحبة الجلالة بأن تخرج عن إجماع المعسكر الغربي وأن تتخذ موقفا مؤيدا للحق العربي » ؟

ان بريطانيا مصالح كبيرة في المنطقة العربية ، وفي مقدمتها البترول العربي ، ثم التجارة الخارجية ، والعلاقات الثقافية ، وما لم تتعرض هذه المصالح للخطر فإن السياسة الخارجية الخارجية البريطانية تجاه الحق العربي لن تتغير . لقد تعرضت مصالح الدول العربية للخطر لفترة وجيزة خلال حرب أكتوبر ، نتيجة الحظر البترولي الذي فرضته الدول العربية ، فسارعت الدول الأوروبية الغربية في اسوق المشتركة E.E.C إلى إصدار بيان لها في 6 نوفمبر 73 . وفيه تعترف لأول مرة بالحقائق المشروعة للشعب الفلسطيني . أما اليابان فقد أعلنت في 22 نوفمبر 73 . أن مفهومها لقرار 242 هو ضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها منذ يونيو 67 أولا ، ثم يتم التفاوض بعد ذلك على موضوع الأمن لجميع دول المنطقة . ان هذه المواقف الإيجابية من دول المعسكر الغربي تجاه القضية العربية الإسرائيلية ، قد اتخذت عندما شعرت هذه الدول بأن مصالحها في خطر . انها ليست صراحة ضمير .

ولكن للأسف الشديد فإن سلاح البترول خرج من المعركة بسرعة ، وعلى مراحل متتالية . لقد قام العرب خلال شهر أكتوبر 73 بفرض حظر على إمداداتهم البترولية ، إلى كل من الولايات المتحدة وهولندا ، وذلك بالإضافة إلى خفض إنتاجهم . وبذلك أصبح إنتاجهم من البترول خلال شهري نوفمبر وديسمبر ، يعادل 75٪ من إنتاجهم في شهر سبتمبر . ولكنهم خلال شهر يناير 74 رادوا من إنتاجهم لكي يصبح 85٪ من إنتاج شهر سبتمبر 73 وفي 18 مارس 74 رفع العرب الحظر عن الولايات المتحدة ، وعاد الإنتاج إلى صورته لأولى . بل وزاد على مستوى شهر سبتمبر 73 لكي يعوض الكميات التي تم تخفيضها من الإنتاج في الأشهر الستة الماضية . وفي 10 يوليو 74 رفع العرب الحظر عن هولندا ، وانتهت بذلك حرب البترول نهائيا . ولو أن العرب استمروا في حظرهم للبترول وتخصيصه ، بتلك النسبة المتواضعة التي مارسوها خلال شهري نوفمبر وديسمبر 73 ، لظهرت نتائج استخدام هذا السلاح على المستوى السياسي بشكل واضح . ان سلاح البترول هو سلاح جبار ، ولكن تأثيره لا يظهر إلا بعد بضعة شهور .

لقد أحضر كيسنجر سلاح البترول في مقابل إنقاذ الجيش الثالث ، لقد كان حصار الجيش الثالث هي الورقة التي بضغطها كيسنجر على السادات . وكان السادات هو الذي

يلهث وراء زعماء الدول السفطية ، ويطالبهم بزيادة الإنتاج ورفع الحظر . ومن الجدير بالذكر أن اتفاقية فض الاشتباك ، والتي ترتب عليها فك حصار الجولش الثالث ، لم يتم التوصل إليها إلا بعد أن قامت الدول العربية بزيادة إنتاجها فعلا . وهكذا تم التوقيع على اتفاقية فض الاشتباك بين السادات وبين كيسنجر في اسوان في 18 يناير 1974 .

ان تطور المواصلات بأفرعها المتعددة ، واستقطاب اسوان في معسكرات كبيرة ذات ميول بدبلوماسية واتجاهات استراتيجية واحدة ، قد أدى إلى تقليص مهمة السفير . لقد كان اسفراء في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر يتمتعون سلطات واسعة . وكانوا يلعبون دور هاما في رسم السياسة الخارجية في بلادهم ، وفي ابلاد التي يخدمون في بلاطها . كان التشاور بين السفير وبلاده يستغرق حينئذ عدة شهور . أما اليوم فإن هذا التشاور يمكن ان يتم في أي وقت من النهار أو الليل . وهكذا فقد أصبح العبء الأكبر من السياسة الخارجية يتركز في أيدي رؤساء الحكومات ، وإلى حد ما في أيدي وزراء الخارجية . ان هذا لا يعني أن مهمة السفير قد أصبحت عديمة القيمة ، أو أنه من الممكن الاستغناء عنها ، فلارال هناك مئات من المواضيع التي يمكن لسفير أن يعالجها والتي قد تساعد على تحسين حو العلاقات بين بلاده والبلد التي هو معتمد بها . وابطالاً من هذا المفهوم أحررت العديد من اللقاءات مع الرعماء البريطانيين من سياسيين وقصديين وتجارين ، كما أحررت العديد من اللقاءات مع الشعب البريطاني ، عبر الإذاعة والتليفزيون والصحافة ، وقمت بشرح لقضية العربية بكل بعباده وسوف أذكر هنا بعضاً فقط من هذه اللقاءات

حوار مع المحافظين :

كان هناك اعتقاداً سائداً في مصر ، بأن حزب المحافظين في بريطانيا يعتبر أكثر تفهماً لقضية العربية وأكثر تحاوراً لمطالب العرب وآمالهم . ولكي اكتشفت بعد وصولي إلى لندن أن هذا الاعتقاد لا يستند على أي أساس . فقد وقع دون لقاء رسمي بيني وبين أحد رجال وزارة الطل البريطانية يوم 21 نوفمبر 74 . ففي هذا اليوم قابلت المستر جوهري ريبون Geoffrey Rippon ، لكي أناقش معه وجهة نظر المحافظين في قضية الصراع العربي الإسرائيلي . ولقد صدمني هذا اللقاء ، وخرجت منه بانصاع سيء وقلت لكل من قابلتهم بعد ذلك «إذا كان ما سمعته من المستر ريبون يمثل وجهة نظر حزب محافظين ، فإن ذلك يعني أن سياسة حزب المحافظين ، لا تقل سوءاً عن سياسة حزب العمال تجاه القضية العربية» وقد أبعت قصة هذا اللقاء إلى عدد من أصدقائنا من يوب المحافظين وفي مقدمتهم المستر ديفيد كراوتش David Crouch . المستر ديبس ولترز Dennis Walters لكي ينقلوا هذه الرسالة إلى رئيس الحرب .

وبعد أن تولت المسز تاتشر Mrs Thatcher زعامة حزب المحافظين ، عينت كل من اللورد كارنجتون Lord Carrington (5) ، المستر ريجالد مودلينج Reginald Maudling للشؤون الخارجية في وزارة الظل . وفي لقائي مع كلا الرجلين اتضح أنهما أكثر مرحا وأعذب حديثا من المستر Rippon ولكن آراؤهم في المواضيع الرئيسية تكاد تكون واحدة . وأذكر حديثا دار بيني وبين اللورد كارنجتون عام 1975 ، حول ما أثاره من موضوع ضمان الأمن لإسرائيل . إذ قلت له «ما هذا الذي تقولونه عن أمن إسرائيل ؟» . إننا نحن العرب الذين نصالب بضمان أمننا ضد إسرائيل . إن إسرائيل دولة معتدية وتوسعية ، وهي التي تحتل جميع أراضي فلسطين ، وأجزاء من مصر وسوريا ، وتطرد سكان العرب من ديارهم لتحل محلهم اليهود الذين تستقدمهم من البلاد الأخرى . أما من ناحية القدرات الدفاعية ، فليس سرا أن إسرائيل تمتلك قوات جوية تفوق في قدراتها القوات الجوية لجيرانها العرب مجتمعين . وبالإضافة إلى ذلك فهناك شكوك تكاد تصل إلى حد اليقين ، بأن إسرائيل تمتلك القنبلة الذرية ، وتمتلك الصاروخ الذي يستطيع حملها إلى أهدافها . من الذي يحتاج إلى ضمانات بالأمن ؟ نحن العرب أم إسرائيل ؟» فرد اللورد كارنجتون «يا عزيزي الجنرال . لو أن كلامك هذا قيل لي قبل حرب أكتوبر 73 ، لوجدت فيه الكثير من المنطق ، أما بعد حرب أكتوبر 73 فقد تغيرت جميع الحسابات . إنكم تستطيعون أن تصعوا الكثير ، فلا تحاول أن تتواضع أكثر من اللازم . فأنت بالذات أعلم من غيرك بما يمكن أن تحققوه في الميدان العسكري إذا ما أتيحت لكم الفرصة بذلك» . قد يرهو لكثير من العرب لسماحهم هذا المديح من اللورد كارنجتون ، ونكبي وأن الحسير بأن أفرح له أكثر من غيري ، فإني لا أرى فيه سوى عملية تحدير وخدع ، لكي يسبح في عالم الخيال ، وننسى الواقع الذي نعيش فيه بكل آلامه ومتاعبه .

لقد زار اللورد كارنجتون كل من مصر وسوريا ولأردن والمملكة العربية السعودية خلال شهر فبراير 75 كمبعوث خاص للمسز تاتشر . وبعد عودته من هذه الرحلة ظهر في برنامج تليفزيوني يوم 5 مارس لكي يشرح للشعب البريطاني السياسة الخارجية لحزب المحافظين تجاه مشكلة الشرق الأوسط . وفي خلال هذا الحديث ، عترف اللورد كارنجتون أن هناك اتفاقا بين حزب المحافظين وحزب العمال حول سياستهما تجاه الشرق الأوسط ، وأن هذا الاتفاق لا زال قائما ، وأنه لم يخرج عنه خلال لقاءاته مع الزعماء العرب الذين قابلهم . إن كل ما قاله مما قد يفرح له العرب هو المطالبة بأن تكون سياسة بريطانيا متعادلة . even handed بين العرب وإسرائيل ، ولكنه تهرب من تفسير ما يقصده بهذا التعبير ، وبالتالي ترك الباب مفتوحا لكي يفسره كل من العرب وإسرائيل على هواه . لقد نادى اللورد كارنجتون

بضرورة تعزيز العلاقات التجارية بين بريطانيا والعرب ، وقال ان هناك فرصا ممتازة لتحقيق ذلك وعلى بأنه يأمل في أن تقوم كل من شركة لبلاند Leyland وشركة رولز رويس Rois Royce بإقامة مصنع لها في مصر . وحلاصة القول فإن السياسة الخارجية لحزب المحافظين لا تختلف عن سياسة حزب العمال تجاه المشكلة العربية الإسرائيلية ، بل الأجدر أن نقول أن هناك تطابق بين السياستين . إنهم جميعا ينادون بضرورة التمسك بقرار الأمم المتحدة رقم 242 ، ولكن عند تفسير هذا القرار فإنهم يفسرونه بطريقة تتماشى إلى حد كبير مع تفسير إسرائيل له ، وتتعارض إلى حد كبير مع التفسير المصري لهذا القرار .

لقاء مع اللورد كارادون :

كان اللورد كارادون يشغل منصب سفير بريطانيا في الأمم المتحدة عام 1967 . ويعتبره كثيرون بأنه صاحب القرار 242 المشهور . واللورد كارادون من الشخصيات المحبوبة لدى العرب ، وكثيرا ما كان يدافع عن لقضايا العربية ولكن في الحدود التي يسمح بها انتمائه إلى حزب العمال البريضي . وفي مقابلة بيني وبين اللورد كارادون يوم 12 ديسمبر 74 دارت مناقشة يت حول مستقبل القدس . فقال إنه رر مؤخرا الضفة العربية والقدس . وأنه قابل الكثير من العرب والإسرائيليين . وكلهم متفقون على ضرورة عدم إعادة تسمية القدس . وأن القدس يجب أن تبقى مدينة موحدة ، ولذلك فإنه يريد أن يتقدم بمشروع يقضى بما يلي :

أ - تكون مدينة القدس منزوعة السلاح . ولا يتواجد فيها سوى أفراد من البوليس لحماية النظام .

ب - يكون لكل فرد من سكان مدينة القدس حرية زيارة الأماكن المقدسة

ج - تقوم السلطات المدنية والمدينة بالتعاون فيما بينهم ، لتحقيق حرية العبادة وحرية التنقل .

د - يقوم مكرتير عام الأمم المتحدة بتعيين مدبوس سامي يمثل لأمم المتحدة ، ويكون القدس هي مكان إقامته . ويعمل بالتعاون مع جميع السلطات المعنية ، لكي يحقق الأهدف والمبادئ الواردة في هذا القرار

وقد وجهت الكثير من الأسئلة إلى اللورد كارادون كان من بينها : هل ستكون لقدس دولة مستقلة مثل الفاتيكان Vatican . ولها السيادة الكاملة المستقلة عن إسرائيل أو أي دولة عربية ؟ إذا لم تكن القدس دولة مستقلة فمن تكون السيادة ؟ ما هي العملة التي سيجري تداولها في مدينة القدس . وما هي هوية جوازات السفر التي يحملها سكان القدس ؟ ما هي

الجهة المختصة لإصدار تصاريح المرور لمن يريد زيارة القدس من أهالي الدول العربية والإسلامية وغيرهم من الدول الأجنبية ؟ ما هي طبيعة العلاقة بين مديون سكرتير عام الأمم المتحدة وبين السلطات المحلية الدينية والمدنية في المدينة ؟ لم تكن هناك أي إجابات لدى اللورد كارادور عن هذه الأسئلة . واكتفى بالقول إنه يمكن بحث هذه المواضيع فيما بعد . وبعد مناقشات طويلة قلت لصاحك « إن هذا المشروع بالمرور كارادور هو أشد عموقاً من القرار 242 الذي اشتهرت به . لا أعتقد أن رعباً عربياً يمكن أن يوافق على مثل هذا لقرار لغامض . كما ما نقاسيه من القرار 242 حتى الآن » .

الاجتماع مع أعضاء مجلس العموم من المحافظين .

في 12 فبراير 75 اجتمعت بأعضاء اللجنة البرلمانية المختصة بشؤون الخارجية والدفاع في حزب المحافظين . وقد تم اللقاء في إحدى قاعات مجلس العموم وحضر هذا اللقاء جميع أعضاء اللجنة وعددهم حوالي 25 نائباً برئاسة المستر بيتر ووكر Mr Peter Walker وزير الدفاع في حكومة الظل البريطانية . وقد أجبنا خلال هذا اللقاء على جميع الأسئلة التي أثيرت ، والتي كان بعضها مجرد الإحراج وتوجيه النقد إلى الدول العربية مثال ذلك « ماذا فعل العرب من أجل اللاجئين الفلسطينيين ؟ ماذا يمكن للعرب أن يفعلوه بعدما أديع من ن إسرائيل تمكثت القنبلة الدرية ؟ » وقد كان المستر نشرشل يتزعم تقديم هذه الأسئلة المخرجة . وفي هذا اللقاء دأبت عن وجهة النظر العربية وعن حق الدول المنتجة للبترول في رفع أسعار البترول . ودارت مناقشة حامية حول مقال كان قد نشره مؤخراً البروفيسور جودهارت Professor A.L. Goodhart ، وهاجم فيه حق العرب في رفع أسعار النفط ، وحرص من ذلك بأن رفع أسعار النفط ، يمكن أن يكون ممرراً للدول المستهدكة لكي تتدخل عسكرياً ضد الدول المنتجة للبترول ، لكي تضمن استمرار إمدادها بالنفط بأسعار مناسبة .

لقاء مع المستر هارولد ولسون رئيس الوزراء .

في 19 فبراير 75 حضرت مأدبة عشاء في 10 دوسج ستريت 10 Downing Street كان قد أقامها المستر هارولد ولسون رئيس وزراء بريطانيا ، تكريماً للدكتور حجازي رئيس وزراء مصر والذي كان يرور بندن في ذلك الوقت . ونظراً لأن زيارة الدكتور حجازي لم تكن رسمية ، فقد كان عدد المدعوين للعشاء محدوداً جداً ، ولم يحضره من الجانب البريطاني مع الداعي سوى المستر كالاهاك وزير الخارجية ، والمستر مودلينج المختص بالشؤون الخارجية في حزب المحافظين المعارض ، وأحد كبار رجال وزارة الخارجية . وقد دار الحديث أثناء وبعد تناول العشاء ، حول المشكلة العربية الإسرائيلية . كان الدكتور كيسجر في هذا الوقت

يبدل الجهود لتحريك القضية ضمن سياسة الخطوة بخطوة التي كان ينادي بها ، وكانت هناك كثيرا من المصاعب التي تهدد مهمته بالنشل . وكان رأي ولس ، هو ضرورة الاستمرار في الحظ الذي يتنهجه كيسجر ، وأنه لمن الخط أن يقوم العرب بنقل المشكلة إلى الأمم المتحدة ، لأن الأمم المتحدة لن تستطيع أن تتخذ قرارا بمكس للعرب أن يعتبروه منصفا . وأنه لم يحدث ذلك لوصعت المشكلة على الرف لمدة صويطة . وأبدى الدكتور حجاري موافقته على أن مجلس الأمن الدولي لن يستطيع أن يتخذ قرارا منصفا للعرب ، وأنه هو الآخر يؤيد إعطاء الفرصة للدكتور كيسجر ، لكي يجد حلا مناسبيا ومقبولا من الطرفين .

لقد كان اللقاء خاصا وليس جلسة مفاوضات رسمية . ومن هنا وجدت نفسي حرا في أن أعبر بى بحول في خاطري قلت لمستر ولسن « من وجهة نظري الشخصية ، فأنا أعتقد أن عرض المشكلة على الأمم المتحدة سوف يكون له فوائد كثيرة ، حتى ولو لم تنجح في الحصول على ما نريد . أن أقل ما يمكن كسبه هو أن نعرف الأصدقاء من الأعداء . لقد احتللت الأمور على كثير من الدس في العالم العربي ، حتى لم يعودوا يعرفون من هو الصديق ومن هو العدو . ولا شك أن المناقشات والتصويت في الأمم المتحدة ، سوف تكشف لهم قلت بوضوح » .

محاولة كسب الرأي العام البريطاني :

لقد حقق الشعب البريطاني الديمقراطية التي يمارسها اليوم ، بعد فترة صراع دامت ثمانية قرون ، سقط فيها الكثير من الرؤوس التي كانت تقاوم الطغيان وتنادي بالحرية . ولذلك فإن البريطانيين هم أشد الناس حرصا على الديمقراطية ، وأكثرهم استعدادا وتفايا في الدفاع عنها . ومنذ زمن بعيد وحتى يومنا هذا ، يجمع يوميا في حديقة هيد بارك Hyde Park في قلب لندن ، عشرات من الخطباء . ويتجمع حولهم مئات من الناس لكي يسمعوا إليهم وهم بشرح وجهة نظرهم في المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ويحاور المستمعين الخطباء في حرية تامة . وعلى بعد خطوات من هذه التور الخطابية ، نفس الشرطة البريطانية دون أن تتدخل حتى لو كان أحدهم ينادي بإنهاء الملكية في بريطانيا ، أو كان ينادي بسقوط الحكومة البريطانية . لقد أصبح ركن الخطابة في حديقة هيد بارك جزء من المعالم السياحية لمدينة لندن حيث يتذر أن يزور أجنبي هذه المدينة دون أن يزور هذا المكان .

ومع تطور وسائل الإعلام الحديثة سجلت الصحف ومحطات الإذاعة للراديو والتلفزيون كتابر جديدة لإبداء الرأي . ولكن شأن ما بين من يعتلي منبرا خشبيا في حديقة هيد بارك

ويستمع اليه بضع عشرات من الناس وبين من يعتلي منبر صحيفة فيستمع اليه مئات الآلاف .
 أو أن يعتلي محطة لمراديو والتليفزيون . فيستمع اليه حوالي عشرة ملايين من الناس . إنها
 مسافة غير عادلة بل إنها ظلمة . ولكن في ظل هذه الديمقراطية ، فإن الدولة لا تستطيع
 أن تمنع أي فرد أو هيئة من أن تختار أي من هذه الوسائل الإعلامية . إن هذا المانع من
 وجهه نظرهم يعني فرص قيود على الديمقراطية . وقد سارع أنصار اليهود والهيئات الصهيونية
 في بريطانيا إلى امتلاك الكثير من وسائل الإعلام . وبذلك أصبح لهم السيطرة على وسائل
 الإعلام البريطانية .

ولكن هذه الهيئات الصهيونية ، كانت من الذكاء بحيث أنها لم تغلق هذه الماير
 الإعلامية في وجه من يعارضها إغلاقاً تاماً . إنهم يعملون أن ممارسة حرية التعبير في بريطانيا .
 تستمد قوتها من العرف والتقاليد المتوارثة ، وليس نتيجة لمجرد قوانين وضعية . ولذلك فإن
 أصحاب هذه الماير ، يحرصون دائماً على أن يفتحوا الباب لبعض الشيء أمام من لا يتكلمون
 هذه المناير ، وذلك حتى يبعدوا عن أنفسهم تهمة اتخاذ موقف معاد لحرية التعبير ، وحتى
 يقدموا للناس هذه الماير وكأنها صورة حية من صور الديمقراطية . ولكن اللاحث المدقق ،
 يستطيع أن يكشف بسهولة أن هذه المائدة الديمقراطية التي يفتحونها من تحتها هذه الماير .
 إنما هي صمام أمان لهم يفتحونه أحياناً ويعلقونه أحياناً أخرى . تبعاً لطبيعة الصراع الدائر .
 وإن الحقيقة المرة هي أن أصحاب هذه الماير همكود مادهم سيطرة قوية وحادة .
 يستطيعون من خلالها أن يسيطروا على عقول الناس ، وأن يقنعوهم بأن الرأي الذي يقدمونه
 لهم إنما هو في مصلحتهم . حتى ولو كانت الحقيقة هي عكس ذلك تماماً . وفي ظل هذه
 الأوضاع ، كان الرأي العام البريطاني لا يعرف عن قضية الصراع العربي الإسرائيلي إلا ما
 يؤكد تأييده لإسرائيل .

لقد صورت الدعاية الصهيونية أن اليهود شعب متدين . يفهم دونه عصرية حديثة فوق
 أرض فلسطين ، وسط بحر من شعوب عربية لا تزال تعيش في عصور متخلفة ، يمارسون
 فيها الرق ويركزون الجمال ويمتلكون الحريم . وإن إقامة دولة إسرائيل لن ينع البشري
 فحسب ، بل أنه سيعود بالمائدة على العرب أنفسهم الذين يعيشون في تلك المنطقة وإن
 إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تمارس فيها ديمقراطية . في حين أن جميع الدول العربية
 تمارس فيها الحكم الأنوقراطي تحت أشكال متعددة . وأن للعرب أراضي واسعة . فساد
 يصون على إسرائيل بهذه الرقعة الصغيرة من الأرض . وأن إسرائيل ستوقها العسكري
 والتكنولوجي ، فإنها تستطيع أن تفرض السلام في منطقة الشرق الأوسط وتحمي مصالح
 الدول الغربية والدول الصناعية في هذه المنطقة . وأن العرب هم الذين يخطفون الطائرات .

ويقتلون النساء والأطفال في إسرائيل ، وأن العارات التي تقوم بها القوات الإسرائيلية والمخابرات الإسرائيلية على الأرض العربية . إنما هي عمليات دفاعية تدخل ضمن تعريف الحق الشرعي للدفاع عن النفس . الخ .

كان لابد لي أن أخلق نوعاً من الاتصال بيني وبين شعب البريطاني . لكي رد على هذه الاتهامات الظلمة ، التي ألصقتها الصهيونية بعقول الناس ولكن كيف وجميع المآثر الإعلامية تحت سيطرة اليهود لقد لعب عاملان دوراً هاماً في إتاحة الفرصة لي لموصول إلى هذه المناظر أما العامل الأول فكان قيام الصهاينة بمهاجمتي عندما عيبت سفيرا في لندن . وقيامي بالرد على هذه الاتهامات ونشرت الصحف دفاعي فكان هذا هو أول تصد يعرض بيني وبين الرأي العام البريطاني وقد قام بعض أقطاب اليهود بالرد على دفاعي فقت بالرد عليهم واستمر الجدل بيني وبينهم حول هذا الموضوع بضعة أشهر ومن خلال الدرع عن نفسي فمت بنوجيه النقد اللاذع للصهيونية البريطانية التي تعض الطرف عن الأعمال الوحشية التي تقوم بها إسرائيل في جنوب لبنان ، بينما تقوم بتصحيح الأعمال التي يقوم بها عدد محدود من القذائين : الذين شردتهم إسرائيل من ديارهم ، وتكر لهم المجتمع الدولي . ومن خلال هذا الصراع الإعلامي تولد لدى الشعب البريطاني نوعاً من الاهتمام بقضيتنا مع إسرائيل

أما العامل الثاني فقد كان ارتباط اسمي بحرب أكتوبر 73 لقد صورت الدعاية الإسرائيلية في الماضي خط بارليف بأنه خط لا يمكن اختراقه . ولقد نجح المصريون في اختراق هذا الخط وتدميره خلال 18 ساعة . وهذا الرجل الذي يعتبرونه قاهر خط بارليف إنهم يريدون أن يروا هذا لرجل ويستمعوا إليه وهو يتكلم في التليفزيون أو الراديو . إنهم يريدون أن يقرأوا ما يكتبه في الصحف . لقد كانت هذه المآثر تسعى إلي ولا أسعى إليها واغتنمت الفرصة وساعدني في ذلك إجادتي للغة الإنجليزية ، فكنت أتكلم في الإذاعة والتليفزيون وأرد على الأسئلة التي توجه إلي أمام الميكروفون وبدون أي تحضير مسبق ، مما جعلني أكتسب ثقة المستمعين والمُشاهدين .

وفي خلال عام واحد ظهرت في التليفزيون البريطاني 4 مرات . وأدليت بأحاديث في الإذاعة 6 مرات ، وكتب في الصحف 8 مرات . وفي كل هذه الأحاديث كنت أحاول أن أقدم القضية العربية للشعب البريطاني في صورة مقبولة ، وأن أزيل عنها حملات التشويه والتحريض التي حاولت الصهيونية أن تلصقها بها .

المسلمون في بريطانيا :

تنتمي الغالبية العظمى من المسلمين البريطانيين إلى أصول هندية (لهند ، الباكستان ،

بـ (جـلاديش) . ولا يمثل المسلمين الذين يتحدرون من أصول عربية سوى 20٪ أو أقل من إجمالي المسلمين في بريطانيا . ونظرا لعدم وجود إحصاء بريطاني بين عدد المسلمين في تلك البلاد ، فقد تعاونت سفارات الدول الإسلامية في لندن عام 74 في إجراء عملية إحصاء تقريبية لتقدير عدد المسلمين في المملكة المتحدة ، وتوصلت إلى أن عددهم يبلغ حوالي مليون ونصف المليون في ذلك الوقت . وبالرغم من أن المسلمين كانوا يشكلون 2.66٪ من تعداد السكان في بريطانيا ، إلا أن مساهمتهم في الحياة السياسية والاقتصادية البريطانية كانت تكاد تكون معدومة ، إذ ما قورنت نصيب غيرهم من الأقليات الأخرى في بريطانيا .

نعيش الغالبية العظمى من المسلمين في اندرك الأسفل من السلم الاجتماعي البريطاني ولم يصل بريطاني مسلم واحد إلى إحدى وظائف لإدارة العليا في الدولة . كذلك لم يصل أحدهم قط إلى مجلس العموم أو مجلس اللوردات . إن عدد المسلمين في بريطانيا يبلغ أربعة أمثال عدد اليهود في تلك البلاد ، ومع ذلك فإن اليهود يحتلون 46 مقعدا في مجلس العموم ، 11 مقعدا في حكومة العمال في ذلك الوقت . إن هذه التفرقة بين لنا الفرق الشاسع بين القوة التأثيرية لهاتين الفئتين . وبالرغم من كل هذه الظروف ، فإن المسلمين البريطانيين ، وبدون أي توجيه أو جهد إعلامي من الدول العربية ، كانوا يقفون دائما موقف المؤيد للحق العربي في قضية الصراع ضد إسرائيل . إنهم مواطنون بريطانيون شرفاء ، مروا بتجارب قاسية صقلت تفكيرهم ، وأعطتهم ساعة ضد وسائل الإعلام التي تقع تحت سيطرة لصهيونية والأمريالية . لقد قاسوا هم وأجدادهم مرارة الاستعمار قبل أن يترحوا إلى بريطانيا . ولذلك فإنهم يقومون دائما ضد الاستعمار وضد التوسع الإسرائيلي . لقد قاسوا هم وأجدادهم مرارة التفرقة العنصرية ، ولذلك فإنهم يعارضون ويقفون ضد التفرقة العنصرية التي تدرسها إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة . ووفق هذا وذاك فإنهم مسلمون يتطلعون إلى مقدساتهم الدينية في مدينة القدس ، ويضالون بصراحة استردادها بواسطة المسلمين . ومن هنا فإن المسلمين في بريطانيا هم حلفاء طبيعيين للعرب في نضالهم ضد إسرائيل .

إن تقديم الدعم المالي والثقافي لمسلمين في بريطانيا ، بل وفي البلاد الأوروبية الأخرى ، هو مسؤولية جميع الدول العربية والإسلامية . إنهم يحتاجون إلى المال الذي يبنون به مساجدهم . إنهم يحتاجون إلى المدارس الدينية التي تقوم بتثقيف أبنائهم ، ونقوبة إيمانهم ، حتى لا يذوبوا في الأديان التي تسود مجتمعاتهم . إنهم يحتاجون إلى رؤوس الأموال التي تمكنهم من العمل بحرية ، وتخلصهم من سيطرة رؤوس الأموال الصهيونية . إن تدعيم المسلمين في بريطانيا ومساعدتهم في تنظيم أنفسهم ليس واجبا دينيا فحسب ، بل هو أفضل استثمار لصالح لقضية العربية والإسلامية . لو أن في مجلس العموم لبريطاني 10 - 15 عضوا مسدما ، لو أن في

الحكومة البريطانية عضواً أو عسوين من المسلمين . لو أن المسلمين يمتلكون صحيفة كبيرة ، أو محطة إذاعة أو محطة تليفزيون أو دار كبيرة للشر . لو حدث هذا بالرغم من ضآلته إذا ما قورن بما يمتلكه اليهود البريطانيون ، لما أصبحت الساحة البريطانية وقفاً على انصافته وحدهم ، يقولون للشعب البريطاني ما يريدون ويحجبون عنه ما يريدون .

كنت ولازلت أرى أن بناء المساجد الصخمة في العواصم الأوروبية لا تحقق أي هدف من الأهداف ، اللهم إلا أن تكون مظهراً من مظاهر الأبهة والغنى التي تتفاخر به الدول الإسلامية . إن المسجد الواحد يتكلف حوالي 15 - 20 مليون جنيه استرليني في حين أن هذا المبلغ يكفي لبناء 100 وحدة صغيرة يتكون كل منها من مسجد صغير ومدرسة ، لكي يؤدي نفس الرسالة التي كانت تقوم بها المساجد في صدر الإسلام . إن المسلمين الذين يعيشون في الدول المسيحية لا يتجمعون في نقطة جغرافية واحدة تتطلب مثل هذه الحوامع الكبيرة . بل أنهم ينتشرون في أعداد قليلة ، ومن الصعب عليهم أن لم يكن من المستحيل أن يسافروا مئات الأميال لكي يؤديوا الصلاة أو لكي يحضروا درسا دينيا . إن الجامع الصغير الذي يستوعب 100 - 150 شخص للصلاة هو أنسب أحجام الحوامع في تلك البلاد . إنه يمكن أن يعب دور الجامع والمدرسة ونادي . ويخدم كل تجمع من المسلمين يبلغ حوالي 15000 نسمة وفي أحد لقاءاتي الشهرية مع سفراء الدول الإسلامية في لندن ، صارحتهم بأفكارهم وأقنعتهم بها فطلبوا مني التقدم بمشروع كامل عن هذا الموضوع ففعلت . وعرضته عليهم فأقروه ورفعوه إلى الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية بتاريخ 21 يناير 1975 . كان المشروع يتكلف 15 - 20 مليون جنيه استرليني ويتم تنميته خلال عشر سنوات .

قد يتساءل أحد القراء ولماذا يطلب من المملكة العربية السعودية وحدها التبرع لهذا المشروع ؟ أليست مساعدة المسلمين واجب على كل مسلم قادر ؟ كما وأن هناك دولاً عربية مسلمة أخرى غنية يمكنها أن تساهم في هذا المشروع ؟ وهذا حقيقي وقد نوقشت هذه الآراء في اجتماعات مجلس السفراء . ولكن الخبرة والممارسة الفعلية قد أثبتت أن اشتراك دول كثيرة في مشروع واحد يجعل كل منها تعتمد على الأخرى ، ويفرض على القائمين بالمشروع الاتصال بجهات متعددة مما يترتب عليه ضياع الكثير من الوقت والمجهود .

حيذا لو أن كل دولة من الدول الإسلامية الغنية تبني مشروعاً متكاملاً مثل هذا المشروع في إحدى الدول المسيحية فتتولى إحداها شؤون المسلمين في المملكة المتحدة وتتولى الأخرى شؤونهم في فرنسا وهكذا . إن ذلك سيخفف الكثير من المشاكل الإدارية . وبالإضافة إلى ذلك فإن ارتباط مشروع معين باسم دولة معينة . يكون عادة حافزاً لها ، ويدفعها لأن تكون أكثر حماساً وأكثر رغبة في إنجازه في أقصر وقت ممكن .

عندما أميت عملي كسفير في لندن في يوليو 75 م. يكن قد تم شيء من هذا المشروع
ولكنني علمت فيما بعد أن لفكرة قد لافقت قبولا وأن كثيرا من تلك المساجد الصغيرة قد
تم بناؤها خلال السنوات الخمس الماضية .

الفصل الخامس

العلاقات الثنائية بين مصر وبريطانيا

العلاقات التجارية بين مصر وبريطانيا :

لقد تدهورت العلاقات التجارية بين مصر وبريطانيا بعد الاعتداء ثلاثي (البريطاني الفرنسي الإسرائيلي) على مصر عام 1956 . وأخذ يتناقص حتى وصلت صادراتنا إلى المملكة المتحدة عام 1972 إلى 13 مليون جنيه استرليني فقط ، وبلغت وارداتنا منها عن نفس العام إلى 18 مليون جنيه . ثم أخذت التجارة بين البلدين تنشط قليلا خلال عام 73 فوصلت صادراتنا إلى 24 مليون جنيه ، وبلغت وارداتنا منها في نفس العام إلى 27 مليون جنيه .

وفي عام 1974 أعلن السادات سياسة الانفتاح . وصدر القانون رقم 43 في يوليو 1974 الذي يشجع استثمار المال الأجنبي في مصر ويمنحه لكثير من الصيانات والتسهيلات . وفي إطار هذه السياسة أقيمت لدنات الاقتصادية والتجارية . وتعددت زيارة الوفود من البلدين في يوم 22 أكتوبر 74 أقيمت العرفة لتجارية البريطانية لقاء كبيرا حيث قام الأستاذ محمود لطفي الذي حضر خصيصا من مصر . شرح ومناقشة قانون الاستثمار الأجنبي . وفي 9 ديسمبر 74 عقد في لندن مؤتمر آخر ، نظمته مجلة (M E E D) *Middle East Economic*

Digest . وقد استمر المؤتمر لمدة يومين لمناقشة موضوع « توقعات التجارة والاستثمارات الأوروبية في منطقة الشرق الأوسط » . وقد اشتركت مصر في هذا المؤتمر بوفد مكون من أربعة محاضرين برئاسة الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد وكيل الوزارة بالأمانة العامة لمجلس الوزراء⁽⁶⁾ . وتركز حديثهم على أهمية ومستقبل الاستثمار الأجنبي في مصر . هذا وقد سافر إلى مصر مئات من رجال الأعمال البريطانيين للبحث عن فرص الاستثمار وتسيمة العلاقات

بين البلدين . ولعل أبرز هذه الزيارات هي تلك الزيارة التي قام بها وفد من الفرقة التجارية برئاسة اللورد سليم Lord Slim ، في أوائل مايو 75 .

ونتيجة لكل هذه الإجراءات بدأت التجارة الخارجية بين البلدين في التحسن . ولكي كان تحسنا طفيفا . فبلغت صادراتنا إلى بريطانيا عام 74 ما قيمته 37 مليون من الجنيهات ، بينما بلغت وارداتنا منها 52 مليونا .

العلاقات الثقافية :

ترتبط مصر وبريطانيا بعلاقات ثقافية قديمة ، بدأت منذ الاحتلال البريطاني لمصر في أواخر القرن الماضي ، وأخذت تتزايد على مر السنين وحتى وقتنا هذا . وبالرغم من أن هذه العلاقات قد أصابها بعض الفتور أحيانا ، كنتيجة مباشرة لتدهور العلاقات السياسية بين البلدين في أعقاب الاعتداء البريطاني على مصر عام 1956 ، إلا أن هذه العلاقات الثقافية سرعان ما استعادت مراكزها ، وعادت إلى ما كانت عليه . ويعتبر مكتب البعثة التعليمية بلندن ، من أقدم مؤسساتنا الثقافية في الخارج . وقد أنشئ هذا المكتب عام 1912 . كما تم إنشاء مكتب ثقافي عربي في لندن عام 43 . ثم وحدث إدارة المكتبين منذ عام 48 تحت اسم المكتب الثقافي المصري . وينظم العلاقات الثقافية بين جمهورية مصر العربية والمملكة المتحدة حاليا معاهدة ثقافية ، تم تحضيرها في 26 سبتمبر 65 ، وتم تبادل وثائق التصديق عليها في 16 أكتوبر 68 ، وبدأ العمل بأحكامها اعتبارا من أول نوفمبر 68 . وتنص المادة الحادية عشر من هذه المعاهدة بأن المدة المحددة للعمل بها هي أربع سنوات ، تتحدد تلقائيا ما لم يحظر أحد الطرفين الطرف الآخر برغبته في إنهاء المعاهدة . وبناء على هذا النص فإن المعاهدة سارية المفعول حتى الآن .

وقد بلغ عدد الطلاب الدارسين تحت إشراف المكتب الثقافي المصري في لندن ، 1000 طالب خلال العام الدراسي 75/74 . ويستهدف الدارسون تحت إشراف المكتب ، الدراسة والبحث للحصول على درجة الدكتوراه أو ما يعادلها . ويقوم بعضهم بالتحضير للدرجات المهنية عالية كزمالة الجراحين أو زمالة المحاسبين الخ . وبالإضافة إلى ما يقوم به المكتب الثقافي المصري من أعمال في هذا المجال ، فهناك كثير من العلاقات الثقافية التي تتم خارج نطاق هذا المكتب . مثال ذلك اتفاق الاستفادة من مشروع الكتب العلمية البريطانية ذات الأسعار المخفضة ، واتفاق التعاون العلمي بين أكاديمية البحث العلمي والجمعية الملكية العلمية البريطانية ، واتفاق الدعم الفني الذي تم مع وزارة التربية والتعليم .

النشاط السياحي :

تدل الإحصائيات على أن حجم الحركة السياحية من المملكة المتحدة إلى مصر ، ازداد

ازديادا مضطربا خلال عام 1974 . ففي عام 73 كان عدد السياح من المملكة المتحدة 16049 ، وارتفع هذا الرقم عام 1974 إلى 18673 أي بزيادة 16% . وقد كان من الممكن أن يرتفع عدد السياح البريطانيين إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير ، ولكن النقص في عدد الأيسرة الفندقية في مصر ، هو الذي كان يحول دون ذلك . وقد دفع هذا الموقف وزارة السياحة المصرية ، إلى العمل على تشجيع المستثمرين الأجانب لإقامة الفنادق في مصر . وقد تقدمت عدة شركات دولية بعروض لإقامة هذه الفنادق وقبلت الجهات المختصة في مصر عددا من هذه العروض . ولكن بعضا من هذه العروض كان يشوبها الكثير من علامات الاستفهام . ولعل أبرز هذه الأخطاء ، هو المشروع السياحي الذي كان يرمي إلى بناء 10000 غرفة في منطقة الأهرام ومنطقة رأس الحكمة ، والذي عرف فيما بعد بمشروع هضبة الأهرام .

مشروع هضبة الأهرام :

في يوم 21 يونيو 74 تلقت خطاب من السيد ديفيد جيلمور Mr David H. Gilmour نائب رئيس شركة (SPP) Southern Pacific Properties Limited سودرن باسفيت المتحدة ، بخصوص مشروع سياحي في مصر . كان هذا هو أول معلومات تصل إلي عن هذا المشروع الذي عرف فيما بعد بمشروع هضبة الأهرام . وفي يوم 26 يونيو استقبلت في مكنتي رئيس الشركة السيد بيتر منك Peter Munk ، ومعه كل من السيد سيمون بادوك Mr Simon Paddock ، والسيد شارل رياشي Mr Charles Riachi لكي يشرح لي أبعاد هذا المشروع طبقا للفكرة الأولية Pilot Project التي كان قد أرفقها مع خطابه السابق الإشارة إليه . ومنذ ذلك الحين شهدت الأقدار أن أكون أحد الشهود لأكبر عملية نصب واحتيايل ورشوة تمت في مصر منذ حفر قناة السويس وحتى وقتنا هذا وسوف أقصر هنا مختصرا عن هذا المشروع وملاساته كما وصلت إلي بحكم مناصبي كسفير مصر في هذه الفترة .

تقدمت شركة S.P.P. في أبريل 74 إلى الحكومة المصرية بالفكرة الأولية عن هذا المشروع Pilot Project . وكما تقول الشركة في مقدمة المشروع ، أن ذلك تم بناء على تشجيع encouragement من السيد عثمان أحمد عثمان . ثم وصلت إشارة تليمونية من السيد أحمد ركي مدير شركة مصر للسياحة والفنادق إلى شركة S.P.P. بتاريخ 17 يوليو ، تطلب منهم إجراء دراسة الجدوى للمشروع feasibility study حتى يمكن عرضه على السلطات المختصة لموافقة على المشروع . وفي يوم 21 يونيو أذاعت شركة S.P.P. بأن الحكومة المصرية قد دعت invited الشركة المذكورة ، لكي تبدأ في تطوير أكبر مشروع سياحي في مصر ، ثم أخذت تشرح في أبعاد المشروع ومستقبله وما يتطرق له من بجاح .

ويلاحظ أن إسراع شركة S.P.P. بإذاعة هذا البيان بالصحف كان يقصد به أن يعنى باب المشروع أمام أي شركة منافسة وأن عدم قيام مصر بإجراء مناقصة عالمية عن المشروع ، وعدم قيامها بتكديس بيان شركة S.P.P. يؤكد بأن بعض المسؤولين المصريين كانوا ضالعين مع الشركة في هذه الصفقة المشبوهة .

حصر مدير الشركة لمقابليتي يوم 26 يونيو ، وقد قلت له أن فكرة المشروع Pilot Project طبقا لما بعثت به إلي منذ خمسة أيام لا اعتراض عليها . فكنا نود أن نعمل على تشييط السياحة في مصر ، ولكن السيد أحمد زكي قد طلب مني إجراء دراسة الجدوى Feasibility studies وأنت لم تتقدم بهذه الدراسة حتى الآن . فوعد بأنه سيبعث بلقنين إلى القاهرة لإجراء هذه الدراسة وأن ذلك سيستغرق حوالي شهرين على الأقل ، ثم يحضر بعد ذلك لمقابلي ومعه هذه الدراسة . وبعد ذلك بعدة أسابيع وصلتني رسالة من القاهرة تسألني عن صحة شركة S.P.P. ومركزها المالي فأجبتهم بأن المعلومات المتوفرة لدي عن هذه الشركة شحيحة ، حيث أنها لا تتمركز في لندن وليس لها أي نشاط في المملكة المتحدة . وطلبت من القاهرة أن تسأل عن موقف الشركة حيث يوجد مركزها الرئيسي . ثم انقصت معلوماتي عن هذا الموضوع نهائيا إلى أن علمت في أواخر شهر ديسمبر 74 ، بأنه قد تم الاتفاق بين الشركة وبين الحكومة المصرية حول إقامة مشروع سياحي تبلغ تكاليفه 400 مليون دولار ، وأن العقد قد وقع بين الطرفين في القاهرة بتاريخ 12 ديسمبر .

وفي يناير 75 كان أمامي صورة طبق الأصل من العقد المبرم بين الحكومة المصرية وبين الشركة . قرأت العقد أكثر من مرة وأنا لا أصدق عيادي . كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ هل بعثت روح دليسيس وتقمصت شخصية المستر David Gilmour ؟ وهل بعثت روح الحديوي اسماعيل لكي تنقمص شخصية السادات ؟ ما هذا التشابه العجيب بين عقد قناة السويس 1859 وهذا العقد الذي أرم بعده عمدة 115 سنة . إن الربح كل الربح للأجنبي ولغرم كل الغرم على مصر المسكين . التي ابتلاها الله في الحالتين بحاكمين مفتونين بكل ما هو أجنبي ، يبيعون تراث وممتلكات بلادهم بثمن بخس .

لقد اشتهر هذا المشروع فيما بعد بمشروع هضبة الأهرام أما الحقيقة فإن المشروع يشمل موقعين . أحدهما هو هضبة الأهرام ، والثاني هو هضبة رأس الحكمة في الصحراء الغربية . بموجب هذا العقد تشكل شركة جديدة للقيام بتنفيذ هذا المشروع . ويكون رأس ماله 2000000 دولار . تساهم فيها شركة S.P.P. بمبلغ 60% وتمتلك مصر باقي الأسهم وقدرها 800000 دولار . وبدلا من أن تقوم مصر بدفع هذا المبلغ ، فإنها تتنازل لشركة المذكورة عن 20000 فدان في منطقة الحرم ، 20000 فدان في منطقة رأس الحكمة .

وهذا يعني أن الحكومة المصرية ، قبلت أن تبيع إلى الشركة المذكورة 40000 فدان بمبلغ 800000 دولار ي بمعدل 20 دولار فقط لفدان . هل يعقل أن تبيع مصر المتر المربع في منطقة الحرم بثلاثة مليارات ؟ أعيد مرة أخرى ثلاثة مليارات للمتر حتى لا يعتقد أحد أن هناك خطأ مطبعي . من هم هؤلاء الصابون من المصريين الذين ساهموا في تأسيس هذه الشركة ، وشترها من بلدهم المتر بثلاثة مليارات لكي يبيعوه بعد ذلك بعشرات الجنيهات . بل وبمئات الجنيهات لو استمرت عمية النصب في طريقها المرسوم ؟

ليت هذا فحسب بل هناك نود أخرى كثيرة مجففة بمصر . مثال ذلك أن مدة العقد 50 سنة⁽⁷⁾ وأن تتحمل مصر وحدها جميع التكاليف المترتبة على ربط هذين الموقعين ، بالطرق ، والمطارات ، والتليغرافات مع إعطاء ذلك أسبقية كبرى . ومن تعمي الشركة من الصرائب لمدة ثمان سنوات بعد بدء تشغيل المرحلة الأولى . والتي يتم خلالها إنشاء وتشغيل فنادق طاقب 4000 غرفة نوم . وأكثر من هذا وذلك أن يكون لشركة S.P.P. حق التنازل عن حقوقها إلى طرف آخر .

هناك كثير من الأسئلة التي لن نحصل عليها إلا إذا تكلم السيد ابراهيم نجيب وزير سياحة ، لأنه هو الذي وقع على هذا العقد . لا شك أن ابراهيم نجيب يعرف لكثير من الأسرار والملاسات التي أحاطت بالوقيع على هذه الصفقة الحاسرة . ولا شك أن لديه الإجابات عن تلك الأسئلة الحائرة :

1 - لماذا لم تقوم وزارة السياحة بعرض لمشروع في مناقصة عالمية ولا سيما وأن التقديرات المبدئية للمشروع تقدر بمبلغ 400 مليون دولار . أبس من المصالحك أن تقوم الحكومة بعمل مناقصة عندما يريد أن يبني غرفة قد لا يريد تكلفتها عن 400 دولار ثم لا تقوم بعمل مناقصة عالمية لمشروع تبغ تكاليفه حوالي 400 مليون دولار ؟

2 - كيف يمكن لشركة رأس مائها 2 مليون دولار أن تقوم بشمول مشروع تلغ تكاليفه 400 مليون دولار ؟

3 - كيف يمكن لمصر أن تبيع 40000 فدان في أشهر مكان سياحي في العالم بمسح ثلاثة مليارات للمتر المربع ؟

ويبدو أن شركة S.P.P. كانت هي نفسها تشعر بالحرج ، نتيجة السهولة والسرعة التي تمت بها هذه الصفقة الغير متكافئة ، وأن هذا المشروع لا بد وأنه سيكون محل نقد في الداخل والخارج . لذلك فإن الشركة كانت حريصة على أن تعلن في الصحافة العالمية ،

بأن المشروع قد عرض على الرئيس السادات وهو في صورته النهائية . وأنه وافق عليه يوم 23 سبتمبر 74 . وهذا يشير أسئلة أخرى . لماذا هذا الاهتمام الكبير من طرف السادات حول هذا المشروع ؟ لماذا يتدخل رئيس الجمهورية في مثل هذه الشؤون الفنية والمالية ، قبل أن تتم دراسة المشروع بواسطة القسنيين والمختصين ؟ إذا كان السادات قد وافق على المشروع في صورته النهائية في 23 سبتمبر فما هي الأسباب التي دفعت المختصين إلى تأجيل التوقيع 80 يوما ؟ هل عارض وزير السياحة أو غيره من المختصين في المشروع ؟ وهل حدث ضغط عليهم للتوقيع على المشروع ؟ هل من مجيب على هذه الأسئلة ؟

لقد نوقش الموضوع في مجلس الشعب عام 1978 ، وقد تدخل السادات شخصيا لإنهاء المناقشات ويوقف المشروع . ولكن الموضوع أكرر من ذلك بكثير . ان رئيس الجمهورية هو أحد الأصراف الرئيسية في الموضوع . وقد أراد بإيقاف المشروع أن يمنع الفصائح التي قد تظهر إذا ما تشعبت المناقشات . ان أموان مصر ومصالحها أكبر من أن يتاجر بها حفة من الأفاقين ومرتشين .

لقد نكمت صحف عملة عن عسولات صحمة دفعتها شركة S.P.P لكي تحصل على هذا الامتياز وإيانا نريد أن نعرف من هم هؤلاء الذين يسرقون أموان الشعب ويتاجرون بممتلكاته وتراثه وتاريخه .

وزير الخارجية في زيارة رسمية للمملكة المتحدة :

قام السيد اسماعيل فهمي وزير خارجية مصر بزيارة رسمية للمملكة المتحدة ما بين 10 - 13 يونيو 1975 . وفي خلال هذه الزيارة ، تمت عدة لقاءات بينه وبين الرعماء البريطانيين سواء من كان منهم في الحكومة أو كانوا في المعارضة . وبالرغم من أن قرار نقى إلى البرتغال كان قد صدر قبل ذلك ، إلا أنني كنت أراققه في جميع هذه اللقاءات (8)

وقد عقد أول اجتماع رسمي بين السيد اسماعيل فهمي والمستر كالاهاان وزير الخارجية في مبنى وزارة الخارجية البريطانية في الساعة 17,00 يوم 10 يونيو . وفي هذه المقابلة جرى الحديث حول موضوعين . كان الموضوع الأول هو موقف لمملكة المتحدة من القضية العربية ، وكان موقف كالاهاان هو موقف بريطانيا الثابت والكلاسيكي «تنفيذ قرار مجلس الأمن 242 بجميع عناصره ويشمل ذلك انسحاب إسرائيل من أراضي محتلة مع التأكيد على حذف ال التعريف ، وتحقيق الأمن لإسرائيل ... الخ» . ونظرا لعدم وضوح القرار والاختلاف حول تفسيره ، فقد كان الطرفان يسيران في حلقة مفرغة ، تؤدي إلى تكرار وجهات النظر التي سبق أن ذكرت في الأمم المتحدة والتي سبق مناقشتها على صفحات الجرائد ووسائل الإعلام

الأخرى . أما الموضوع الثاني فهو طلب مصر عقد صفقة أسلحة مع بريطانيا بعدة مئات من ملايين الجنيهات الاسترلينية . وقد استجاب الجانب البريطاني بسرعة لهذا الطلب . ولكن الغريب في هذا الموضوع هو عدم تحديد نوعية أو حجم هذا السلاح ، فلا الجانب المصري تقدم بهذا الطلب ، ولا الجانب البريطاني تسأل عن ذلك . ويبدو وكأن كلا من الطرفين ، كان يريد أن يثبت بالآخر حسن نيته دون أن يقصد حقا تحقيق ما كان يقول .

وفي الساعة 11,30 يوم 11 يونيو استؤنفت المفاوضات بين الوريثين وكان موضوع البحث في هذه الجلسة هو مشكلة قبرص . عندما افتتحت الجلسة قال المستر كالاهاان وقبل أن تبدأ الحديث حول مشكلة قبرص ، فإني أود أن أشير بكلمة قصيرة عما تم الاتفاق عليه أمس بخصوص صفقة الأسلحة . لقد وصلنا تقارير صباح اليوم من فرنسا ، تفيد أن السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية المصري الذي يرور باريس حاليا ، قد أدلى بتصاريح تفيد بأن هيئة التصنيع العربية قد عقدت مع فرنسا عدة عقود تشمل إمداد مصر بأسلحة متقدمة تبلغ قيمتها مئات الملايين من الجنيهات . كما أن فرنسا قد أعلنت عزمها على تقديم المساعدات الفنية لهذه الهيئة ، لكي تقوم بإنتاج بعض من هذه الأسلحة . وإنا نريد أن نؤكد من سعادة وزير الخارجية المصري عن حقيقة هذه التصاريح ، ومدى تأثيرها على ما تم اتفاق عليه بالأمس ، قام اسماعيل فهمي بالتقليل من أهمية التصاريح المسوبة إلى حسني مبارك ، وأكد للمستر كالاهاان بأن ما تم الاتفاق عليه في اليوم السابق هو أساس السياسة الخارجية المصرية . ولكنني أعتقد أن تأكيدات اسماعيل فهمي لم تنجح في إزالة كل الشكوك التي ولدتها تصاريح حسني مبارك لدى المستر كالاهاان . وقد علمت فيما بعد أن شكوك المستر كالاهاان كان لها ما يبررها . فقد كنت أزور الدكتور أشرف مروان بعد ذلك بيومين في إحدى مستشفيات لندن ، وتبادلنا الحديث حول هيئة التصنيع العربية وتصاريح حسني مبارك فأكد لي صحتها . فحكيت له ما دار من مناقشات حول هذا الموضوع أثناء لقائنا مع المستر كالاهاان وأن هذه التصريحات قد وضعت اسماعيل فهمي في موقف حرج للغاية فعلق قائلا « يستاهل » له التدخل في أمور ليست من اختصاصه ؟ إنا في الهيئة لم نفكر ولم نتصل حتى الآن بأي جهة بريطانية حول هذا الموضوع » .

وفي أثناء مناقشة مشكلة قبرص وجه اسماعيل فهمي بعض اللوم إلى كالاهاان واتهم الحكومة البريطانية بأنها لم تقم بالتزاماتها تجاه قبرص . وأنه من واجبها أن تستخدم جميع الوسائل الممكنة لفرض الوحدة في الجزيرة بما في ذلك حق استخدام القوات المسلحة . ويبدو أن كلام اسماعيل فهمي قد صبح في أسلوب أثار حفيظة كالاهاان ، فصاح فيه غاضبا « استخدام القوة المسلحة ؟ كيف وبماذا ؟ ان استخدام القوات المسلحة له قواعد وأصول .

ان معنا هنا الجيران الشاذلي ، ويستطيع أن يحدثنا إذا كان في إمكان بريطانيا أن تستخدم قواتها المسلحة ضد قوات انغزو التركية . ونظر الجميع إلي ينتظرون تعليقي . كنت في موقف حرج للعبة . ان قرب قبرص من السواحل التركية يجعل تركيا في وضع يسمح بحشد وإدخال قوات كبيرة في سرعة وسهولة . وأن الصيران التركي يستطيع أن يوفر الحماية الجوية فوق الجزيرة من قواعده على الأرض التركية . في حين أن بعد هذه الجزيرة عن بريطانيا لاند وأن يلقي أعباء كبيرة على بريطانيا إذا ما ارتأت أن تحشد بها قوات مناسبة . وأن القوات المسلحة التركية قوية وقادرة على فرص سيطرتها البرية والبحرية والجوية على الأراضي القبرصية التي احتلتها . ووفق كل ذلك فإن كل من بريطانيا وتركيا أعضاء في حلف شمال الأطلسي (NATO) وليس من المعقول أن تسمح أمريكا وباقي أعضاء الحلف للدولتين الحليفين أن تحارب إحداهما لأخرى ، حيث أن ذلك لابد وأن يصيب حلف الناتو بصدع كبير . ان جميع هذه العوامل تؤكد ضرورة اسبعاد التدخل العسكري الريصاني الذي يطالب به وزير الخارجية المصري ولكن ماذا أقول ؟ هل أقوم بتأييد المستر كالاهاون ضد سماعيل فهمي بينما أنا عضو في وفد رسمي ؟ هذا أمر غير معقول . ولكن من غير المعقول أيضا أن أؤيد سماعيل فهمي في موضوع لا يقره قلبي وعقلي . لم أتكلم وطال الصمت حتى تأكد الجميع أنني قد فضلت الصمت عن الكلام . وم يحاول أي من الوزراء أن يضعط علي لكي أتكلم وبعد فترة صمت طويلة استأنف سماعيل فهمي الحديث بصوت خافت ، وببرة فيه نوع من التصالح لتهذئة الجو المشدود . وبعد فترة قصيرة رفعت الجلسة لكي نذهب إلى 10 شارع داوننج ستريت ، حيث تناولنا العشاء على مائدة المستر ولس رئيس الوزراء .

وفي يوم 12 يونيو أقام عدد من أعضاء مجلس العموم الذين يؤيدون القضايا العربية (اللوبي العربي) ، حفل شاي في أحد قاعات المجلس تكريما للسيد سماعيل فهمي . وقد حضر في هذا الحفل عدد من الصحفيين المصريين الذين كانوا قد حضروا من مصر لتغطية أساء هذه الزيارة . وردا على أحد الأسئلة التي وجهها اليه أحد أعضاء المجلس عن ليبيا ، قام سماعيل فهمي بشن هجوم شديد على العقيد معمر القذافي ، واتهم السوفييت بأنهم يقومون بإمداد القذافي بأسلحة متقدمة بكميات كبيرة تشكل تهديدا خطيرا لأمن وسلامة مصر . وأن نظام العقيد القذافي هو بؤرة بترديد فيها ويتشرب منها النفوذ الشيوعي في المنطقة . وأن هذا النظام يجب استئصاله *must be eliminated* . كان هجوما قاسيا وحارحا ، ولا سيما وأنه يصدر من وزير خارجية دولة عربية في حديث عام ، وضد رئيس دولة عربية . كان الحديث يدور باللغة الانجليزية ، وبكر الصحفي المصري عبد الستار طويلة تدخل في الحديث باللغة العربية قبل نهاية اللقاء بقليل ، ووجه سؤالا استنكاريا للسيد سماعيل فهمي . وقال

له ان الأسلحة التي تتلقاها لسا لا يمكن أن تشكل خطورة على مصر ، وإنما هي تزيد من قوة العرب وأن الاتحاد السوفيتي قد أمد بها ليبيا لكي تستخدمها ضد إسرائيل وليس ضد مصر وأن العقيد القذافي قد أعلن ذلك بعينه عدة مرات . أثار ذلك غضب سماعيل فهمي وأجاب على انتقادات طويلة بإجابات غاضبة وفاسية . وتكهرت الجوثم انفض اللقاء بعد قليل ، ولكن بعد أن أحس البريطانيون أن هناك خلافا وتقاشا حادا بين وجهتي نظر متعارضتين .

وفي أثناء عودتنا من مجلس العموم إلى الفندق الذي نزل فيه السيد الوردير قال لي اسماعيل فهمي أنه يشعر بالضيق والتعب . وأنه لذلك يرجو أن أحضر نيابة عنه المؤتمر الصحفي الذي كان مقررا عقده في السفارة المصرية . في الساعة 18,30 من نفس اليوم ، وكادت الإذاعة والتليفزيون سوف تقومون بتسجيله وإذاعته . كان واضحا أن الوردير يريد أن يحصل من مضايقة الصحفيين إذا ما وجهت إليه أسئلة تتعلق بالنصارب بين تصريحاته في لندن وتصريحات حسني مبارك في باريس . أو الأسئلة التي تتعلق بالعلاقات بين مصر وليبيا ولاسيما فيما يتعلق بالأسلحة المتقدمة التي يتوالى وصولها إلى ليبيا من الاتحاد السوفيتي . اعتذرت له عن حضور هذا المؤتمر الصحفي . وقلت له ان هذا مؤتمر بم إعداده لكي يكلم فيه هو بشخصه عمسة تلك الريارة . فإذا لم يكن مستعدا لهذا المؤتمر فالأجدر أن يتم إلعاؤه ، ولكنني نصحت بعدم إلعائه حيث لم يكن باق على ميعاد المؤتمر سوى حوالي ساعة ونصف فقط . فقال لي إنه سيحاول حضور المؤتمر رغم شعوره بالتعب . ولكي عندما عدت إلى السفارة وجدت أن الوردير اتصل بالسفارة تليفونيا من الفندق - وكنت قد رافقته حتى الفندق - وأخبرهم بأنه لن يحضر هذا المؤتمر وأن السفير سوف يحضر هذا المؤتمر نيابة عنه . كان حضوري لهذا المؤتمر سوف يفرض علي ان أختار بين أمرين لم أكن أرغب في أي منهما ، فإما أن أردد ما يقول اسماعيل فهمي على اعتبار أنه السياسة الخارجية الرسمية للدولة بالرغم من تعارض ذلك مع أفكاري . أو أن أفجر الخلاف بيني وبين حكومتي أمام العالم أثناء رريارة رسمية يقوم وزير الخارجية . قررر ألا أحضر هذا المؤتمر مهما كانت الظروف . أبلغت الوزير المفوض بأنني لن أحضر هذا المؤتمر وعليه أن يتصل تليفونيا بالوردير في الفندق ويبلغه ذلك . فيما أن يحضر أوبني المؤتمر ، أو يقوم بتفويضه في حضور هذا المؤتمر . ولكي أظهر تصميمي على موقفي خرجت من السفارة دون أن أخطر أحدا بمكاني . ولم أعد إلى السفارة إلا بعد بضع ساعات من انتهاء المؤتمر الذي أثار تخلف كل من وزير الخارجية والسفير عن حضوره الكبير من التساؤلات .

في صباح اليوم التالي ررت السيد الوردير في الفندق ، وجلست معه بعض الوقت قبل أن أرافقه إلى المطار حيث كان سيطير إلى مدريد . لقد تحدثت مع الوزير خلال هذه الريارة

في مواضع شتى ولكن موضوعا واحدا لم نتطرق اليه وهو موضوع نقلي إلى البرتغال . وبينا
كنت في طريقنا إلى المطار ، وبعد أن يش اسماعيل فهمي من أن أقوم بصرح هذا السؤال عليه
تصريح هو بأن يبدأ الحديث فقال « ان النجاح الذي حققته في لندن قد دفع السيد الرئيس
إلى أن يعينك في البرتغال ان السلطة في البرتغال في أيدي القادة العسكريين . وأنت أقدر
الناس على فهم العسكريين ولتعمل معهم ولذلك فإن الرئيس السادات قد أمر بتعيينك
سعيًا في البرتغال وإنك تتوقع لك نجاحا كبيرا هناك » . ابتسمت ورميته بنظرة ذات معنى
ولم أعقب على قوله بكلمة واحدة .

البَابُ الثَّانِي

سَفِيرٌ فِي الْبُرْتِغَالِ

المصطفى الحساسة . مثله في ذلك مثل من تنفذه السلطة من القاهرة إلى مكان ناء في الصحراء
شبه قبة أو العريضة من أمثال بريس والعويبات . تلك الأماكن التي لا يكاد يعرفها أحد
في مصر .

كان من ضمن ميراث هذا المنصب أيضا - من وجهة نظر السادات - أنني لم يكن سوى
كلمة واحدة في اللغة البرتغالية . لقد كانت إحداني لغة لأجليزية عونا في لكي اتصل بالبري
العام برطاني نصلا مباشرا وبدون مترجم . وكما سبق أن قلت في خلال عام واحد قصته
في ريطار ظهرت في شيفريود 4 مرات وتحدثت في 10 ديون 6 مرات . وكتب في
المصحف 8 مرات . ما في البرتغال من حاجر لغة كان يحول بيني وبين إقامة مثل هذا
الاتصال المباشر مع الشعب البرتغالي والإصابت . كل ذلك في برتغال كان ليدي
مشاكل الخاصة . ولم يكن شعبي على استعداد لكي يعرض في هذا المكان العلني . ولما
تحت مشكلة المعقدة التي تتعلق بالحق العرني لأ - البلي

لا شئت أن بقي من هذا إلى لشونة كتاب «مصره معي» - حساباتها حادة ووحشي
بأن كل ما كان يهدف إليه السادات من وراء هذا انقل سوف يتحقق . ولكن تقدر
وتصحبك الاقدار . لقد استقبلت الصربية وحاولت أن أستفيد منها . عرفت خلال السنوات
الثلاث حتى قضيت في البرتغال ما كان - يعني أحمد حقيقيه حقابه القدر سي يتاح لي
لاحتياز مسرورا . انه العريضة والإصرار . يستصعب المرء أن يتعلم على أي مشكلة مهمه كانت
عريضة . حواء الحبر كان يدي لا حثرت المشاء في سبب بدلا من لشونة . ولكن وما دام
الامر قد فرس سي يجب أن ازنه مع هذه الظروف جديدة وان استفيد منها . لقد استندت
من صدقي في البرتغال في تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية . لقد درست التجربة البرتغالية .
وكتبته كانت البرتغال تتحول يوم بعد يوم من النظام الديكتاتوري إلى نظام الديمقراطية
لقد كنت انا . تلك الفترة مذكراتي عن حرب أكتوبر . لقد كنت أيضا اشترائي الكربة
بحروف البرتغالية بعد أن احدثت عليها حروف جديدة

افتتاح سفارة مصر في لشونة

لقد كان لمصر سفارة في البرتغال ولكن هذه السفارة اغلقت عام 1963 احتجاجا على
سياسة البرتغال الاستعمارية في أفريقيا . كان سالازار Salazar الذي يجلس على قمة هذه
سقاء في لشونة يعتبر أن مستعمرات البرتغالية في أفريقيا (أنجولا Angola . موزمبيق
Mozambique . غيب بيساو Guinée-Bissau . الرأس الأخضر Cabo Verde .
سان تومي و بيري Saint Tome & Principe) جزءا لا يتجزأ من الأراضي البرتغالية

وكان يرفض رفضاً تاماً ان يعترف بحق هذه البلاد في الاستقلال ولو بعد مدة طويلة . وفي اوقت الذي تراجع فيه بريطانيا وفرنسا أمام المد الثوري الذي بدأ يندفع بقوة الأفرقية بما حاح الثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر . فإن البرتغال تمسكت بالمستعمرات التي كانت تحتلها وأخذت تدفع جيوشها بغرض السيطرة الكاملة عليها . ولكي تضرب جميع العناصر الثورية التي كانت تقوم هذا الاحتلال . ولم يكن أمام مصر جمال عبد الناصر التي كانت تؤيد هذه الحركات الثورية وتمتدح بالمآل والسلاح والحجرة . إلا ان تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع هذا النظام البرتغالي الاستعماري الذي كان يقوده سالازار . وفي عام 1963 .

وسحاج ثورة ثغوات المسلحة في البرتغال في 26 أبريل 1974 وسقوط حكم كاسترو Caudero الذي كان استمرار لحكم سالازار . تعبرت لأوضاع واعلت للحكومة الثورية الجديدة استعدادها لمح الاستقلال لتلك البلاد الأفرقية التي كانت تعتبرها لحكومات لسابقة تمسكات برتغالية . وفي خلال عام 1975 حصلت كل من موريشيوس . غيب بيساو . الرأس الأخضر . سان تومي ونسيب على استقلالها . بينما كان القتال لا يزال دائري حول بقية الثورات بين العناصر الرجعية التي كانت تؤيدها الامبريالية العالمية وبعض العناصر الرجعية في البرتغال . ووسط هذه الظروف قررت مصر إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع البرتغال . وأن يكون الفريق سعد الدين الشاذلي هو الوكيل في هذا .

في يوم السبت 31 مايو 75 سافرت من لندن إلى لشبونة في رحلة استطلاعية غير رسمية بهدف إلى بحث الموقف على الطبيعة . وأحد الاحداث البارزة لاحتجاب المكان المناسب لمسئرة وتأمينه وتجهيزه قبل وصولي بصفة رسمية إلى البرتغال . وفي خلال تلك الرحلة قمت بتأجير شقة من 6 غرف لتكون مقراً لكاتب السفارة . وعديت منزل الصغير الذي كان مكملاً لخدمة . كانت وزارة الخارجية المصرية تحتفظ بالمنزل حول هذه المسألة ولكنه كان قد أصبح في حالة يرثى لها سواء من ناحية المادي ومن ناحية الاثاثات التي تلفتها مياه الأمطار التي كانت تتسرب من السقف ومن مواسير مياه اني كلها الصدأ . وقد قمت بتدبير احد الأدبي من متطلبات الإصلاح بالنسبة للمبني والاثاث ووضعت برنامجاً يعتمد على إتمام هذه الإصلاحات في خلال ثلاثة أشهر . وبعد أسبوع قصير في لشبونة . عدت إلى لندن وان آمل ان تصبح السفارة ودر السكن حداثاً للعمل ويسكن في حصوري في البرتغال في اواخر سبتمبر .

في يوم السبت 6 سبتمبر 75 حدثت لندن في مياه سوتهمبتون South hampton حيث كانت ترسو السفينة التي ستبحر في إلى لشبونة . وفي ساعة 16 00 انحرقت السفينة

بعد ساعات قليلة كما قد حرج من مبادئ الديمقراطية وكتب ذلك خدمي لرئيس
في برلين بعد أن قضيت في بريطانيا أقصر فترة قصاها سفير مصري في لندن . وذلك
لأسباب سياسية وبسبب معارفتي المستمرة لسياسة السادات ونظامه . وفي 8 سبتمبر وصلت
إلى ميسن شونة وكان في استقبال أعضاء السفارة وكادرا جميعا أربعة إنسان من السلك
الميلودامي وإنسان من السلك الإداري

وبعد وصولي إلى شبونة اكتشفت أن كلا من السفارة ودار السكن لم يكن قد تم الانتهاء
من إعدادهما وتجهيزهما . وقد حصرتي المختصون ناه من حق صفا بالائحة ووزارة الخارجية
أن أنزل في درجتي في فندق من الدرجة المتأد على حساب الدولة وذلك إلى أن يتم تجهيز
دار السكن وجعله صالح للسكنى . ولكني رفضت أن أستغل هذا الحق لكي أوفر أموال الدولة

كانت إقامتي في الفندق على حساب الدولة تعني أن تتحمل الدولة حوالي 3000 دولار
شهريا ولكنه كان يعني الراحة والرفاهية . ولكني اخترت أن أعيش في مبنى الدولة لكي
أوفر هذا مبلغ ولكن على حساب راحتي . كان المبنى يعج بالعصاف من سكان وحائرين
وقائمين . كما يعيش في حال المرء تنتقل من غرفة إلى أخرى لكي تصبح للعمل مكان
الذي يريدون أن يحصلوا فيه . واستمر الحال على هذا الحال لمدة أربعة أشهر

الفصل السابع

النشاط السياسي والديبلوماسي

مرحلة التأقلم والإعداد :

قدمت ورقة اعتماد في ١١ حزيران كوشتا جوميش Gen COSTA GOMES يوم ١٢ سبتمبر في هذا اربعة أيام فقط من وصولي الى نسوية ولكني مع ذلك ، مع سلمي سياسي المكثف لاني يوم سابر 76

كانت المشاكل الإدارية التي تتعلق بالصالح وتجدير سرده در السكن وخبر وتعين عدد من الموظفين البرتغاليين ببناء المصالح التي حصة وسكرتارية والخدمة الخ متعود على كي مجهودنا خلال اربعة شهور الاول من وصولي الى نسوية وكان حذر لغة يفت حدانا بـ بـ لان اتصال بالجمهور لحل هذه المشاكل الخ كانت برعد من حكمه سارار وكانوا من هذه جيش في شه عربة عن عدم حرجي في ادخل سارار في عتق برهين ، امر اضورية عظيمة وانهم ليسوا في حاجة الى العالم ، ولكن العالم هو الذي في حاجة اليهم وانما في ذلك العالم هو الذي يحب عساه ان يتعلم عنهم وفيما عدا مع المدرسة التي كان يلم بها فرد بعضه لاستضافة اثنين من شخصين برهين ، في اللغات الاخرى كانت تكاد تكون غير معروفة في البرتغال ، لقد كانت الحياة اليومية الاحسن الذي لا يعرفون قبلا من بعد البرتغالية ، مشكلة كثيرة به سوف يتحل هذه لشكة اذاق حرس نسوية ، وذا ركبنا كسي لكي يسفل من مكان الى مكان ، ورد دحل معلوم ساكن ، واداد دحل ذلك ، لكي يتنزل من شيد الخ

كل عساه سافقه مع هذه لاومضات وبسرعة كنت قد بدأت بعد لغة برهانية ، في سدر عدد صدر قرار في ان برعد بطريقة ليسجوافون Linguaphone وهي

وسيلة حديثة يتعلم بواسطتها الفرد لغة أجنبية بواسطة مجموعة من التسجيلات (Cassettes) والكتب دون الحاجة إلى معلم خاص ، ولكنني لم أكن أخصص الوقت الكافي لهذه الدراسة . لقد كان هدفي عندئذٍ قررت أن أتعلم اللغة البرتغالية ، هو أن تساعدني هذه اللغة في عملي ، أما وبعد حضوري إلى البرتغال فقد اكتشفت أن تعلمي هذه اللغة هي ضرورة من ضرورات الحياة في البرتغال ومن هنا زاد اهتمامي وتركيزي على تعلم هذه اللغة .

وبانتهاء عام 75 انتهت مرحلة التأقلم والإعداد وبدأت مرحلة العمل الحاد . وإني أود أن أوضح هنا بأن مرحلة التأقلم والإعداد لم تكن حالية تماماً من أي نشاط سياسي أو دبلوماسي ، وإنما أريد أن أقول أن النشاط السياسي والدبلوماسي خلال تلك المرحلة كان محدوداً وفي أضيق نطاق .

النشاط السياسي :

سُلم مساحة لبرتغال (بما في ذلك جزر ماديرا Madeira والأزوريش Açores) 88941 كيلومتر مربع ويسكنها 8 مليون نسمة وحتى قيام الثورة في 25 أبريل 1974 ، كانت البرتغال تستعمر في أفريقيا وآسيا أقاليم تتبع مساحتها أكثر من 23 مرة من مساحة البرتغال الأم ، وكان يسكنها حوالي 16 مليون نسمة . وقد كان قرار قادة الثورة البرتغالية تصفية الاستعمار البرتغالي الذي منذ أكثر من 400 سنة بداية عهد جديد . وكان له تأثيراً حاسماً على توجيه مسار السياسة في تلك البلاد . لقد كانت البرتغال تعيش على ثروات وخيرات المستعمرات التي كانت تحصل عليها بشحن بنحس ثم تباعها في الأسواق العالمية بثمن مرتفعة . لقد كان سالاراً يجمع عشرات الألوف من رجب المستعمرات للعمل في ساحم الذهب في جنوب أفريقيا ، حيث يقومون بأعمال اسخرة مقابل ملاليم تقبضها الفرد . وجسيات ذهبية تقبضها حكومة البرتغال نظير قيمها بعملية «مورد اندره» لقد كان هذا حوالي 2 مليون برتغالي يعيشون في المهجر في دول أوروبا الغربية . وكانت هذه القوة العاملة تصبغ إلى الاقتصاد البرتغالي حوالي 2000 مليون دولار سنوياً .

وباستقلال المستعمرات ظهر في البرتغال تياران فكريان . كان لتيار الأول بدعو إلى زيادة الاندماج في أوروبا الغربية . وكان أصحاب هذا الرأي يرون أن انضمام البرتغال إلى السوق الأوروبية المشتركة سوف يفتح المجال أمام العمال البرتغاليين لكي يعبروا أسواق العمل في البلاد الأوروبية وسوف يشجع الشركات الدولية المتعددة الجنسيات لكي تقوم المصانع في البرتغال ، لكي تستفيد من الأجور الرخيصة التي تصرف للعمال البرتغاليين ، والتي كانت تقل كثيراً عما كان يدفع لظائرهم في الدول الأوروبية . كانوا يقولون أيضاً أن البرتغال

بدد سيحي وأن دخلها من لسياحة يمثل جزءا هاما من الدخل القومي وأن السباح من دول أوروبا الغربية يمثلون العلية اعظمى من اسباح . ولذلك فإنهم كانوا يرون أن زيادة الارتباط بأوروبا سوف يضمن لهم استمرارية وازدهار السباحة في البلاد . وكانوا يصبغون إلى ذلك قولهم بأن البرتغال هي حرة لا يتجر من أوروبا ، وأنها تنتمي إلى أوروبا الغربية جغرافيا وتاريخيا وحضاريا . وأن أمنها ومستقبلها يرتبط بمسقبل وأمن أوروبا الغربية سواء شاءت أم لم تشأ في ذلك .

أما أصحاب الرأي الآخر فهم كانوا ينادون بحياد البرتغال بين المعسكر العربي والمعسكر الشرقي . وأنه يجب على البرتغال أن تنسحب من حلف الأطلسي وأن ترتبط بدول المعسكرين علاقات متوازنة . وكان أصحاب هذا الرأي يرون أن مثل هذا الموقف سوف يضمن لها لاسر وسلامة إذا ما قام الصراع بين العصافت . كما أنه سوف يمكن للدولة من إجراء تخصيص كبير في ميزانية الدفاع التي تعرضه عنها ظروف انتمائها إلى حلف الأطلسي . وبالتالي فإنه يمكن توفير المال اللازم لدفع عملة الاقتصاد وتحسين الظروف المعيشية للأفراد . وكانوا يرددون على أصحاب الرأي الآخر بأن إنشاء سويسرا والنمسا والسويد إلى أوروبا الغربية من حيث نظام الحكم لم يمنع هذه الدول من أن تتخذ موقفا محايدا بين المعسكرين . وأن موقفهم الحيادي من يؤثر على حركة السباحة والتطور الاقتصادي في تلك البلاد . أن لم يكن العكس هو الصحيح .

وكان من البديهي أن تقوم أمريكا ودول أوروبا بتأييد وتشجيع من ينادون بالرأي الأول ، سيما كان الاتحاد السوفيتي يقوم بتشجيع من ينادون بالرأي الثاني . واشتد التنافس بين المعسكرين وحدثا شكالا متعددة ، منها عقد الصفقات التجارية ، وتقديم القروض ، والمبارات المتعددة بين القادة السياسيين والحريين في كل من البرتغال ودول المعسكرين المتنافسين الح . وبينما كان هذا الصراع يدور بين المعسكرين ، كما نحن العرب نقف موقف المتفرج وكان الأمر لا يعيبا . وأن دل هذا على شيء فإنه يدل على عدم وجود استراتيجية عربية موحدة تجاه انقصابا العبية الكبيرة . كانت الدراسة المختصة وغير المحارة نوحى بأن مصلحة العرب أن تسلك البرتغال طريق الحياد . حتى لا يرداد عدد لدول عربية التي تؤيد إسرائيل عسكريا وسياسيا واقتصاديا دولة جديدة . ولكن وقوف الحرب الشيوعي لبرتغالي وراء هذا الاتجاه وتأييد الاتحاد السوفيتي لهذا الحس كان يثير شكوك بعض الدول العربية ، ولاسيما الدول العربية العبية التي تستطيع التأثير عن طريق تقديم القروض واستثمار الأموال العربية في تلك البلاد .

كانت علاقة مصر مع الأشقاء العرب لائزلا جيدة . ومن هنا كانت السياسة ابحارجية

المصرية تجاه البرتغال تتفق مع السياسة الخارجية للدول العربية الأخرى . وكان محور هذه السياسة هو استقطاب البرتغال إلى المعسكر الذي يؤيد الحق الحق العربي في مشكلة الصراع العربي الإسرائيلي . ولكن العرب لم يدركوا أن استجابة البرتغال للمطلب العربي يعني بطريقه أتومتيكية خروج البرتغال من المعسكر العربي بكل ما يترتب على ذلك من نتائج سياسية واقتصادية وأمنية . إنما نعيش في عالم من التكتلات والمصالح . أن السياسة الخارجية لأي دولة ديموقراطية تعتمد أولا وخيرا على ما يمكن أن تحققه هذه السياسة من مصالح للدولة . ولقد تعددت مصالح الدول وتشابكت حتى أصبح تحقيق مصلحة ما ، يمكن أن يتعرض مع تحقيق مصلحة أخرى . وه يجب على كل دولة أن توازن بين ما يمكن أن يجنيه من مصلحة وما يمكن أن تخسره في اتحاد آخر إذا ما هي اتخذت قرارا معيناً . وعلى ضوء هذه الموارد تتخذ الدول قراراتها بحيث تكون مكاسبها في النهاية أكثر من خسائرها . لقد كان السؤال الأول الذي يواجه البرتغال هو هل نضم إلى المعسكر العربي أم تبقى على الحياد بين المعسكرين . ولإجابة على هذا السؤال كان عليها أن تبحث لأرباح والخسائر التي يمكن أن تصيبها إذا هي سبكت أي الطرفين . واحتارت البرتغال أن تنضم إلى المعسكر العربي لأن الدول العربية لم تبدل أي مجهود عملي لاستقطابها وإبعادها عن هذا المعسكر .

كان تحركي السياسي إذن كسفير لبلادي في البرتغال ، يعتمد على الصدقات الشخصية بدلا من أن يعتمد على تبادل المصالح بين الدول . وانطلاقا من هذا المفهوم ، وتحت هذه الظروف ، قمت بإجراء اتصالات مكثفة مع كافة الانحيازات السياسية في البرتغال . وقد بدأت بربارة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ثم أعقت ذلك بربارة الوزراء ورؤساء الأحزاب السياسية . كما أقمت علاقات جيدة مع رؤساء تحرير الصحف ورجال الإعلام وفي خلال تلك اللقاءات كنا نتناقش حول المشاكل المحلية والعالمية وموقف كل من تجاهها . حتى أصبح كل منا أكثر تفهما وإلماما بأفكار الطرف الآخر .

منذ قيام الثورة في أبريل 74 وحتى ناريح تشكيل أول حكومة دستورية في البرتغال في يوليو 76 ، كانت السلطة السياسية في البلاد في أيدي مجلس قيادة الثورة . وكان الميجور ميلو أنتونش Melo Antunes يشغل منصب وزير الخارجية . وكان ميلو أنتونش من دعاة الرأي الذي ينادي بحياد البرتغال بين المعسكرين . وفي خلال تلك الفترة كان نصويت البرتغال في الأمم المتحدة دائما في صالح العرب ومؤيدا للحق العربي ، وذلك في الوقت الذي كانت فيه جميع الدول الغربية تقف إلى جانب إسرائيل . وكانت فرنسا هي الوحيدة التي تمتنع أحيانا عن التصويت (9) وفي مقابلة بيني وبين الدكتور سا كازيميرو Sa Carneiro (10) رعيم الحزب الاشتراكي الديموقراطي P.S.D. خلال شهر ديسمبر

75 ، وكان من أشد الناس انتقادا لسياسة وزير الخارجية حول القضية الفلسطينية أثرت معه هذا الموضوع فقال لي «إنكم معشر العرب تعتبرون فرنسا أعز صديق لكم في الغرب . ومع ذلك فإن فرنسا امتنعت عن التصويت . لماذا تطلبون أن تتجاوز صداقتنا معكم تلك الصداقة العربية الفرنسية ؟

وبانتقال السلطة إلى أول حكومة دستورية في يوليو 76 ، أصبحت السياسة الخارجية في البرتغال تخضع لسياسة وبرنامج الحزب الذي يشكل الحكومة ، وتتأثر إلى حد كبير بمدى تأييد أو معارضة الأحزاب الأخرى لهذه السياسة . لقد كان البرلمان البرتغالي يتكون من 265 عضوا وكان توزيعهم كما يلي : 108 الحزب الاشتراكي P.S ، 73 الحزب الاشتراكي الديمقراطي P.S.D ، 43 الحزب الديمقراطي الاجتماعي C.D.S ، 40 الحزب الشيوعي PCP ، 1 حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي UDP . وفيما عدا الحزب الشيوعي ، وحزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي ، فقد كانت جميع الأحزاب الأخرى تؤيد زيادة الاندماج والارتباط مع أوروبا الغربية سياسيا واقتصاديا وتنص على ذلك بصراحة في برامجهم الحزبية . وكما سبق أن شرحت ، فإن انضمام البرتغال إلى المعسكر الغربي يعني بطريقة أو توماتيكية أن سياستها الخارجية لا يمكن أن تتعارض مع الخط السياسي الذي ينتهجه هذا المعسكر .

وإني لأعجب كل العجب من الفضة التي أثارها الدول العربية عندما قررت البرتغال أن تبادل التمثيل الدبلوماسي مع إسرائيل في يونيو 1977 . لماذا هذه الفضة ضد لبرتغال دون غيرها من دول أوروبا الغربية ؟ لماذا لا نسوي في المعاملة بين دول المعسكر الواحد . إن أي مراجعة للتصويت الذي يجري في الأمم المتحدة ، سوف يبين لنا بوضوح من هم معنا ومن هم صعدنا . وسوف يبين لنا أيضا أن التصويت يتم على شكل كتلات . وأن دول المعسكر العربي تقف دائما في جانب واحد ، وأن دول المعسكر الشرقي هي الأخرى تقف دائما في جانب . واحد . هل كانت الدول العربية تتوقع أن تنضم البرتغال إلى المعسكر الغربي ومع ذلك تنتهج سياسة خارجية متعارضة مع سياسة هذا المعسكر ؟ لو تصور أحد ذلك لكان ذلك خطأ كبيرا . لقد تحدد مسار السياسة الخارجية في البرتغال اعتبارا من تاريخ إعلان الانتخابات البرتغالية التي جرت في 25 أبريل 76 ، والتي على إثرها تشكلت أول حكومة دستورية في البلاد بعد ذلك بثلاثة أشهر (11) . وإذا كانت الحكومة قد استقبلت أول سفير لإسرائيل في 17 يونيو 77 ، فإن الشعب البرتغالي كان قد وافق على هذا الاتجاه قبل ذلك بأكثر من عام .

وبالرغم من أن البرتغال لم تكن لها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل أبان حكم سالازار وكاشانو ، إلا أنها سمحت لأمریکا باستخدام جزر الأزور كمحطات تموين للطائرات الأمريكية إلى إسرائيل أبان حرب أكتوبر 73 . وهذا يدل على أن السياسة الخارجية في الدول الأوتوقراطية تعتمد على الانتهازية والمزاج الشخصي للحاكم ، ولا تخضع لانتجاهات الرأي العام الداخلي .

وبينا كانت عملية التحول الديمقراطي تجري في البرتغال ، كنت أحاول أن أخلق علاقات جديدة بين مصر والبرتغال . وقد نجحت في ترتيب زيارة للدكتور ماريو سوارش رئيس الحزب الاشتراكي إلى مصر بدعوة من الاتحاد الاشتراكي العربي وتمت هذه الزيارة في الفترة من 17 وحتى 20 يونيو 1976 ، وكاب أول زيارة يقوم بها سوارش خارج البلاد بعد فوزه في الانتخابات البرتغالية . وفي نفس العام حضر الدكتور بطرس غالي والأستاذ علي منصور المؤتمر السنوي للحزب الاشتراكي البرتغالي والذي عقد في لشبونة ما بين 29 أكتوبر وحتى 1 نوفمبر ، وذلك كمندوبين عن الاتحاد لاشتراكي العربي .

وللتخفيف من وقع قرار الحكومة البرتغالية بشاذل التمثيل السياسي مع إسرائيل ، فقد طلبت من الحكومة البرتغالية وأجهزة الحرب الحاكم أن يوافقوا على افتتاح مكتب لمظمة التحرير الفلسطينية في لشبونة . وبعد عدة لقاءات وافقت الحكومة البرتغالية على ذلك . وقد قمت بإخطار وزارة الخارجية بذلك في شهر يوليو 77 ولكنني تلقيت خطابا من وزارة الخارجية المصرية بتاريخ 3 سبتمبر يفيدني بصرف النظر عن هذا الموضوع .

وردا على دعوة الدكتور سوارش للقاهرة قام الحزب الاشتراكي البرتغالي بتوجيه دعوة إلى الدكتور مصطفى حليل بصفتة الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي لزيارة البرتغال . فأجل الميعاد المتفق عليه مرتين . ثم عاد فألقى حضوره نهائيا والذي كان مقررا له أن يكون في 5 مارس 78 .

وبينا كنت أنا منهمكا في محاولة تحسين العلاقات بين مصر والبرتغال ، كان السادات من ناحيته يحاول نفس هذه الجهود أولا بأول . ففي أكثر من ثلاثة مرات خلال الأعوام 76 - 78 . كان السادات يهاجم البرتغال في خطبه العامة وبتهمها بالفوضى . وأن الديمقراطية التي أقامها الشعب البرتغالي على أنقاض حكم سالازار ما هي إلا ديمقراطية زائفة . وأن الفوضى وعدم استباب الأمن يسود البرتغال الخ . وأن المرء ليتساءل بعجب شديد عن الأسباب التي دفعت السادات لاتخاذ مثل هذا الموقف ، الذي يتنافى مع العرف الدبلوماسي ، والسلوك الأخلاقي الذي يحكم العلاقات بين الدول . ان الدول الديمقراطية تتقبل النقد الذي يوجه إليها في صحيفة أجنبية . أو ذلك الذي يصدر من شخص لا يتحمل مسؤولية

الحكم ، وذلك اعترافا منها بحرية النقد وحرية التعبير في الداخل والخارج . أما إذا صدر هذا النقد من رئيس دولة أجنبية أو من أحد وزرائها في أمر يتعلق بشؤونها الداخلية ، فإن ذلك يعتبر تدخلا في سيادة الدولة ويحق لها أن تاحتج لدى تلك الدولة بشئ الوسائل الممكنة ، وإلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . هل كان السادات يحقد على البرتغال لأنها نجحت في التحول من النظام الديكتاتوري إلى النظام الديمقراطي خلال سنتين فقط ؟ هل كان السادات يريد أن يهجر سفيره ، وأن يدفع حكومة البرتغال لكي تستدعيه وتقدم له احتجاجا شديد الهمجية ؟ هل كان السادات يريد أن يكتب ثقة العناصر الرجعية في البرتغال والنظم الرجعية في جميع أنحاء العالم ؟

إن اتهامات السادات للبرتغال هي اتهامات ظالمة . كم أتمنى أن أرى في مصر نظاما ديمقراطيا كذلك الذي أقيم في البرتغال . كم أتمنى أن يتم التحول إلى الديمقراطية في مصر بنفس اليسر وببنفس السرعة التي تم فيها في البرتغال . إن الديكتاتور هو وحده الذي يعتبر حرية التعبير نوعا من القوضى . وهو وحده الذي يتصور أنه مبعوث العناية الإلهية . وأنه لا يخطيء . وأنه لا يجوز لأحد أن يوجه النقد إليه . لقد كنت أتوقع بعد كل خطاب يلقيه السادات ويهاجم فيه هذا النظام الديمقراطي في البرتغال ، أن استدعى إلى وزارة الخارجية البرتغالية ، وأن يوجه إلى انتقادا واحتجاجا شديد الهمجية على ما قاله السادات . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . لقد كانت علاقتي مع الحكومة البرتغالية على أحسن ما يكون . كانوا يعلمون بموقفي وأفكاري ، ولم يشأ أي منهم أن يسبب لي أي إحراج . لقد كان هذا الموقف الكريم من الحكومة البرتغالية هو ثمرة الصداقة التي كانت تربط بي وبين جميع المسؤولين فيها فشكرا لهم .

السلك الدبلوماسي والقنصلي :

عندما وصلت إلى لشبونة في سبتمبر 75 لم يكن عدد البعثات الدبلوماسية المقيمة في البرتغال يتجاوز أربعين بعثة . وهذا يبين لنا ضآلة النشاط الدبلوماسي في البرتغال إذا ما قورن ببريطانيا التي كانت تستضيف أكثر من 120 بعثة دبلوماسية مقيمة . وحتى قيام الثورة في 25 أبريل 74 لم يكن في لشبونة سوى ما يزيد قليلا عن عشرين سفارة . ونتيجة للانفتاح على العالم الخارجي بعد الثورة ازداد النشاط الدبلوماسي في لشبونة بعض الشيء . ولكنه مع ذلك بقي ضعيفا إذا ما قورن بالنسبة للعواصم الأوروبية الأخرى .

ربما كانت البعثة المصرية في لندن تشغل خمسة مبان مستقلة ويعمل فيها 58 دبلوماسيا ، كانت بعثتنا في لشبونة تتكون من خمسة أفراد ، وكانت تشغل شقة واحدة ضمن عمارة سكنية . ومع ذلك فإن حاجة العمل في البرتغال لم تكن تستدعي أكثر من هذا العدد المتواضع

فقد كان العمل الدبلوماسي محدودا . وكانت العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين معلومة وكانت احوالية المصرية في البرتغال هي شخص واحد متزوج من برتغالية .

قامت السفارة بإحراز بعض المبادرات في مجالات السياحة والتجارة . وفي صيف عام 76 سافر أول فوج سياحي من البرتغال إلى مصر ثم نتابعت لأفواج بعد ذلك . أما في مجال الصناعة والتجارة . فلم يكن هناك ما يمكن أن تقدمه البرتغال إلى مصر ، سوى ما يتعلق بإصلاح السفن وتصنيع بعض قطع اإليار للأسلحة والمعدات السوفيتية . وقد سافرت عدة وفود من لبرتغال إلى مصر لبحث هذه المواضيع ولكن هذه الاتصالات لم تسفر عن شيء . وفي مجال العمل القنصلي فلم يكن هناك عمل يذكر بالنسبة إلى مصر اللهم إلا إصدار تأشيرات لدخول لتلك الوفود السياحية والوفود التجارية التي بدأت تسافر إلى مصر عنابر من منتصف عام 76 . أما الجزء الأكبر من العمل القنصلي فقد كان يتم لصالح الدول العربية الأخرى . التي يس لها تمثيل في البرتغال والتي كان يبلغ عددها حوالي 18 دولة عربية (الدول العربية التي كان لها تمثيل مقيم في لشبونة هي مصر والمغرب ، ليبيا) .

وفي مجاء المؤتمرات الدولية فقد عقد في لشبونة عام 1977 المؤتمر لعالمي لمقاومة العصرية وقد انعقد المؤتمر التحضيري في يومي 23 ، 24 أبريل 77 . أما المؤتمر الأصلي فقد عقد في 16 - 18 يونيو . وقد ساهمت السفارة مساهمة فعالة في هذين المؤتمرين وقامت بتحديد المساسة العصرية التي تمارس إسرائيل في الأراضي المحتلة وتمت التي يمارسها نظام جوب أفريقيا ونظام سالربوري في روديسيا . وفي 28 مارس وحتى 1 أبريل عام 1978 انعقد في لشبونة المؤتمر البرلماني الدولي ونصم أحد أعضاء السفارة إلى وفد مصر في هذا المؤتمر

ولكن كل هذه الأعمال لم تكن لتستفيد إلا جزءا صغيرا من طاقتي . وهكذا كانت الفرصة متاحة أمامي لكي أطلق هذه الطاقة في اتجاهات أخرى . وكان أول خيار أمامي هو خدمة الإسلام والمسلمين في تلك البلاد .

الفصل الثامن

الاسلام والمسلمون في البرتغال

مشاكل المسلمين :

يوجد في البرتغال حوالي 5000 مسلم ومسلمة . ويحدر معظمهم من أصول هندية وباكستانية نزلت إلى أفريقيا واستوطن جزء منهم في المستعمرات البرتغالية سابقا . وعن طريق هؤلاء المسلمين من الهنود والباكستانيين ، انتشر الإسلام بين الكثير من الزنوج من سكان المستعمرات . ومن هذه المستعمرات البرتغالية هاجر بعض المسلمين إلى البرتغال لمعاشرتهم . ثم استقروا فيها . كانت عاليينهم العظمى من الفقراء ومن لم يلقوا تكادحة ، وكانوا كالكثير من المهاجرين بين حكومة بلادهم وبين حكومات الدول الإسلامية . فاهتمت الدولة مسيحية كاثوليكية ، ولا يمكن أن تقوم الدولة ببناء المساجد لرعاياها من المسلمين . وهؤلاء الرعايا من المسلمين فقراء لا يمكن أن يكون في المال ما يسمح لهم ببناء مسجد يعمدون به ، ومستمرون يتقعدون فيها . ولأولادهم وبشؤونهم نشأة إسلامية حتى لا يدوروا وسط مجتمع عاليته اعظمى من المسيحيين . كانوا يتدبرون لغو والمساعدة من سفارات الدول الإسلامية وحكوماتها عنهم من كان ينظر إلى طلباتهم نظرة شدة ورسة . ومهم من كان يحثي مكلمات لتشجيع واعطاء الوعود . وقيل منهم من كان يستحيب في دفع أقل القليل . أو يقدم لهم بعض الخدمات البسيطة ، التي لا ترقى إلى مرحلة حل أي مشكلة من المشاكل التي يواجهونها .

بعد وصولي بقليل إلى لشونة ، زرني الدكتور سليمان والي رعيم المسلمين في البرتغال ، وعرض علي مشاكل المسلمين هناك فحررت لحاضرم وقررت أن أدرس مشكلتهم وأن اهتم بمسألة خدمتهم . وبعد الدراسة اتضح لي أن إصلاح حاضرم يسيرم إنشاء جامع تدعى به مدرسة ويشرف عليها إمام ومساعد له . وذلك بتأييد بعض الأئمة في الصلاة ، واعط

والإرشاد والتثقيف الديني في غير أوقات الصلاة . وقد قدرت تكاليف المشروع المبشئية بحوالي 750000 دولار . كان التقدير على أساس أن يسع للجامع 1000 فرد ، ودار لسكن الإمام وأخرى لمساعد له ، وصالة اجتماعات تسع 500 فرد ، ومدرسة دينية ذات فصلين ، ونادي رياضي واجتماعي . ولكن هذا المشروع الطموح كان مجرد أحلام لا يمكن أن تتحقق قبل مضي أربع أو خمس سنوات في أحسن الظروف . فهل يبقى المسلمون على هذه الحال لمدة خمس سنوات أخرى ؟ وما قررت أن نجابه هذه المشاكل غطتين : الخطوة الأولى وهي حل مؤقت يهدف إلى التخفيف من حدة المشاكل القائمة فعلا بشكل واضح وملحوس . أما الخطوة الثانية فيكون هدفها هو حل جميع المشاكل حلا جذريا .

المسجد المؤقت :

قررت أن أحول البدر في الفيلا التي أسكن فيها لتكون جامعا مؤقتا . كانت دار السكن المخصصة لسكن صغير لمصرى عبارة عن فيلا فاخرة تتوسط مساحة واسعة من الأرض تبلغ 4000 متر مربع . وكانت تتكون من طابقين وبدروم فوق مساحة 300 متر مربع كان الطابق الأرضي عبارة عن صالونات للاستقبال والطابق الأول به غرف النوم وسكن الصغير . وقد رأيت أن هذين الطابقين تكفي كل ما يحتاج إليه الصغير وقررت أن أحول لبدروم إلى مسجد مؤقت .

وفي خلال شهري أكتوبر ونوفمبر تم تجهيز المكان ليكون مسجدا . وافتتح للصلاة في يوم الجمعة 9 من ذي الحجة عام 1395 هجرية الموافق 12 ديسمبر 1976 م . وفي صلاة عيد الأضحى التي أقيمت صباح اليوم التالي ضاق الجامع بالمصلين إذ حضر الصلاة ما يزيد عن 300 شخص مما اضطرنا إلى استخدام جزء من حديقة المنزل ، وذلك بالرغم من سوء الأحوال الجوية في ذلك اليوم . ولكي أضمن استمرارية استخدام الجامع لأغراض العبادة سواء كنت موجودا في المنزل أو كنت غائبا عنه . فقد فتت عمليّة تعديل صغيرة في المبنى بحيث تم عزل المسجد عن دار السكن وصحح لكل منهما باب مستقلا عن الآخر ولم يعد يربط بينهما إلا لباب الرئيسي للحديقة .

وبحلول شهر رمضان 1397 هجرية (16 أغسطس 1977) كان إقبال المسلمين على الصلاة في هذا الجامع قد بلغ ذروته . كان يصيب الجامع مساء كل يوم بمن يحضرون للصلاة التراويح والاستماع إلى الدرس الديني الذي يعقب الصلاة . وفي عيد انظر المبارك توافد على المسجد ألفا من المسلمين رجالا ونساء وأطفالا . ولم يكن المكان يسمح باستقبال هذا العدد الضخم من الناس فانتقلنا إلى خارج المبنى حيث أقمنا الصلاة في العراء وعلى رصيف

حديقة للدار التي تكسوها الحشائش ، وكانها بساط سندسي أخضر . لقد كان هذا اليوم يوما مشهودا بالنسبة للمسلمين في البرتغال . وسجلت عدسات التليفزيون البرتغالي لأول مرة المشاهد الدينية لهذه الأقلية من المسلمين البرتغاليين .

وبالرغم من صغر حجم هذا الحامع (المساحة المعطاة 175 متر مربع) - وبالرغم من نواضع الإمكانيات التي كان يتم تسييره بها - إلا أنه يمكن القول بأن هذا الحامع هو أول مسجد يقيم المسلمون في لشبونة منذ أن دمرت مساجدهم قبل ذلك بثانية قرون وهكذا فإن يوم الجمعة 9 من دى الحجة 1395 محرية وهو يوم افتتاح هذا المسجد - كان يعني أن المسلمين في تلك البلاد قد بدؤوا يشعرون بكيانهم ، بعد قرون وجيل من الضغط والإهمال .

التزوير الشخصية للمعلمين :

ر الشؤون الشخصية للمسلمين في بلد مسيحي متعددة الجواب . فهم لا يحتاجون فقط إلى من يؤمهم في الصلاة ومن يقدم لهم المصحح والمسورة . بل أنهم يحتاجون أيضا إلى من يعقد القرآن ويوثق الطلاق ويشرف على دفن الموتى الح . واتصلت بمصر وطلبت من الأرملة الشريف أن يرسل أحد عماته الشدة على مسيل لإعارة ، على أساس أن يقوم المركز الإسلامي في المرحم بدفع مائة هذه لإمامة في حدود 200 جنيه استرليني شهريا . واستجاب الأرملة الشريف لهذا الطلب وأرسل له الشيخ هوري عبد العزيز الذي وصل إلى شبونة في منتصف شهر يناير 1977 .

وهنا نجد الإشارة إلى أنه عندما كتبت خطاتي في أوائل عام 76 إلى لأزهر الشريف ،
وطلبت فيه إعادة عملي إلى المركز الإسلامي في القاهرة ، مركز سبحة دوع
معي ، لم يكن هناك مركز إسلامي إلا في القاهرة ، ومعه في ذلك ، ومعه
لدي أي رصيد للإنفاق مع علي هذا مركز ، ومعه في ذلك ، ومعه في ذلك ، ومعه
الإمام أكرم قد نجحت في نشر بعض الأعمال في ذلك ، لا سيما في الجامعة العربية

في حلال عام 76 هـ يكي سنة 1855 م في مكة المكرمة من قبله
في حاجة إلى هذه الأموال . فالجمع هو جزء من ذلك . ولا بد من
والخدمات الأخرى كانت تتم بأسلوب تطوعي . ومن أموال إمام للجامع فقد تعبر الموقف
تماما . وبنهاية عام 76 كنت قد حصلت من خدمة جريده على 10000 دولار . وبعد
وصول الشيخ فوري عبد العزيز في شبوة في منتصف سنة 77 هـ حيث
لقي تنفذ أول خطوة عمدة لإثبات مركز إسلامي في مدينة عدن .
ميرلي سفراء الدول الإسلامية التي هي تشين في اجتماع ذلك في وقت

باكستان ، المغرب ، مصر ، ليبيا ، ودعوت معهم الدكتور سليمان والي رعيم المسلمين في
برنغاب ، واعلن تشكيل المركز الاسلامي واتخذنا على ان يلتقي مرة في كل شهر لكي يبحث
سويا مشاكل المسلمين واتخذ القرارات اللازمة .

ولكي يستفيد من وجود الشيخ فوزي كبر استفادة ممكنة قررنا ان نفتح مدرسة لتعليم
اللغة العربية . وفي يونيو 77 افتتحت هذه المدرسة التي كانت عبارة عن شقة صغيرة من
عرفتين وصالة . كان الشيخ فوزي يعيش في إحدى الغرف ، بينما جهزت الغرفة الاخرى
لتكون فصلا دراسيا يسع عشرين شخصا في المرة الواحدة . وحتى يتمكن كل دارس من
ان يستحب الوقت الذي يتناسب معه . قسما بتقسيم الدرسين إلى خمسة مجموعات ونحصل
كل مجموعة على أربعة ساعات في الأسبوع . وهذا يعني ان هذه المدرسة ذات الفصل الواحد
والعصم الواحد . كانت تستطيع ان تعلم اللغة العربية لعدد 100 شخص . وقد تكلف إنشاء
هذه المدرسة وتأثيثها حوالي 2500 دولار فقط .

لم يكن لدينا ما يتفق معه خلال عام 77 سوى عثمادات الجامعة العربية الحاصد « لا اعلام » .
منها كما يدفع ماهية الشيخ فوزي والتي وصلت إلى 4500 دولار . ومنها صرفوا على مدرسة
تعليم اللغة العربية 2500 دولار . وعندما قرب عام 77 من نهايته كانت جميع الظواهر
تدب على أنها سوف يواحه أزمة مالية خلال عام 78 . فقد كانت عثمادات الجامعة العربية
قد أوشكت على النفاد ، ولم تكن الدول العربية أو الإسلامية قد تبرعت بشيء . وفي أثناء
رحلة لي للقاهرة في شهر ديسمبر 77 طلبت من الأزهر الشريف ان يتحمل ماهية الشيخ
فوزي ، حيث أنه في حالة عدم قيام الأزهر بتحمل ماهيته فإن مسطر سنين إلى صب
بعض عمارته وذلك لعدم توفر المال اللازم . واستجاب لأزهر الشريف هذا الرجاء وبدأ يتحمل
ماهية الشيخ فوزي اعتبارا من أول يناير 1978 .

وفي أثناء وجودي في القاهرة قامت أبص الدكتور محي الدين صابر مدير المصمم العربية
لتربية والثقافة والعلوم وحصلت منه على تصديق بمبلغ 4000 دولار للمركز ، تخصص
لتعليم اللغة العربية . وعمروزي على وزارة الأوقاف المصرية حصلت منها على مبلغ 2000 جنيه
مصري (حوالي 3000 دولار) لصالح المركز أيضا .

وهكذا بالتعاون مع الأزهر الشريف وجامعة العربية ووزارة الأوقاف المصرية تلافتنا
الأزمة وأصبح لدى المركز الأموال السائلة التي تمكنه من أن يغطي جميع مطالبه ليس خلال
78 فحسب ، بل وخلال المرحلة المؤقتة (إل ان يتم استكمال بناء المسجد وملهقاته) والتي كان
مقدرا ان تنتهي في 31 ديسمبر 1980 .

ومن الإنداعات عطية التي قام به عدد الاممي في لندن . بعد سنة 1977
هو ما مقرة للمسلمين وثيقة بمساعي التي قام بها لدى الحكومة ان تعيد وقت .
شونه بتخصيص قطعة من الأرض خلد عروس وبذلك تم تحقيق مطلب آخر من مطالب
مسلمين

الإسككية الأولى

ان الرجل مسلم الذي يعيش في بلاد إسلامي لا يردد حمد الله في حركته في كتب
او إسككية بين له مواقيت الصلاة فهو يستطيع ان يحدد ذلك في البحر في يومية . كما
انه يستطيع ان يستمع إلى صوت المؤذن وهو يردد الصلاة من حين يجمع القرية . و
يسمعا من خلال الرديو او التلفزيون . أما إذا كان هذا المسلم يعيش في بلاد مسيحية فإن
معرفة مواقيت الصلاة تعتبر مشكلة كبرى . فليس لا يمكن رونه شونه في وحروب في
كثير من أيام السنة ولاسيما لمن يسكن داخل المدينة كما في الصحراء أو مناطق لا تحدها
أخرى لا تعلن عن توقيتات الصلاة . لذا يعود في مصر وفي عدم لإسلامي ان يعرف
إسككية تبين لنا التوقيتات الدينية خلال شهر رمضان كنوع من نوع الاحتفال شهر رمضان .
مبارك وقد وجدت ان المسلمين في البرتغال في حاجة ماسة إلى هذه الإسككية . ولكي
يجب ان تعطي جميع أيام السنة الميلادية . ان حركة الشمس لا تتغير على طول السنة فليس
عند من أول سابر وحتى 3 ديسمبر وال مواقيت الصلاة في أي يوم من أيام السنة لا تتغير
عن مواقيت الصلاة في نفس اليوم من أي سنة شمسية أخرى . فسادا لا يعمل إسككية
في جميع مطالب على طول أيام السنة . وصمم على ان أقوم بنسخي بعض هذه الإسككية

فست بريرة مدير مرصد لشبونة وشرحت له مصلحي واستعدون وثيق مع مرصد
فما بتحديد مواقيت الصلاة على طول أيام السنة بالسنة في شونه . ومع تحديد طرق التوقيت
بين لشبونة وبين المدن الرئيسية الأخرى في البرتغال بما في ذلك جزيرة ماديرة Madeira
وحرر الأزورس Azores وفي أول يوليو 1977 كان قد تم صنع 1000 إسككية وتم
توزيعها بالمحور بمعدل واحدة لكل عائلة مسلمة في البرتغال وبالإضافة إلى التوقيتات التي
سجنت في هذه الإسككية . والتي كانت تشمل ستة توقيتات لكل يوم (فجر - شروق
- ظهر - العصر - المغرب - العشاء) فقد ذكرنا فيها أيضا التواريخ الشمسية التي تقاس بالسنة
الدينية الإسلامية في التقويم القمري وحتى عام 1995 ميلادية . معتمدين في ذلك على
احسابات العمية الدقيقة التي تحدد دورة السنة الشمسية ودورة السنة القمرية وعن صريق
هذه الإسككية يمكن معرفة أول سنة الهجرية . و هوذا النبوي الشريف وأول شهر رمضان
المبارك وعيد لأصحي المبارك في أي سنة قادمة وحتى عام 1995 . وأن احتفال الخطأ في

هذه الحسابات لا يمكن أن يريده عن يوم واحد ، ورؤية الهلال هي وحدها القول الفصل إذا ما حدث خلاف بين هذا التقويم والرؤية . وعلى سبيل المثال فقد ذكرنا أن السنة المحررة 1419 ستكون غرة ، بإذن الله في 11 يونيو 1994 . وسيكون فيها المولد النبي الشريف في 20 أغسطس 94 ، وسيبدأ فيها شهر رمضان في 2 فبراير 95 ، وسيوافق فيها عيد الأضحى المبارك يوم 10 مايو 1995 .

مسجد لشبونة الكبير :

إن بناء مسجد يعتمد على ثلاثة عوامل رئيسية هي الأرض والتكاليف والتمويل . وبند كل عامل من هذه العوامل بالعامدين الآخرين ويؤثر فيهما . فكمما زادت مساحة المسجد زادت تكاليف بنائه وزادت الصعوبة في جميع الأموال والتبرعات اللازمة لإتمام المشروع . والمشكلة الرئيسية التي تقابل القائمين ببناء مسجد هي ضرورة اتخاذ القرار الحاسم بوضع الأسبقيات بين تلك المواضيع الثلاثة (الأرض ، التكاليف ، التمويل) فمما لا شك فيه فإنه يمكن بناء مسجد متواضع بمبلغ 100000 دولار في حين أن هناك مساجد أخرى بتكلف الواحد ما بين 20 - 50 مليون دولار .

وعندما بدأت أهتم بشؤون المسلمين في البرتغال كان كل ما تملكه الجالية الإسلامية على ذمة بناء الجامع هو 11000 دولار كانت المملكة العربية السعودية قد تبرعت بعشرة آلاف منها ، تبرعت الجالية وأصدقائها بحوالي الألف دولار الأخرى . وفي خلال عام 1976 كانت جهود الدكتور سليمان والي رعيم الجالية الإسلامية في البرتغال مشتتة بين بلدية لشبونة وبين الدول الإسلامية بصفة عامة والمملكة السعودية بصفة خاصة . كانت المملكة العربية السعودية عن طريق سفيرها في مدريد تقول له إنهم مستعدون لتحمل تكاليف بناء المسجد ، ولكن عندما يشعرون بأن هناك جدية لبناء هذا المسجد . وأن مظاهر هذه الجدية هي الحصول على الأرض المناسبة لبناء المسجد ، ثم عمل مشروع كامل يشمل الرسم والتكاليف الخ . أما المسؤولون في بلدية لشبونة فكانوا يقولون له «لماذا تطالبون بالأرض وليس لديكم المال اللازم لبناء . إننا لن نتأخر عن الموافقة على تخصيص قطعة الأرض المناسبة عندما تتوفر لديكم المال اللازم لبناء مسجدكم» .

كان في كلام المسؤولين في كل من بلدية لشبونة وفي لمملكة العربية السعودية شيء من المنطق . ولعله يذكرنا بالسؤال المحير حول الأسبقيات «أيهما جاء أولا البيضة أم العرصة» لكننا إذا قبلنا مطلق كل منهما على حدة فإن بناء مسجد في لشبونة سيقتضي مجرد حسم من الأحلام . لقد كانت معادلة صعبة ولا سبيل إلى حلها ما لم يغير من أسلوبنا في حل هذه المشكلة .

وبعد تفكير وجدت أن أفضل أسلوب لحل هذه المشكلة هو أن نتصور شكل المسجد الذي نحتاج اليه وأن نقوم بإجراء تقدير أولي عن تكاليف بناء هذا المسجد . وعلى ضوء هذه المعلومات الأولية شرع في البحث عن قطعة الأرض وجمع المال اللازم في وقت واحد . وقد أثبتت الدراسة الأولية أن بناء المسجد سوف يتكلف 1 مليون دولار إذا نحن اشترينا الأرض أما إذا أمكننا الحصول على الأرض من بلدية لشبونة بدون مقابل ، فإن تكاليف البناء تنحصر إلى حوالي 750 000 دولار .

في خلال عام 77 بدأت جهودنا نحو بناء المسجد تتخذ مسارا جديدا . ففي يناير من هذا العام تم تشكيل المركز الإسلامي بابرغال . ثم قام المركز بتوجيه خطابات إلى جميع مدوك ورؤساء الدول الإسلامية في العالم ، يحظروهم فيه بقرار المركز الخاص ببناء مسجد في حدود مليون دولار ، ويلتمس من كل منهم أن تبرع بقدر ما تطيقه بلاده من أموال لبناء هذا المسجد . وفي ديسمبر من نفس العام وصل أول تبرع من دولة الإمارات العربية ببلغ 100 000 دولار .

كان تبرع دولة الإمارات بمثابة دفعة قوية للمشروع . فعلى مستوى بلدية لشبونة استطاعت البلدية أن تقتنع بأننا نسير خطوات حادة نحو تنفيذ المشروع . إذ كت دولة الإمارات العربية قد تبرعت بمبلغ 100 000 ولا بد أن المساحة العربية السعودية ستبرع بأصناف هذا المبلغ . ولا بد أن الدول العربية النفطية ستبرع هي الأخرى للمشروع بمبلغ تتناسب مع ثرائها وموقفها الاقتصادي . ونتيجة لذلك تبرعت البلدية بقطعة أرض مساحتها حوالي 2500 متر مربع في مكان من أروع الأماكن في لشبونة . وفي 17 فبراير تم تسليم قطعة الأرض من البلدية إلى حالية المسلمين وذلك بموجب صك يعطيهم حق الانتفاع بهذه الأرض لمدة 90 عاما .

كان حصولنا على الأرض اللازمة لبناء المسجد بدون مقابل بمثابة دفعة قوية أخرى نحو نجاح المشروع . فمن الناحية الاقتصادية فإنه قد حمص المبلغ المستهدف جمعه إلى حوالي 750 000 دولار . ومن الناحية الدعاية والإعلامية لمشروع فإنه كان يؤكد جديته ونفذه . وفي منتصف شهر يونيو 78 تم في سفير دولة الكويت في مدريد . وأخبرني بأن الكويت قد تبرعت للمسجد بمبلغ 100 000 وأنه سيحضر بنفسه يوم أول يوليو لكي يقوم تسليم الشيك . كنت وأنا أتحدث اليه علم بأنني لن أحضر الاحتفال الخاص باستلام هذا التبرع لأنني كنت قد عقدت العزم على أن أفرح الموقف بيني وبين السادات يوم 19 يونيو وأنتي سوف أفقد منصبتي نتيجة لذلك وأغادر البرتغال قبل أو بيو . ولكنني مع ذلك شكرته

ودعوته إلى حفل عشاء أقيم في منزلي على شرفه يوم 4 يوليو أما المملكة العربية السعودية فقد أبلغت عن طريق سفيرها في مدريد بأنها قد قررت المساهمة بمبلغ 300 000 دولار. وبذلك أصبح تحت يدينا في الطريق أيضا 500 000 دولار. وهي تمثل ثلثي المبلغ المنشود للمشروع. أي أن مشروع بناء المسجد قد أصبح واقعا وليس حلاما من الأحلام.

عندما عادت البرتغال في 28 يونيو 78 كانت الحطة الموضوعة لبناء المسجد تقضي بأن يوضع حجر الأساس قبل نهاية عام 78 وأن يتم البناء قبل -بأية عام 80- ولكن حجر الأساس لم يوضع إلا يوم الجمعة 23 رمضان سنة 1399 هجرية الموافق يوم 17 أغسطس 79 وذلك بتأخير حوالي 8 شهور عن الجدول الرسمي الموضوع. وقد علمت مؤخرًا (نوفمبر 79) بأن المشروع قد قدرت تكاليفه بمبلغ 4 100 000 دولار وأن هذا الارتفاع في تكاليف البناء والتي تبلغ أكثر من خمسة أضعاف تقديراتنا عام 77 لا ترجع إلى خطأ في التقديرات السابقة أو إلى زيادة نسبة التصحيم، وإنما ترجع إلى الرعة الطموحة في إنشاء مسجد يكون الفن والروعة والفضخامة هي الهدف الأول من بنائه.

إني لا عارص أن يكون المسجد ضخما وحميلا ورائعا إذا توفر المال لذلك أم ونحن نحصل على المال بثق الأيس فإنه يجب علينا أن نجيب على هذا السؤال قبل أن نقدم على بناء المساجد الضخمة. «أيهما أفضل إلى المسلمين المنتشرين في تجمعات صغيرة داخل الدول المسيحية. أم بني جامعا صغيرا متواضعا لكل تجمع صغير أم أن بني جامعا وحدا ضخما كي ينهر السباح بعظمته وحماله. بينما ملايين المسلمين لا يتحدون عرفة متواضعة يمارسون فيها صلاحهم أيام الجمعة وأيام الأعياد؟؟»

إني أشفق الآن على مشروع بناء مسجد لشبونة. أن الطموح الذي لا تؤيده الإمكانيات والقدرات، لا بد وأن يصطدم بالواقع ولا بد أن يتعثر بتعبه. أن الإمكانيات والقدرات هي التي تحدد الأهداف الممكنة ووقت تنفيذها. أما أن نحدد هدفا خارج طاقاتها فإن ذلك يعني أن تحقيق هذا الهدف ليس مرهون بإرادتنا، وإنما هو أمل يحور أن يتحقق ولا يتحقق، دون أن يكون لنا السيطرة الكاملة على تحقيقه. أن التبرعات لبناء المسجد خلال الفترة ما بين يونيو 78 ونوفمبر 79 لم تزيد عن 10 000 دولار تبرعت بها الباكستان أي أن إجمالي التبرعات هو 510 000 دولار. كم كنت أود أن يفتح القائمون على هذا المشروع بإقامة جامع متواضع في حدود 750 000 دولار ويكون جاهزا في عام 80، بدلا من التطلع لإنشاء جامع ضخم تبلغ تكاليفه 4 100 000 دولار ويعلم الله متى سوف يتم به مثل هذا الجامع.

الفصل التاسع

التجربة البرتغالية

وصول سالازار إلى الحكم :

لقد كانت خدمتي في البرتغال ما يقرب من ثلاث سنوات فرصة مثالية لكي أدرس التجربة البرتغالية . كيف وصل سالازار إلى الحكم ، وكيف أنهى بلاده من التدهور الاقتصادي ؟ كيف تحول إلى دكتاتور تحت شعار المستبد العادل ؟ هل حق يوجد من هو مستبد وعادل ، أم أن هذا هو مجرد شعار أخوف ؟ كيف استمر نظام الحكم الذي أسسه سالازار في نفس المسيرة بعد وفاة سالازار ؟ كيف انهار النظام على أيدي رجال الثورة البرعانيين بعد 48 سنة من الحكم الديكتاتوري ؟ كيف تحولت البرتغال من نظام الحكم الأوتوقراطي إلى النظام الديمقراطي ؟

في 28 مايو 1926 تحرك الجنرال جومش داكوشا General Gomez da Costa من مدينة بورتو Porto على رأس جيش صغير إلى مدينة لشونة ، حيث أسقط نظام الحكم فيها وأقام نظاماً جديداً تحت رئاسته . ولكن سرعان ما دب الخلاف بينه وبين أعوانه ، فعزل من منصبه ونفي إلى جزر الأزور Açores . وتولى رئاسة الدولة من بعده الجنرال كارمونا Carmona . وقد استدعى الجنرال كارمونا أستاذ الاقتصاد في جامعة كويمبرا Coimbra University وأسند إليه منصب وزير المالية ولم يكن هذا الأستاذ سوى أنطونيو دي أوليفيرا سالازار Antonio de Oliveira Salazar . كانت خطة سالازار للخروج من الأزمة الاقتصادية تتلخص في فرض قيود شديدة على الإنفاق الحكومي ، وتحقيق الانفراج الاقتصادي بعد فترة طويلة من العمل الشاق . ولكن هذه

الافتكار وهذه الخطة لم ترق في أعين من ييدهم السلطة . فاضطر سالازار إلى الاستقالة من الوزارة . والعودة مرة أخرى إلى جامعة كومبريا .

ولكن استمرار تدهور الموقف الاقتصادي ، اضطر الجنرال كارمونا وزملاؤه إلى استدعاء سالازار مرة أخرى . واعتذروا له على تصرفاتهم السابقة . ووافقوا على جميع شروط التي فرضها عليهم كأساس لقبوله منصب وزير المالية من جديد . وفي أبريل 28 أصبح سالازار وريسا للمالية للمرة الثانية . ولكنه في هذه المرة كان ذو قوة ونفوذ كبيرين . لقد كان يسيطر على جميع الوزارات الأخرى عن طريق التحكم في تخصيص الاعتمادات المالية لها . دوراي رقيب من أي جهة أخرى . فدان له الكل بالولاء أو الخضوع . وإذا كان سالازار م يصح رئيسا للوزارة إلا في عام 1932 فإن الكثير من المؤرخين يعتبرون أن حكمه الديكتاتوري قد بدأ عندما قبل الجنرال كارمونا وأصحابه الشروط التي فرضها عليهم سالازار في أبريل 1928

وفيما بين 1926 وحتى تاريخ وفاة سالازار في يوليو 70 . وقع في البرتغال سبعة محاولات انقلاب فاشلة . وقعت على التوالي في 3 فبراير 27 ، 20 يوليو 28 ، 4 أبريل 31 ، 26 أغسطس 31 ، 10 سبتمبر 35 ، 9 سبتمبر 36 ، مايو 45 . ولعل أخطر هذه الانقلابات هو انقلاب مايو 45 حيث أن رئيس الجمهورية كان هو نفسه زعيم هذا الانقلاب الذي كان يريد به أن يطيح برئيس وزرائه ، الذي فرض نفسه عليه وعلى شعب البرتغال . وأن مثل انقلاب يقوم به رئيس الدولة وصاحب السلطة الشرعية في إقالة رئيس الوزراء . بين له كيف كان سالازار يقبض على زمام الأمور في البرتغال بيد حديدية . وفي خلال ال 25 سنة التي أعقبت انقلاب عام 45 الفاشل ، كان سالازار يقوم بمطاردة خصومه وتصفيتهم . لم يسمح قط لأي منهم أن يقوم بتنظيم أي أو معارضة حقيقية ضده . لقد أصيب سالازار بنوبة قلبية شديدة في سبتمبر 68 ورقد طريق الفراش لا يكاد يدري بما يدور حوله . ومع ذلك فلم يجرؤ أحد على إقالته من رئاسة الوزراء . واستمر رئيسا للوزارة وهو على فراش الموت ما يقرب من ستين يوما كان أحد تلاميذه البرفسور كايتانو Caetano يقود البلاد مكتفيا بلقب نائب رئيس الوزراء .

مات سالازار وهو لا يدري أن النظام الذي أسسه في البرتغال سوف ينهار في عام 74 . وأن الشعب البرتغالي سوف يحاول أن يحو كل الآثار التي تذكره بهذه الفترة الحالكة من تاريخه . وأن هذا الشعب الذي خضع لجبروته ، سوف يقوم بنسف تمثاله وسجله في الشوارع . ان الغرور واستخدام القوة والقهر قد تمكن الحاكم المستبد من أن يبقى على عرشه إلى أن يسقطه انقلاب عسكري ناجح أو يتوفاه الله . أما أن يتصور هؤلاء أنهم يستطيعون أن يزيفوا التاريخ وأن يسجلوه لصالحهم قبل وفاتهم فإن هذا يدل على قصر النظر والجهل بنسبة

الجمهير . مثلهم كمثل من قال فيهم الله تعالى «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (12).

لقد دمر الشعب البرتغالي تمثال سالازار في عام 75 ، وفي فبراير 79 دمر الإيرانيون تمثال الشاه رضا بهلوي ، وفي سبتمبر 79 دمر شعب أمريكا الوسطى تمثال بوكاسا الذي كان قد نصب نفسه أمبراطورا على قمة جبل من جماجم الفقراء . ومع ذلك فلارال هناك آخرون سيرون في نفس الطريق الذي سار فيه هؤلاء الطغاة السابقون . «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم» .

سالازار يبقى في السلطة 38 سنة :

ولكن كيف استطاع سالازار أن يبقى في السلطة مدة 38 سنة ؟ وما هي الوسائل والحيل التي لحا إليها لكي يبقى نفسه في السلطة طوال هذه المدة ؟ . لقد ارتكب سالازار خلال هذه الفترة آلاف الخطايا ولكن هناء ثلاثة كبائر ترتب عليها كل المظالم والخطايا التي ارتكبها النظام طوال هذه الفترة . وكانت هذه الكبائر هي :

- 1- إلغاء الأحزاب وتشكيل ما أسماه بالاتحاد القومي National Union الذي كان هو الحزب الرسمي الوحيد في البلاد .
- 2- أصدر دستورا جديدا للبلاد . وكان هذا الدستور يخدم ويحقق أهدافه الديكتاتورية . وقد عرض هذا الدستور للاستفتاء الشعبي في عام 1933 وكانت نتيجة الاستفتاء الشعبي هي طبعاً كما يريد لها سالازار أن تكون
- 3- تزوير الانتخابات والاستفتاءات .

لقد كان سالازار يدعي بأن نظامه هو النظام الديمقراطي المثالي . أليس هناك اتحاداً قوياً منتخباً ؟ أليس هناك دستوراً صادق عليه الشعب بأغلبية ساحقة ؟ أليست السلطات التي يمارسها هي طبقاً لما ورد في الدستور ؟ أليس هناك مجلس شعب انتخبه الشعب البرتغالي ؟ أليس هذا المجلس المنتخب هو الذي يصدر القوانين ؟ أليس شعاره وشعار الدولة هو سيادة القانون ؟ ماذا يريد هؤلاء السفهاء الذين يتقنون نظامه ويطالبون بالديمقراطية ؟ ان كل من يعارض هذا النظام ما هو إلا عميل لدولة أجنبية . وجزاء العملاء هو أن يقتلوا أو يسجنوا ويفتعلوا الأرض . هكذا كان يفكر سالازار . وهكذا كان يفكر كائنانو خليفته من بعده .

وبالعلماء تكون الأحزاب حرم سالازار خصومه من تنظيم صفوفهم وبالتالي فإن معارضتهم النظام أصبحت معارضة فردية وغير مؤثرة . وبتزوير الانتخابات أصبح يستطيع أن يتحكم

في انتقاء الأشخاص لمنحيب ، وأصبح أعضاء الاتحاد القومي وأعضاء مجلس الشعب
ألغوة في يده . هو الذي أوصلهم إلى هذه المناصب . وهو الذي يستطيع أن يحرمهم منها .
وبالتالي فإنهم لم يكونوا سوى أداة تبصم على القرارات والقوانين التي يريد سالازار أن
يستصدرها . لقد كان نظام سالازار في جوهره نظاما أوتوقراطيا . ولكنه كان يلبس فوق
وجهه قناعا سماه الديمقراطية . وتصور أنه بهذا القناع يستطيع أن يخدع الناس بحقيقته .

وفي دستور 33 حرص سالازار على أن ينص الدستور على حق الحكومة في إصدار
قرارات لها قوة القانون Decree laws ، ذات طبيعة إدارية ولا تخضع لرقابة السلطة
لقضائية . وعن طريق هذا النص استطاع سالازار أن يصدر قرارات قمعية . تعطي الحكومة
حق فرض الرقابة ، وحققا في اعتقال الأفراد ونفيهم من البلاد .

الرقابة :

لم يكن سالازار من الذاجة بحيث يصح أن لرقابة التي يريد أن يفرضها هي لتثبيت
سلطته ، بل أنه لجأ إلى تخدير الشعب بأقوال معسولة هي أبعد ما تكون عن الحقيقة . وعندما
كان سالازار يتقدم بالقانون رقم 22469 في 11 أبريل 33 فإنه قال « إن هذا القانون يهدف
إلى عدم تصيل الرأي العام . إنه سوف ينفذ بحيث يحمي الرأي العام من كل العوامل التي قد
تؤدي إلى الانحراف عن الحق والعمل والنظم . والمثل الأساسية في المجتمع » بعد كان
الكلام جميلا ولكنه كان خادعا . فعلا أقل من سبعة شهور من إقرار هذا القانون وعن وجه
التحديد في 6 نوفمبر 33 ، أصدر سالازار قانونا جديدا للصحافة . حدد فيه الحرية التي
يمكن أن تخضع تحت طائلة القانون رقم 22469 وقد جاء فيه ما يلي :

• كل من يدعو إلى ما يمكن اعتباره مسا بالوحدة الوطنية

• كل من ينتقد النظام القائم أو يدعو إلى إسقاطه

• كل من ينتقد رئيس الجمهورية أو وزرائه

• كل من يثير الشعب أو يشجع الآخرين على التطاهر

• كل من يهدد السلام الاجتماعي

• كل من يدعو إلى الاضراب عن العمل

• كل من يث لإشاعات التي ترمي إلى إشاعة الفوضى وعدم استتباب الأمن

والرقابة هي كالغول الذي لا يشع أبدا ، بيد بانقيل ثم يعود فيطلب المرء إن
يلتهم الجميع . ويقول المثل المصري في ذلك « تعطيه صباغ يطب ذراع ، وهذا هو »
الغول البرتغالي ومشى على نهج الكثيرون من بعده . فبعد قانون الصحافة ، أصدر سالازار

قوانين أخرى تتعلق بفرض ارقابة على جميع الاتصالات التليفونية والبرقية واللاسلكية كما امتدت يد ارقيب إلى جميع الكتب والمطبوعات سواء كانت محلية أو أجنبية . وفي نهاية أصبح الشعب البرتغالي أسير سالارار . فإنه لا يقرأ في الصحف أو في الكتب إلا ما يريد له سالارار . كما وأنه لا يسمع في الإذاعة إلا ما يريد له سالارار أن يسمعه . ولا يرى في السينما والتلفزيون من بعد ذلك إلا ما يريد له سالارار أن يراه . وهذا هو قمة العزو العسكري وبالرغم من التضليل الشع الذي ارتكبه سالارار في حق شعبه . فإنه كان يرتكب كل ذلك تحت شعار سيادة القانون .

الاعتقال :

أما قوانين الاعتقال التي أصدرها سالارار فقد كانت تعطي الحكومة الحق في اعتقال لأفراد لمدة 180 يوما . وعندما تقدم سالارار بقانون الاعتقال ، فإنه أوردى بأن لعرض من هذا القانون هو إعطاء الحكومة الحق في اعتقال لأفراد من خطر ينالهم في أعمال تهدد أمن وسلامة البلاد . ولكن الممارسة أثبتت بأن الحكومة قامت في ظل هذا لقانون بالقبض على كل من تشبه فيه بأنه يعارض سياستها . لقد كانت قوانين الرقابة تعطي الحكومة الحق في القبض على من يعارضها في العلن ، ولكن هذه القوانين لم تكن تعطيها الحق في القبض على من يعارضها وهم في صالونات لمبارل أثناء مناقشتهم الخاصة ، فحاء دبور الاعتقال ليكمل هذا القصة . ان تقريرا واحد من جهاز المخابرات العامة ، الذي قدم سالارار بتشكيكه بعد انفراده بالسلطة عام 32 وكان يطلق عليه اسم Pide . كان مررا كافيا للقصة على أي شخص وإيداعه إلى المعتقل دون أن توجه اليه أي تهمة .

كم من الأحرار دفع بهم سالارار إلى معتقلات الجب Ajube ، كاشياش Caxias . بنيش Peniche : أنجرا Angra (في جزر الأوروش) ، طراهال Trafal (في جزر لرأس الأخضر) كم منهم مات وكم منهم فقد عقله فيها . ورغم أن ثورة إبريل 74 قد حررت جميع المعتقلين ، إلا أن هؤلاء رغم ما يشعرون به من حرية ، فإن مجرد ذكر هذه الأسماء أمامهم ، يثير الرعدة في نفوسهم . إنه يذكركم بما لاقوه من تعذيب وإهدار للإنسانية في تلك السجون والمعتقلات الرهيبة .

النفي :

وقد استحدث سالارار موضوع النفي أو الطرد من البلاد . وقد أصدر القوانين التي تعطي الحكومة الحق في طرد أي مواطن من البلاد ، إذا روي أن بقاؤه هو امر غير مرغوب فيه وقد كان سالارار يفضل أن يبي خصومه إلى المستعمرات البرتغالية حيث يمكن إبقاؤهم تحت السيطرة ، بدلا من أن تنفيهم إلى بلد أجنبي يستطيعون منه أن يوجهوا نقدهم إلى نظامه .

التعذيب :

لقد كان التعذيب هو أحد وسائل الحكم في نظام سالازار . وفي حديث مع الصحفي أنطونيو فرو Antonio Ferro ، قال سالازار لكي يبرر عمليات التعذيب التي يمارسها نظامه «انه من الضروري أن نمارس بعض وسائل العنف ضد هؤلاء الإرهابيين الخطيرين لإرغامهم على قول الحقيقة» . وإن مثل هذا القول الذي يتنافى مع حقوق الإنسان ، ومبادئ الأمم المتحدة ، هو دليل على مدى القسوة والعنف التي ارتكبتها هذا النظام في حق الشعب البرتغالي وفي حق البشرية جمعاء .

الاعتقال :

وفي ظل هذه القوانين الظالمة قام سالازار بسحق كل صاحب رأي حر . وكان مصيرهم الاعتقال بواسطة ال Pide أو السجن والاعتقال والتشريد . ولم يبق في الساحة إلا المرتزقة من الكتاب والسياسيين والمنافقين ، الذين يطلبون ويزينون له كل أعماله ، ويسحون بحدود جلادهم في ذلة وخنوع . أما الشرفاء والأحرار فكم من مئات منهم قد تم اغتيالهم بواسطة السلطة . ولعل أكثر حوادث الاغتيال في تاريخ سالازار الأسود شهره وثبوتها هو حادث اغتيال الجنرال أومبرتو ديجادو : general Humberto Delgado ، الذي رشح نفسه في انتخابات رئاسة الجمهورية التي عقدت عام 1958 .

كان سالازار يقبض على زمام السلطة بيد من حديد ، ولكنه كان محروم رئيس ورر . كان هناك رئيس جمهورية ينتخب كل 7 سنوات . وكان في الدستور البرتغالي مادة تعطي لرئيس الجمهورية الحق في إقالة رئيس الوزراء . ولم تكن هذه المادة لتزعج سالازار مادام هو الذي يتحكم في انتخاب رئيس الجمهورية . وقد اختار سالازار الأدميرال أميريكو توماس Admiral Americo Thomas ليحري في انتخابات عام 58 ، بينما اختار الجنرال ديجادو أن يتحدى سالازار وأن يرشح نفسه للرئاسة . كان ديجادو هو مندوب البرتغال في حلف الناتو Nato ، وقد تأثر نتيجة إقامته بالخارج بالديموقراطية وحرية التعبير التي يمارسها الفرد في دول أوروبا الغربية ، وصمم على أن يكافح من أجل إرساء الديمقراطية في بلاده .

بالرغم من ديكتاتورية النظام السلاراري ، إلا أن سالازار كان يحرص على إبداء بعض المظاهر الشكلية التي قد توحي لبسطاء بأن هناك قدرا من الديمقراطية ، وأن هناك قدرا من الحرية . ومن بين هذه المظاهر الشكلية تمسكه برفع الرقابة عن الصحف لمدة ثلاثين يوما قبل يوم الاقتراع . وفي ظل وقف الرقابة والقيود على الاجتماعات لأغراض الحملة

الانتخابية . قام الجنرال ديلجادو بانتقاد سالارار ، وأعلن أثناء اجتماع جماهيري في مدينة بورتو (PORTO) حضره بضعة مئات من الألوف ، بأنه إذا نجح في انتخابات الرئاسة فإنه سوف يعزل سالارار من منصبه . وقد قابلت الجماهير تصريح ديلجادو بالفرح والهدف معنيين بذلك عما يشعرون به من كبت ومراره . كانت الاحتفالات الجماهيرية تؤكد ان العلية العظمى من الشعب البرتغالي تؤيد ديلجادو ، ولكن التأييد الشعبي شيء واستيحية الرسمية للانتخابات شيء آخر . لقد أعلن سالارار نتيجة الانتخابات فكانت 758998 لصالح الأدميرال توماس بيما لم يحصل ديلجادو إلا على 236528 . وعجرو إعلان نتيجة الانتخابات أعيدت لرقابة مرة أخرى وأصبح انتقاد الحكومة أو اتهامها بتزيف الانتخابات جريمة تؤدي بمصاحبها إلى الاعتقال والسجن والتشريد . وصممت الأصوات الحرة . وكسرت الأقلام الشريفة . وعاد المرتزقة والمافقيين من السياسيين والكتاب إلى التسييح بحمد الاله سالارار .

وبالرغم من سقوط ديلجادو في انتخابات الرئاسة ، إلا أن حتمته الانتخابية قد هزت نظام وأرجعته . ولكي يضمن عدم إمكانية تكرار مثل هذا الموقف مستقبلا . قدم سالارار بتعديل الدستور بحيث أصبح الترشيح لرئاسة الجمهورية ليس حقا مباحا لأي فرد ، ولكنه يجب أن يتم ترشيحه أولا بواسطة مجلس الشعب . وحيث أن مجلس الشعب هو من صنع سالارار فإن مثل هذا المجلس لا يمكنه أن يرشح شخصا لا يرضى عنه سالارار .

بعد ذلك عرض سالارار على ديلجادو المال والمص ، لكي يستقبطه أو يبعده . ولكن ديلجادو رفض هذه العروض . وقد تحركت المخابرات ايدمة PIDE . وأخذت تترصد به لاعتقاله . فهرب إلى خارج البلاد . وأخذ يمارس نشاطه ضد نظام سالارار من الخارج . ولكن ان Pide استطاعت أن تحرق صفوف أعوانه ، وتزرع بينهم جوسيب الذين يتظاهرون بأنهم يتآمرون معه ضد سالارار . وفي ديسمبر 65 أقع بعض النوبة من رجاله وندس لم يكونوا سوى عملاء سالارار . ونذهب إلى مدينة باداخوش Badajoz ، وهي بلدة إسبانية على الحدود البرتغالية . لقد أخبروه أن بعض المعارضين لنظام سالارار في داخل البرتغال سوف يحصرون لمقابته ليلا في هذه المدينة . وذلك للإتيان على انقلاب بطيح هذا النظام . وفي 13 فبراير 65 قام عملاء المخابرات بعتيال الجنرال ديلجادو الذي لم يعرف حدود وفاته إلا في 27 أبريل 65 عندما اكتشفت جثته في Vila Nueva del Fresno على مقربة من الحدود البرتغالية الإسبانية .

سالارار في الميزان :

ومع كل ما قيل عن سالارار فإننا يجب أن نعرف بأنه كان له بعض الحسنات ففي

المجال الاقتصادي نجح سالازار في إنقاذ البرتغال من التدهور الاقتصادي . وأخذ معدل النمو الاقتصادي يرتفع عاما بعد عام . وفيما بين 1950 - 56 كان معدل النمو الاقتصادي السنوي إلى 5,7% ، وفيما بين 57 - 61 ارتفع معدل النمو الاقتصادي السنوي إلى 4,5% ، بينما كان معدل النمو السنوي في دول المجموعة الأوروبية OECD عن نفس الفترة هو 4,4% فقط . وقد تم تحقيق كل ذلك بدون لاستعانة برأس المال الأجنبي . وقد ازداد متوسط دخل الفرد في البرتغال خلال فترة حكم سالازار زيادة كبيرة ، جعلته يقترب كثيرا من متوسط الفرد في الدول الأوروبية . ولكن يجب ألا ننسى أن هذا الازدهار الاقتصادي لم يستفد منه إلا فئة قليلة من الناس . وبارعم من أن جموع الشعب الكادحة هي التي حققت هذا الرخاء ، فإن نصيبها من هذا الرخاء كان محدودا جدا .

لقد كان سالازار شخصيته عربية حقا . لقد نشأ في بيئة فقيرة وقد قسى شطط العيش أثناء فترة طموكه وشبابه . وبعد أن وصل إلى الحكم والسلطة فإنه لم يغير في نظام حياته . لم يخصص لنفسه - وهو سيد البرتغال الأوحده - عشرات القصور التي تكلف الدولة مئات الملايين من الدولارات . كما يعمل أمثاله من الحكام الأوتوقراطيين . لقد عاش حتى آخر يوم في حياته في فيلا صغيرة متواضعة . لقد رأيتها بنفسني وهي لا تزيد في منظرها عن أي فيلا يسكنها أستاذ جامعي سواء في البرتغال أو في مصر . وقد عاش حياته أعزبا ولم يعرف عنه إن كان له عشيقات . وكانت حياته من ناحية المأكل والمشرب والملبس أقرب إلى التقشف منه إلى الرفاهية والاستمتاع بالحياة . لم يسرق شيئا من مال الشعب نفسه فلم يترك المتشكك منه إلى الرفاهية والاستمتاع بالحياة . لم يسرق شيئا من مال الشعب نفسه فلم يترك من بعده ضياعا واسعة أو أموالا في السوك كما فعل غيره من الحكام الأوتوقراطيين . ومع كل هذه الحساسات فإن سالازار كان يميل منطرفا ، يقوم بخدمة مصالح البئير ويعمل على إنعاشه اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وفكريا ، على حساب الطبقات العاملة التي كانت لا تحصل على نصيب عادل من الثروة والإنتاج الذي تحققه بمرقها وبدمائها .

كان سالازار يعيش حياة الراهب المتقشف . أما الشعب فقد كان يتكون من طبقتين . طبقة تتكون من بضعة آلاف من الناس بإمكانهم المال والسلطة ويعيشون في قصورهم حياة انترف والرفاهية . وطبقة كادحة لا يملكون شيئا من المال أو السلطة ولا يحصلون مقابل عملهم إلا بما يكاد يقيم أودهم . لقد كان سالازار كريما جدا مع الأغنياء ، شحيحا قاسيا مع الفقراء . وقد كان أكثر شحنا وفسره مع العمال الأفريقيين من سكان المستعمرات . لقد بلغت قسوة سالازار واستهانتته بآدمية سكان المستعمرات البرتغالية أن أخذ يستغلهم في العمل في جنوب افريقيا ، وكان حكومة البرتغال قد تحولت إلى مقاول للانفار . لقد عقد سالازار اتعاقا مع حكومة جنوب افريقيا يقوم بموجبه بتوريد عشرات الأنوف من العمال من موزمبيق

وأنجولا وغيرها من المستعمرات البرتغالية الأفريقية ، للعمل في مناجم الذهب في جنوب أفريقيا ، على أن تقوم تلك الحكومة بدفع أجور هؤلاء العمال إلى حكومة البرتغال بالعملة الذهبية . كان العمال الأفريقيون يكفون ويعزقون ، ويستبدلون بغيرهم كل ستة شهور قبل أن يموتوا من التعب والإرهاق ولا يحصلون في مقابل ذلك إلا على طعامهم وإيوائهم . طعم لا يفي ولا يسمن من جوع ، ومساكن هي أشبه بزازائب الماشية . أما أجورهم بالعملة الذهبية فقد كان يتم توريدها رأساً إلى لشبونة .

وبالرغم من الانتعاش الذي حققه سالازار خلال الأربعينات والخمسينات ، إلا أن الموقف خلال الستينات بدأ يتغير نتيجة الحروب الاستعمارية التي أخذت البرتغال تنغمس فيها . لقد كان سالازار يفكر خلال الستينات بنفس الأسلوب الذي كان يفكر فيه في الثلاثينات . لم يستطع سالازار أن يتفهم الحركات التحررية التي بدأت تحتاج العالم في الخمسينات . كان يعتبر المستعمرات البرتغالية جزءاً لا يتجزأ من أمبراطوريته . كان تفكيره يتطابق مع تفكير فرنسا التي كانت تعتبر الجزائر جزءاً لا يتجزأ من الوطن الفرنسي . وبالرغم من أن فرنسا أذعنت إلى الأمر الواقع وحصلت الجزائر على استقلالها في 5 يوليو 1962 ، إلا أن سالازار تشبث بأفكاره البالية ، وصمم على أن يسحق الثورات التي كانت رباحها تزداد قوة في المستعمرات البرتغالية . وفي خلال الستينات دفعت البرتغال ثمن غالباً في تلك الحروب الاستعمارية . لقد دفعت حوالي 1000 مليون دولار وقتل من أنثائها حوالي 10000 رجل .

كان سالازار يكره الاستدانة ويكره تشجيع رأس المال الأجنبي . كانت نظريته الاقتصادية في التمية تعتمد على التمويل المحلي . ولكن تكاليف الحروب الاستعمارية اضطرتة إلى الخروج من هذه القاعدة وأعلى سياسة الانفتاح . وفي 28 أبريل 65 أصدر قانوناً لتشجيع الاستثمار الأجنبي . ونتيجة لهذه السياسة الجديدة تدفقت رؤوس الأموال الأجنبية على البرتغال . وارتفع نصيب الشركات الأجنبية في الصناعة البرتغالية من 1,5% عام 60 إلى 27% عام 70 .

ومن ضمن محاسن سالازار أنه استطاع أن يقف ببلاده موقف الحياد إبان الحرب العالمية الثانية 39 - 45 . أن هذا الموقف لم يجنب البرتغال ويلات الحرب ويوفر للخزينة الإنفاق الحربي فحسب ، بل أنه ساعد في انتعاش الموقف الاقتصادي ، نتيجة الأرباح التي حققتها من التجارة مع كل من الطرفين المتحاربين . وبالرغم من موقف الحياد الذي انتهجته البرتغال ، إلا أنه من الثابت أن سالازار كان يميل بقلبه وعواطفه نحو هتلر . وكان يؤدي لدول المحور بعض الخدمات الخاصة ، ولاسيما عندما سمح للعواصم الألمانية باستخدام

جزر الأوروش في عمليات القومين والراحة . ولكن عندما بدأت الموارد نضج لصالح الحلفاء . وبدأت الولايات المتحدة ترسل قواتها لغزو شمال أفريقيا ، بدأ سالازار يتوود إلى أمريكا والدول القريبة .

وخلصة القول فإن سالازار كان له بعض الحسنات ولكن سيئاته كانت تفوق حسناته . لقد أتعش الاقتصاد البرتغالي ولكنه لم يتروح العدالة في توزيع الأرباح . لقد حسب البرتغال ويلات الحرب العالمية ثم تورط بعد ذلك في حروب استعمارية . لقد كان يخلط بين سلامة البلاد وبين سلامة نظامه . كان يعتبر أن كل ما يهدد نظامه هو تهديد لسلامة البرتغال . وهذا هو منطق الحكام الأوتوقراطيين . لقد ذبح الديمقراطية في البرتغال وهذه هي جريمة الكبرى . ليس من حق أي حاكم مهما قدم إلى بلاده من خدمات أن يرغم شعبه على أن يدفع ثمن ذلك ، عبودية وحضوعاً ونائبها لهذا الحاكم . أن قوة أي بلد هي قوة أفرادها . وإذا حول الحاكم شعبه إلى مجموعة من العبيد ، فإنه لن يستطيع أن يخلق منهم أمة قوية .

كايتانو Caetano يخلف سالازار :

البرفسور كايانو هو الآخر أستاذ جامعي في الاقتصاد . وقد أخذ يدير شؤون البلاد فترة مرض سالازار التي امتدت ما يقرب من 22 شهراً مكتفياً بلقب نائب رئيس الوزراء . ولكنه خلف سالازار بصفة رسمية بعد وفاته في يوليو 70 . كان نظام كايانو هو استمرار لنظام سالازار . ولكنه حاول أن يدخل بعض التعديلات في الشكل دون المساس بالجوهر .

لقد استمر النظام الاقتصادي كما هو . لقد استمر النظام البوليسي القمعي كما هو . لقد استمرت الحروب الاستعمارية في أفريقيا كما هي . لقد استمر النظام السياسي كما هو .

وفي ظل هذا النظام القمعي لم يكن من الممكن أن يحدث أي تغيير في هذا النظام إلا بواسطة العنف الثوري . أن النظام كان يمنع المعارضة ، ويمنع حرية التعبير ، ويفرض رقابة على الصحف وجميع وسائل الإعلام ، ويمنع التظاهر أو الإضراب عن العمل . شيء واحد لم يستطع أن يصل إليه وهو ما يكتمه الثوار في نفوسهم . وفي يوم 25 أبريل 1974 تحركت مجموعة من الضباط الأحرار وأسقطوا النظام الدكتاتوري الذي أسسه الجنرال جومش داكوشا في مايو 1926 والذي ورثه وطوره سالازار من بعده . لقد سقط النظام دون قتال ، لأنه ما من أحد كان يريد أن يضحى بنفسه من أجل هذا النظام . كان العمال والفلاحين يكرهون النظام . كان الضباط والجنود يكرهون النظام الذي يزوج بهم في حروب استعمارية ، لا تنهش مع روح العصر ولا تحقق من شيء اللهم إلا إرضاء غرور حاكم مستبد .

سقط النظام الذي كان يدعي أن الشعب البرتغالي يؤيده تأييدا ساحقا وأنه لا يوجد داخل البرتغال من يعارضه . حقا لم يكن داخل البرتغال من يستطيع أن يعارض النظام بلسانه . ولكن كان هناك الملايين ممن يلعنون هذا النظام قلوبهم . لم يكن أمام من يريد أن ينتقد النظام إلا أن يهجر إلى بلد آخر . وعاش لآحرار الذين لا يستطيعون الصمت في المنفى الذي اختاروه لأنفسهم . عاشت مجموعة منهم في الجزائر ، وأخرى في سويسرا ، بينما عاشت مجموعة ثالثة في تشيكوسلوفاكيا . ومن تلك البلاد كانوا يهاجمون ويفضحون نظام سالازار وكابيتانو من بعده . م يعد هؤلاء إلى بلادهم إلا بعد أن سقط النظام . لقد سقط النظام الذي كان يخدم مصالح 0,1% من الشعب ويستقطب 0,9% من الانتهازيين سنا كان 99% من الشعب يعيشون في ضنك وبلاء .

طبيعة الثورة البرتغالية

لم تكن الثورة البرتغالية ذات طابع أيديولوجي متميز . فقد كان من بين قادة الثورة من يدين بالأفكار اليسارية ، كما كان من بينهم من يدين بالأفكار اليمينية . لقد كان يجمعهم هدف واحد هو إسقاط هذا النظام الأوتوقراطي وإرساء قواعد الديمقراطية الحقيقية في البلاد . وفي ظل الديمقراطية الحقيقية يستطيع الشعب أن يتخذ قراره في المواضيع الهامة . لقد مجحوا في تشخيص الأسباب التي أدت إلى الديكتاتورية . فأعلنوا منذ اليوم الأول لثورتهم أنهم يؤيدون تعدد الأحزاب ، وحرية التعبير المطلقة . وأهم سيقومون بتسليم السلطة إلى المدنيين بمجرد أن يتم تشكيل المؤسسات الديمقراطية في مدة قدرت حينئذ بستين .

ولعل مجلس قيادة الثورة البرتغالية هو أول مجلس قيادة ثورة لا يعطي لأعضائه حقوقا أندية نظير قيامهم بقيادة الثورة . كان أعضاء مجلس قيادة الثورة خلال المرحلة الانتقالية (مرحلة الستين اللتين يتم خلالها انتخاب المؤسسات الديمقراطية) يتكون من مجموعتين . مجموعة تعين طبقا للوظائف التي يشغلونها ومجموعة أخرى يتم انتخابها بالإقتراع المباشر في الوحدات العسكرية . كانت المجموعة الأولى تشمل رئيس أركان حرب القوات البرية ، رئيس أركان حرب القوات لبحرية ، رئيس أركان حرب القوات الجوية ، قادة المناطق العسكرية . أما لمجموعة الثانية فكانت تتكون من 14 عضوا منتخبا . القوات البرية 6 ، القوات البحرية 4 ، القوات الجوية 4 .

وضع الدستور الجديد :

إن الدستور هو عنوان أي نظام سياسي . إنه يحدد الحقوق وواجبات بالنسبة للشعب . ويحدد السلطات بالنسبة للهيئة التنفيذية . ولقد وضع البرتغاليون دستورهم الجديد بأسلوب

ديمقراطي لم يسبقهم فيه أحد من قبل . ولعل بقء الشعب البرتغالي تحت نير الحكم الديكتاتوري لمدة 48 سنة ، هو الدفع الرئيسي وراء اختيارهم لهذا الأسلوب الديمقراطي الرائع في وضع دستورهم الجديد .

ان إقرار الدستور بالاستفتاء الشعبي كما فعل السادات في مصر عام 71 هو إجراء غير سليم لجملة أسباب السبب الأول هو أن المواطن العادي لا يستطيع أن يبين المطبات والقيود التي يحشو بها الحاكم مواد الدستور . لقد استطاع السادات في دستور عام 71 أن يعطي باليد اليمنى ثم يأخذ باليد اليسرى أكثر مما أعطاه باليمنى . كان دائما يأخذ أكثر مما يعطي . وعلى سبيل المثال فإن الدستور المصري لعام 71 ينص في المواد 47 ، 48 ، 54 على حرية التعبير وحرية الاجتماع وحرية الصحافة ولكنه يضيف دائما إلى هذه المواد تعبير «في حدود القانون» وتحت ستار هذا التعبير «في حدود القانون» استطاع السادات أن يفرغ هذه المواد من مضمونها . لقد أصدر في ظل هذا التعبير قانونا أسماه قانون الحريات . وموجب هذا القانون أصبح لرئيس الجمهورية الحق في وضع قيود على حرية الأشخاص في الاجتماع والانتقال ، والقبض على المشتبه فيهم واعتقالهم . ومراقبة الصحف وكافة وسائل التعبير والنداء ، والاستيلاء على أي منقول أو عقار الخ . ماذا تبقى بعد كل ذلك من مضمون للحريات التي نصت عليها المواد 47 ، 48 ، 54 ؟

أما السبب الثاني فهو أن الدستور يحتوي على مواد كثيرة وقد يكون 95٪ من مواد الدستور ممتازة تستدعي من الناخب أن يقول نعم ، في حين أن المواد الباقية والتي قد لا تتجاوز 5٪ من المواد تتطلب منه أن يقول لا فباذا يصوت ؟ نعم أم لا ؟ لو صوت بنعم فقد قبل القيود التي فرضت عليه . ولو صوت بلا فاما هو البديل ؟

ولكي يتغلب البرتغاليون على هذه المشكلة قرروا أن يقوم الشعب بنفسه بمناقشة الدستور وإقراره مادة مادة وفقرة فقرة . وقد تم ذلك خلال عامين كاملين . في خلال العام الأول سمحت القيادة السياسية بتشكيل الأحزاب بدون قيود . وعكف كل حزب على وضع برنامج ومناقشته مع الجماهير مستخدما جميع وسائل الإعلام في حرية تامة . وفي نهاية العام أجريت أول انتخابات نزيهة بعد 49 سنة من التزييف . وأدلى الشعب بأصواته على مبادئ الأحزاب يوم 25 أبريل 75 فكانت النتائج التالية :

عدد الأصوات %

46,6

32,6

12

الحزب الاشتراكي P.S.

الاشتراكيون الديمقراطيون P.S.D.

الشيوعيون P.C.P.

6,4	الوسط الديمقراطي الاجتماعي C.D.S.
2	الحركة الديمقراطية M.D.P.
0,4	الاتحاد الديمقراطي الشعبي U.D.P.

100,0

وبناء على هذه النتائج تشكل أول مجلس شعب من 249 عضوا يمثلون الأحزاب
بنسبة عدد الأصوات :

116	لاشتراكيون P.S.
81	الاشتراكيون الديمقراطيون P.S.D.
30	الشيوعيون P.C.P.
16	الوسط الديمقراطي الاجتماعي C.D.S.
9	الحركة الديمقراطية M.D.P.
1	الاتحاد الديمقراطي الشعبي U.D.P.
249	

واجتمع هذا المجلس وأخذ يناقش الدستور مادة مادة ، يضيف إليها ويحذف منها إلى أن تحظى بأغلبية لأصوات. لقد بلغ عدد مواد الدستور البرتغالي 312 مادة . وهو لذلك يعتبر من أطول الدساتير في العالم . ولكنه في نفس الوقت يعتبر أقلها عموم . لقد كان يمار بعض المواد الهامة التي يختلف عليها الأحزاب تستغرق عدة أيام ، وأحيانا عدة أسابيع ، تنتقل إلى صفحات الجرائد والريديو والتليفزيون حتى يقوم كل حزب بشرح وجهة نظره . وقد كانت مناقشة الدستور بهذه الصورة العلنية فرصة أخرى لكي يلم الماخبون بوجهات نظر الأحزاب في القضايا العامة . وقد استغرق المجلس عاما كاملا لكي يناقش ويوافق على الدستور . وبذلك فإن لدستور البرتغالي جاء متمشيا مع مطالب الجماهير بمختلف أيديولوجياتهم ولحديث حول هذا الموضوع بيبي وبين رئيس المجلس قال لي البرفسور هنريك دي بارو Henrique de Burro «ان الحزب الاشتراكي هو الحزب الوحيد الذي وافق على جميع مواد الدستور . أما الأحزاب الأخرى فإنها كانت توافق على بعض المواد وتعارض على مواد أخرى . ولكنها أصبحت ملتزمة بها بعد تصويت الأغلبية عليها .

بعد أن وافق المجلس على الدستور مادة مادة عرض الدستور بجميع موده مرة أخرى للموافقة عليه ككل . فوافقت عليه جميع الأحزاب إلا حزب الوسط الديمقراطي الاجتماعي

الذي امتنع عن التصويت . وكانت حجته في ذلك أنه يعترض على المادة التي نص على أن النظام البرلماني هو نظام اشتراكي . وأن امتناع 16 عضوا عن التصويت لم يكن ليؤثر على إقرار الدستور بأغلبية 233 ضد لا شيء ، ولكنه كان مظهرا من مظاهر ممارسة الديمقراطية . وبعد أن وافق المجلس على الدستور عرض الدستور للاستفتاء الشعبي العام . وإن عرض الدستور للاستفتاء بهذه الصورة فيه الكثير من الضمانات الديمقراطية لأن الفرد قبل أن يقول نعم أو لا فإنه يكون قد استمع إلى المناقشات التي دارت في المجلس حول كل مادة وحول التفسير والصياغة ، وبالتالي فإنه يكون في مأمن من الوقوع في المصيدة التي كان من الممكن أن يقع فيها ، فيما لو قام المحاكم بعرض دستور من وضعه للاستفتاء ، بدون تلك المناقشات الحرة ، وبدون مثل التعديلات التي أدخلت على مواده نتيجة هذه المناقشات .

قانون الانتخاب الجديد :

إن اعتبار الوطن وحدة انتخابية واحدة ، وإجراء الانتخاب بين الناس على أساس مبادئ الأحزاب وليس على أساس أسماء الأشخاص ، هو أحدث الطريقتين لتحقيق أكبر قدر من الديمقراطية . ومن بين الدول التي تأخذ بهذا الأسلوب الانتخابي إسرائيل والبرتغال . إن نظام الانتخاب بالدوائر كما هو الحال في إنجلترا لا يحقق عدالة التمثيل النسبي . فعن سبيل المثال فإن حزب الأحرار في بريطانيا حصل خلال الانتخابات التي أجريت في أكتوبر 1974 على 20% من مجموع الأصوات التي أدلت برأيها في هذه الانتخابات . ومع ذلك فإنه لم ينجح إلا في 13 دائرة انتخابية من ضمن 635 دائرة . ولذلك فإن تمثيله في مجلس العموم البريطاني كان بنسبة 2% فقط من مجموع مقاعد المجلس . ولو أن بريطانيا أخذت بمبدأ التمثيل النسبي طبقا لعدد الأصوات التي حصل عليها كل حزب على مستوى الدولة ، لحصل حزب الأحرار على 127 مقعدا في مجلس العموم ، وليس مجرد 13 فقط .

إن انتخاب الأشخاص بالدوائر يعيبه أيضا أنه يشجع العصبية ويشجع الوساطة . إن الانتخاب في ريف مصر يعتمد أولا وقبل كل شيء على العصبية . فإن الأفراد ينتخبون ابن العائلة وابن القرية . والعائلات والقرى المجاورة تنتخب ابن العائلة أو القرية التي تربطها بهم أواصر الصداقة أو المصاهرة الخ بصرف النظر عن المبادئ أو الأيديولوجيات التي يعتقها المرشح . كذلك فإن الناخبين الذين يؤيدوا أحد المرشحين أثناء حملته الانتخابية ، فإنه يترسخ في اعتقادهم بأن لهم حقوقا على هذا المرشح . وأنه يجب عليه أن يرد لهم هذا الجميل . ومن هنا فإنهم يلجأون إليه لكي يتوسط لهم لدى المسؤولين لحل مشاكلهم الخاصة ومشاكلهم المحلية . فمنهم من يطلب التوسط لإعفاء ابنه من الخدمة العسكرية ، أو نقله من وحدة إلى

أخرى . ومنهم من يطالب بتوظيف ابنه . ومنهم من يطلب إنشاء ترعة أو طريق يمر بقرينتهم الخ . وان الاستجابة إلى تنفيذ هذه المطالب هو اعتراف بالوساطة ، وخروج عن مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع أفراد الشعب وبين جميع قرى الجمهورية . ان المجتمع الفاضل الذي نرجوه لمصر هو ذلك المجتمع الذي يستطيع فيه كل فرد أن يحصل على حقوقه كاملة ، دون أي وساطة من أحد ودون أن يتفضل به أحد . وان تضامن وتكاتف ذوي المبادئ الواحدة وذوي المصالح الواحدة ، هو الضمان الوحيد لإظهار قوتهم عندما يطالبون بحقوقهم العادلة

ان انتخاب المبادئ هو خير وأبقى ، وهو في صالح المرد وفي صالح الجماعة أيضا . ان لقضايا العامة والقضايا القومية يجب أن تكون هي أساس الانتخاب . ما هو رأي الحزب في قانون الإصلاح الزراعي ؟ في قانون المساكن ؟ في الانفتاح الاقتصادي ؟ في ربط الأجور بالأسعار ؟ في حق الإضراب ؟ في موضوع الرقابة ؟ في معاهدة الصلح مع إسرائيل ؟ الخ . ان برنامج الحزب وإعلان رأيه في هذه المواضيع وغيرها ، يجب أن تكون هي المارة التي على ضوءها يستطيع الناخب أن يفاضل بين حزب وآخر . وبالتالي فإنه يستطيع أن يشي بصوته لصالح من يعتقد أنه أصلح من الآخرين . ان انتخاب المبادئ وليس الأفراد ، واعتبار الوطن وحدة انتخابية واحدة ، وتشكيل البرلمان على أساس التمثيل النسبي طبقا للأصوات الصحيحة هو أمل أرجو أن أراه يتحقق في مصر .

انتخابات أبريل 1976 :

بعد إقرار الدستور تم حل مجلس الشعب الذي وضع الدستور وأجريت انتخابات جديدة في 25 أبريل 76 فكانت النتيجة التالية :

عدد المقاعد	عدد الأصوات	
108	40,75	الحزب الاشتراكي
73	27,55	الأشراكيون الديمقراطيون
43	16,23	الوسط الديمقراطي الاجتماعي
40	15,1	الشيوعيون
1	00,37	الاتحاد الديمقراطي الشعبي

وتجدر الملاحظة أن نتائج هذه الانتخابات تختلف قليلا عن نتائج الانتخابات التي سبقت ذلك بعام . ويرجع ذلك إلى أن المناقشات العلنية حول مواد الدستور خلال عام كامل كانت قد حددت موقف كل حزب من المشاكل العامة . ونتيجة لذلك خسر الحزب الاشتراكي حوالي 6% ذهب جزء منها إلى الحزب الشيوعي حيث اعتبر هؤلاء الناعين أن الحزب

الاشتراكي أكثر يمينية مما كانوا يعتقدون ، بينما ذهب جزء من هذه الأصوات إلى حزب الوسط الديمقراطي الاجتماعي لأنهم اعتبروا أن الحزب الاشتراكي أكثر يسارية مما كانوا يعتقدون . كذلك خسر الاشتراكيون الديمقراطيون حوالي 5٪ من أصوات الناخبين ذهب معظمهم إلى حزب اليمين (الوسط الديمقراطي الاجتماعي C.D.S.) . وهذا يؤكد لما مرة أخرى بأن مبادئ الأحزاب ورأيها في القضايا العامة كانت هي العامل الحاسم في نتائج هذه الانتخابات .

انتخاب رئيس الجمهورية :

كان من الممكن أن يدعو رئيس الجمهورية رئيس الحزب الاشتراكي لتشكيل الحكومة فور ظهور نتائج الانتخابات ، ولكنه رُوي أن يؤجل تنفيذ ذلك إلى أن يتم انتخاب رئيس الجمهورية بطريقة شرعية . لقد كان الجنرال كوشتا جومش هو رئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس الجمهورية ولكنه لم يكن منتخباً بواسطة الشعب واستكمالاً لحلق المؤسسات الدستورية ، رُوي الانتظار إلى أن يتم انتخاب رئيس الجمهورية . ثم يقوم الرئيس المنتخب بتكليف رئيس حزب الأغلبية بتشكيل الوزارة .

ورشح نفسه لرئاسة الجمهورية كل من رئيس الوزارة الأميرال أزيفيدو Admiral Azevedo ، الجنرال رماليو أيانش ، general Ramalec Eanes رئيس أركان القوات البرية ، المبحر أوتلو Otello ، السنيور باتو Senhor Pato ، وم يرشح رئيس الجمهورية نفسه في الانتخابات . وقد تكاتف كل من الحزب الاشتراكي PS ، لأشتراكبيون الديمقراطيون P.S.D ، والوسط الديمقراطي الاجتماعي C.D.S. مؤيدي ترشيح الجنرال رماليو أيانش ، ووقف الحزب الشيوعي وراء مرشحه السنيور باتو . أما أوتلو فقد كان أحد زعماء ثورة 25 أبريل 74 وقد منح بعد الثورة لقب جنرال وكان من أهم نجوم مجلس قيادة الثورة ، إلا أنه أبدى آراء يسارية متطرفة انتهت باختلافه مع زملائه فترك مجلس قيادة الثورة وعود إلى وحدته برتبته القديمة وهي ميجور (رائد) . والغريب أنه دخل انتخابات رئاسة الجمهورية وهو برتبته العسكرية. والأغرب من ذلك أنه عاد إلى وحدته مرة أخرى بعد أن فشل في انتخابات الرئاسة . وقد كان يقف وراء أوتلو جميع العناصر اليسارية . أما الأميرال أزيفيدو فقد كانت آراءه السياسية غامضة ، ولكنها كانت إلى حد ما يمينية . ومع أن حزب الوسط الديمقراطي الاجتماعي C.D.S هو الذي يمثل اليمين في البرتغال ومبادئه تتطابق مع مبادئ حزب المحافظين البريطانيين ، إلا أنه كان حريصاً على أن يبنى عن نفسه صفة اليمين . ولذلك فإنه لم يعلن تأييده للأميرال أزيفيدو ، وأعلن تأييده للجنرال أيانش الذي يمكن اعتباره بين اليمين وبين اليسار .

أجريت انتخابات رئاسة الجمهورية يوم 27 يونيو 76 وكانت النتائج كما يلي :

عدد الأصوات %

61,54

16,52

14,36

7,58

الجنرال راماليو أيدنش

ميجور أوتلو

الأدميرال أزيڤيدو

النيوربانو

100,00

تشكيل أول حكومة دستورية :

بعد انتخاب رئيس الجمهورية أجريت احتفالات تسليم السلطة من الجنرال كوست جومش إلى الجنرال راماليو أيدنش وتم الاحتفال في مجلس الشعب حيث قام الرئيس الجديد بحلف اليمين أمام المجلس ، فكان بذلك أول رئيس للجمهورية ينتخب بواسطة الشعب انتخاباً حراً بعد خمسين سنة من الحكم الأوتوقراطي .

وفي أوائل يوليو استدعى رئيس الجمهورية الدكتور ماريو سوارش Mario Soares رئيس الحزب الاشتراكي ، بصفته صاحب الأغلبية في مجلس الشعب ، وكلفه بتأليف الوزارة . وبعد عدة مشاورات أعلن ماريو سوارش حكومته ، وقامت بحلف اليمين يوم 25 يوليو 76 فكان هذا التاريخ هو نهاية المرحلة الانتقالية التي بدأت بثورة القوات المسلحة في 25 أبريل 74 ، وبداية لعهد جديد من الحكم الدستوري الديمقراطي .

الثورة البرتغالية في الميزان :

لقد نجحت الثورة البرتغالية في خلال 27 شهر فقط من رُساء قواعد الديمقراطية ، وتشكيل المؤسسات الدستورية . وأن هذا الإنجاز يعتبر إنجازاً ضخماً لم تحققه أي ثورة قبل ذلك . وقد تعرضت هذه الثورة لكثير من الانتقادات . فمنهم من قال ان التحرك نحو الديمقراطية كان يسير بخطوات واسعة ، وأن البلاد كانت تعيش في حالة فوضى خلال فترة التحول إلى الديمقراطية . ومنهم من قال عكس ذلك تماماً ، وكان يطالب قيادة الثورة بأن تقوم بتسليم السلطة فوراً إلى زعماء الشعب ، وأن ينسحب الجيش إلى المعسكرات . وفي اعتقادي أن كلا الرأيين قد جانبه الصواب ، وأن ما حدث فعلاً كان هو أفضل الحلول الممكنة . ان شعباً لم يمارس الديمقراطية عبر 50 سنة ، لا يمكن أن يبلغ سن الرشد الديمقراطي

بين يوم وليلة . كما وأن إطالة الفترة الانتقالية إلى أكثر من سنتين يمكن أن يغري قادة الثورة على الاستئثار بالسلطة . ان للسلطة طريقا يعنى الناس مهما كان معددهم . وكلما عاش الإنسان وسط الفتنة والإغراء . كلما زادت احتمالات خصومه لها ، واستمتاعه بها . بذلك فإن الاعتماد عن الفتنة والإغراء ، هو العمل الأصوب .

وإذا كان بعض الناس قد غالوا بعض الشيء في ممارسة حقوقهم خلال تلك الفترة الانتقالية ، فإن هذه التصرفات يجب ألا نبالغ في تفسيرها . إذا كان بعض الملاحين قد احتلوا الأراضي التي كانوا يررعونها وعاملوا أصحاب الأرض بشيء من العظمة ، فيجب ألا ننظر إلى ذلك إلا في حدود أنها كانت مجرد حوادث فردية ، ومحدودة العدد وسرعان ما صدر قانون الإصلاح الزراعي الذي نظم هذه العملية وحقق العدالة بين صاحب الأرض وبين من يفلحونها .

ويرجع الفصل الأول في نجاح الثورة البرتغالية إلى قوتها ، وإلى إيمانهم بالديموقراطية الحقيقية . فلولا هذا الإيمان ، لجمحت بهم السلطة وبفوا فيها إلى أن تسقطهم ثورة شعبية أو انقلاب عسكري آخر ، كما يحدث عادة في بلاد أمريكا اللاتينية وغيرها من بلاد العالم الثالث . لقد كان مجلس قيادة الثورة يضم لفيفا من ذوي الأفكار اليمينية واليسارية ، ومع ذلك فلم يحاول أي منهم أن يفرض أفكاره على أحد . لقد اتفقوا فيما بينهم على أن تتاح للديموقراطية للشعب من أوسع أبوابها . وعلى الشعب أن يختار النظام الذي يريده . لقد كان مجلس قيادة الثورة هو الحارس الأمين الذي تحت حمايته يستطيع كل حزب أو صاحب رأي أن يمارس حريته ، دون أن يعتدي على حرية الآخرين .

وفي ظل هذه الأوضاع الجديدة تشكل في البرتغال ما يريد عن عشرين حزبا لم يعترض أحد على أي منها . فكان منهم الشيوعيون بل كان منهم من هم يسار الشيوعيين (الاتحاد الديمقراطي الشعبي U.D.P) . وكان منهم من هو في أقصى اليمين . وكان لكل حزب الحرية التامة في إصدار صحيفة تنطق باسمه . كما كان له الحق في عقد الندوات والاجتماعات الخ بدون قيود من السلطة . وفيما يتعلق بالراديو والتلفزيون خصصت الدولة لكل حزب وقتا متساويا مع باقي الأحزاب الأخرى ، يستطيع من خلاله أن يخاطب الشعب بما يريد . كان يخصص لكل حزب في كل مرة 15 دقيقة فإذا انتهى مندوب الحزب من حديثه قبل هذا الوقت كان بها ، فإذا لم يستكمل حديثه انقطع الإرسال عنه في نهاية المدة المحددة . وفي بعض المشاكل العامة كان التلفزيون يجري حوارا حول مائدة مستديرة ، يستضيف

فيها رؤساء الأحزاب أو مندوبيهم لاجراء المناقشة أمام الشعب وعلى الهراء مباشرة . كن

أتابع هذا الحوار بعجب ودهشة وسرور . كانت المناقشات تدور بصراحة تامة . وكان المذيع يحاول أن يغطي الموضوع تغطية جيدة ، وذلك بتوجيه الأسئلة المخرجة لجميع الحاضرين دون أي تحيز لأي طرف . كنت أسأل نفسي «هل أنا حقا في لشبونة أم أنني لازلت في لندن ؟» لو أنني لازلت في لندن لكان ما أراه شيئا عاديا . أما أن يكون ذلك في لشبونة ، وعمر الثورة أقل من ستين ، فإن هذا شيء يثير الدهشة حقا . كم تمنيت في تلك اللحظات أن أرى مثل هذا الحوار على شاشة التليفزيون في مصر الحبية ؟

مرة أخرى أقول رعى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . لقد كرهت أن أذهب إلى لشبونة من بعد لندن . ولكني كنت أرى أن الظروف المناسبة لتفجير الحلاف بيني وبين السادات لم تكن قد نضجت بعد ، فذهبت إلى لشبونة وأنا لا أعلم أنني سوف أتعلم الكثير الكثير من هذه التجربة البرتغالية . فشكرا لله وحمدا . إنه هو العليم الحكيم .

مصر والتجربة البرتغالية :

إن التجربة البرتغالية مليئة بالدروس التي يمكن أن يتعلم منها المصريون . إن الظروف السائدة في مصر الآن في ظل حكم السادات تكاد تتطابق مع ما كان سائدا إبان حكم سالازار وكابيتانو من بعده . وإن نجاح الثورة البرتغالية في إسقاط هذا النظام وإقامة نظام ديمقراطي حقيقي على أنقاضه ، بعد فترة انتقالية مدتها ستان ، هو أيضا من الأمور التي يمكن أن نتعلم منها .

السادات وسالازار :

لا أريد أن أذكر كل نقاط التشابه بين سالازار والسادات لأنني لو حاولت ذلك لأعدت كتيبة ما ذكرته عن سالازار ونظامه . وإني أقترح أن بعيد القارئ قراءة هذا الفصل ، وأن يستبدل كلمة سالازار بكلمة السادات ، وسيجد تطابقا مذهلا بين أسلوب الرجلين في معالجة الأمور . عندما كنت أدرس التجربة البرتغالية وأنا في البرتغال لم أتمالك من أن أسأل نفسي من هو الأستاذ ومن هو التلميذ . هل السادات هو تلميذ متزعم ومخلص للأستاذ سالازار ، أم العكس هو الصحيح ؟ لقد بدأ السادات تجربته من حيث انتهى سالازار ، أو بمعنى أدق بعد 40 سنة من بداية التجربة السالازارية . وبالتالي فإن السادات تاريخيا هو أحد تلاميذ سالازار . ولكننا إذا دققنا في الأمر فإننا نجد أن السادات قد أضاف وطور أساليب سالازار الديكتاتورية لكي تناسب العصر . لذلك فإنه يمكن القول بأن التلميذ قد سبق أستاذه في هذا المجال . وسوف أكتفي هنا بذكر النقط الرئيسية في أسلوب الرجلين وطبيعة كل منهما :

1 - تزوير الانتخابات :

لقد اكتشف كل من الرجلين أن تزوير الانتخابات هو الخطوة الأولى لإرساء قواعد أي نظام أوتوقراطي . فمن طريق هذا التزوير يمكن أن يحصل على النتائج التي يريدونها . وبالتالي فإنه يمكنه أن يدعي بأنه يتكلم باسم الشعب . وعن طريق التزوير يمكن أن يشكل عددا من المؤسسات التي يطلق عليها مؤسسات ديمقراطية ، وما هي في الحقيقة إلا مؤسسات شكلية كل مهمتها هي أن تنفذ أوامره وتبرر أفعاله . وعن طريق هذه المؤسسات الهيكلية يمكن أن يصدر الدستور ، أو يعدل مواده طبقا لما يناسبه ، وأن يصدر القوانين القمعية والمفيدة للحرية .

2 - تضليل الشعب :

عندما يصدر أي من الرجلين قانونا ، ويحتفظ لنفسه بسلطات واسعة ، فإنه يعطي للشعب تفسيرات هي أبعد ما تكون من الحقيقة ، ولكنها في نفس الوقت قد تجد صدى في نفوس الناس . مثال ذلك القول بأن الهدف من هذا القانون هو حماية الوحدة الوطنية ، أو حماية السلام الاجتماعي بين فئات الشعب ، أو حماية الحريات العامة من الاقضية المشاعة التي تريد أن تفرض رأيها على الآخرين بوسائل غير ديمقراطية ، أو مقاومة الأتحاد والملحدين الخ الخ وهكذا تصدر القوانين تحت شعارات رنانة ولكنها سرعان ما تتحول إلى سيف حاد يضرب به كل من يعارض سياسته .

ولكي يتفوق السادات على أمثاله في تضليل الجماهير ، فقد أعلن الإقلاع عن نظام الحرب الواحد والآخذ بنظم تعددية الأحزاب وذلك لكي يصني على نظامه نوعا من أشكال لديمقراطية الراقعة . ولكن ما قيمة لأخذ بنظام التعددية إذا كان السادات يستطيع في ظل قانون الأحزاب أن يلغي أي حزب قائم لو أن حزبا من أحزاب المعارضة دعى العمال إلى الإضراب عن العمل ، أو المطالبة بربط الأجور بالأسعار ، أو اتهم أصحاب الاحتكارات بأنهم يستغلون الطبقات الكادحة ويثرون على حسابهم ، لاعتبر السادات ذلك في ظل القوانين القائمة التي أصدرها ، كأنه تهديد للسلام الاجتماعي ، ولائخذ ذلك ذريعة لحل الحزب . ما الذي تستطيع الأحزاب أن تفعله إذا كانت لا تستطيع في ظل قوانين الرقابة أن تنتقد الحكومة بشكل حاد ؟ إن أي نقد لا يرضى عنه السادات يمكن أن يفسره على أنه تهديد للوحدة الوطنية . أو إثارة لفتنة الطائفية . أو دعوة إلى تخريب الاقتصاد الوطني . إلى غير ذلك من العبارات المطاطة ، التي تبيح له أن يكتم أفواه معارضييه .

3 - شخصية الرجلين :

وبالرغم من تطابق أسلوب الرجلين لتحقيق أهدافهما ، التي كانت ترمي في المقام

الأمر إلى البقاء في السلطة مدى الحياة ، مع الاحتفاظ بسلطات كأسلحة ، فإن سلوكيات كل منهما كانت تختلف ، اختلافًا متباينًا . إنهما يتفقان في أن كل منهما نشأ في أسرة فقيرة . وأن كل منهما بعد أن وصل إلى السلطة سحر نظامه بخدمة اسرجوزية . ولكن بالرغم من ذلك فإن سالازار لم يدمج في لوسط الأرستقراطي وعاش حياته كراهن متقشف . أما السادات فقد استهوته حياة القصور وحياة الرفاهية بشكل لم يسبق له مثيل . فكان به سرب من الطائرات الخاصة . 28 قصرًا تملأه بمئات الخدم لكي يتقل بينها في أي وقت يشاء . ومثل هذا ، وذلك فقد انغمس هو وعائلته ويطانته في أعمال تجارية وأعمال لتسعة جنوا من ورثها ملايين الجنيهات .

إن السادات الذي يقول في مذكراته أنه نشأ نشأة بائسة وأنه كان يسير في قريته حافي القدمين وهو طفل ، قد نسي معاناة الطبقة التي خرج منها وفشنت حياة القصور وانحطت ، أما سالازار فإنه بكل عيوبه فإن بريق المال ولقصور لم تعته .

الفصل العاشر

الدين والسياسة

السيدة مريم العذراء تظهر في فاطمة :

في 13 مايو 1917 ادعى ثلاثة أطفال من الرعاة هم لوسيا Lucia ، فرانسيسكو Francisco ، جاسيتا Jacinta من سكان قرية الحسنيين Ajustrel بأن السيدة مريم العذراء قد ظهرت لهم وتحدثت اليهم⁽¹³⁾ لقد قالت لهم بأنه يجب عليهم أن يصلوا كل يوم من أجل أن تنتهي الحرب وبسود السلام ، ثم صبت اليهم أن يحصروا إلى عين المكان ، وفي نفس الوقت ، خلال الخمسة أشهر التالية . لم تحظرهم مشخصيتها ولكنها وعدتهم بأنها ستحظرهم بذلك فيما بعد . لقد استغرق ظهورها وحدثها 10 دقائق ولقد رآها الثلاثة ، ولكن لوسيا وجاسيتا هما اللتان سمعتا حديثها أما فرانسيسكو فلم يسمعهما تتكلم وبكها رآها كان ظهوره في مكان يدعى كوفادا ايريا Cova da Iria قرية فاطمة Fatima .

وفي 13 يونيو ظهرت العذراء مرة أخرى ، وتحدثت أيضا مع لوسيا وكان ناقل لأخبار عن الظهور الأول ، قد دفع 50 فردا للجمع في عين المكان . وكما حدث في مرة الأولى رآها الأطفال الثلاثة . أم حوارها مع لوسيا فلم يسمعه سوى لوسيا وجاسيتا في حين أن فرانسيسكو لم يسمع حوارها . أما الأفراد الآخرين الذين تجمعوا في هذا المكان فإنهم لم يروا ولم يسمعوا أي شيء . وفي هذه المرة ، كانت السيدة مريم تحمل في يدها قلبا به شوك . وقالت للأطفال بأن قلبها مثقل بالآلام من الخطايا التي يرتكبها البشر . وقد أخبرتهم بأن جاسيتا وفرانسيسكو سيصعدان إلى السماء قريبا . أما لوسيا فإنها ستبقى . لأن المسيح يريد منها أن تعمل في خدمة العذراء ، حتى يزداد الناس معرفة بها وحبها .

وقبل أن تطير العذراء ونحني نحو الشرق كما حدث أول مرة قالت للوسيا بأنه يجب عليها أن تتعلم القراءة⁽¹⁴⁾.

وفي 13 يوليو 17 ظهرت العذراء للمرة الثالثة . . وكان قد تجمع في المكان 5000 شخص ، يرددون الصلاة والدعاء مع الأطفال الثلاثة في انتظار قدومها . وبعد أن تكلمت العذراء عن الصلاة والصالح طلبت إليها لوسيا Lucia أن تأتي بآية يمكن أن تقنع الجميع بأن الأطفال الثلاثة رأوها وأنها تكلمت معهم . فقالت لهم أن يستمروا في الحضور كل شهر وأنها في أكتوبر ستخبرهم بشخصيتها ، وبماذا تريد . وأنها ستأتي لهم بمعجزة يفتع بها الجميع . ولكن الأطفال الثلاثة شاهدوا ما أفزعهم . لقد شاهدوا أمامهم النار . ورأوا شياطين وبعضا من الناس يقفون فيها وهم يصرخون ويتعذبون .

لقد استغرق منظر النار بضع ثوان ، وقامت لهم العذراء بعد ذلك لقد شاهدتم جهنم . وشاهدتم كيف تتعذب نفوس الخطائين . ومن أجل أن تنقذ هذه النفوس ، فإن الله يريد من الناس أن يتغنوا في حب قلبي الطاهر . فإذا فعلتم ما أقوله ، فإن كثيرا من النفوس سوف يمكن إنقاذها ، وسوف يعود السلام ، وسوف تنتهي الحرب . ولكن إذا لم يقلع الناس عن إغضب الله ، فإن حربا أخرى ستقوم . وسوف تكون أشد قسوة من هذه الحرب . إن الله يعاقب العالم على خطاياهم بالحروب والجوع . ومن أجل ذلك ، فإنني أطلب الدعاء من أجل روسيا ، ومتابعة حصار عشاء الرب في أيام السبت الأول من كل شهر لمدة خمسة شهور متتالية⁽¹⁵⁾ وإذا أتبعتم ما أطلبه منكم ، فإن روسيا ستحول will be Converted

(انقصود هنا هو أن تعود مرة أخرى إلى المسيحية) وسيعود السلام . وإذا لم تفعلوا فإن أخطاءنا ستتشر في جميع أنحاء العالم ، ستثير الحروب ، ستضطهد الكنيسة ، ستصبح الفضيلة ، ستتمحو كثيرا من الشعوب ، وسيقاسي الأب المقدس من أجل ذلك ومع ذلك في النهاية فإن قلبي الطاهر سوف يفرح . سيقوم الأب بإصلاح روسيا وتطهيرها ، وإعدادها إلى . وسيعود السلام إلى العالم . لا تقولوا هذا الكلام لأحد . نستطيع أن نقوله إلى فرنسيسكو⁽¹⁶⁾

في 13 أغسطس تجمع في منطقة فاطمة جمع غفير من الناس يتراوح عددهم بين 15000 - 18000 شخص ، لمشاهدة الظهور المنتظر . ولكن حاكم الناحية اختطف الأطفال الثلاثة ، وقرر حبسهم لكي يعرف منهم السر الذي يدعون أن السيدة مريم قد قالت لهم . ولكي يرغب جمهور المشاهدين الذين كانوا ينتظرون وصول الأطفال الثلاثة على الانصراف . وعندما علم الجمهور بخبر القبض على الأطفال الثلاثة ، ثار وعصب وصمم البعض على ضرورة التوجه إلى حاكم الناحية لإرغامه على الإفراج عنهم . ولكن فجأة تونف كل شيء . فقد ظهر بريق فوق الشجرة التي كانت قد ظهرت عليها العذراء في المرات السابقة

ثم أتبعه رعد . وأخذت السماء تمطر ما هو أشبه برقائق الثلج وما هو بثلج ، أو ما هو أشبه بالزهور وما هو بالزهور . هرع الناس ليجمعوها ، ولكنها كانت تتلاشى قبل وصولها إلى الأرض ، أو بمجرد لمسها دون أن يتحلف عنها أي أثر . وأخذ لون السحب في السماء يتغير لونه ، ما بين أحمر في لون الدم إلى أصفر إلى غير ذلك . ثم ظهرت سحابة بيضاء فوق الشجرة . وأخذت تسير بسرعة نحو الشرق . وهكذا تصور المشاهدون بأن السيدة مريم قد رأت المنطفة بالرغم من عدم وجود الأطفال هناك .

لما الأطفال فقد أنقاهم حاكم الناحية في الحجر يومين . ولكنه اضطر للإفراج عنهم دون أن يتمكن من معرفة السر . ودون أن يحصل منهم على وعد بعدم الذهاب إلى مكان ظهور السيدة العذراء ، وبعد أن سب احتجاجهم وقبوع مظاهرات واحتجاجات كانت تهدد حالة الأمن في المنطقة . وفي يوم 19 أغسطس ظهرت العذراء للأطفال الثلاثة في مكان آخر قريب من حيث يسكنون . ودعته في هذا اللقاء إلى أن يحضروا في مكان الظهور لأول في يوم 13 من شهر القادم . وأكدت لهم وعدها السابق بأنه في ظهورها الأخير في 13 أكتوبر ، فإنها سوف تأت لهم بمعجزة تفنع بها الناس .

وفي يوم 13 مستمير بلغ جمهور المشاهدين 30000 وكان من بينهم بعض رجال الكنيسة . وقد شاهد الناس كرة بضاربة من الضوء الصانع تهبط من اتجاه لشرق فوق الشجرة . بحيث كان الجزء الممتد منها متجه نحو الأرض . ثم أخذ الضوء يتلاشى . وزداد الجو برودة . وهطلت السماء تلك الزهور التي تشبه ما حدث في الشهر الماضي والتي كانت تتلاشى قبل وصولها إلى الأرض . أما الأطفال الثلاثة فقد شاهدوا السيدة مريم . وحدثت معها لوميا كالمعتاد . وفي هذا اللقاء قالت لهم في خلال الشهر القادم سيظهر أبصا كل من سيدنا Our Lord ، سيدة دولورس Lady of Doours ، سيدة الكرمل Lady of Carmel . وسيظهر السيد يوسف ومعه الطفل لكي يبارك العالم أن الله سعيد بتصحياتكم ولكنه لا يريدكم أن تنموا بأحبال . ألسرها فقط أثناء النهار ثم أكدت أقوالها السابقة الخاصة بالمعجزة المنتظرة . وعند معادرتها للمكان ، شاهد الناس نفس الكرة الصورية ترتفع من مكان وتوجه نحو السماء . واقتنع الجميع بأن هذه الهالة الصورية إنما هي العذراء . وفي هذا اليوم كان صيت الأطفال الثلاثة قد بلغ الآفاق . كان النساء والرجال يركعون أمامهم ، ويتقدمون إليهم باقتضائهم لكي يرفعونها إلى السيدة العذراء بما كان يشير الفسق والخجل بين الأطفال .

ولقد أثار الثغاف الناس حول هؤلاء الأطفال انزعاج السلطات . وأذاعوا بين الناس بأن قناس سوف تنعجر يوم 13 أكتوبر في مكان الظهور ، ولكن ذلك لم يجمع أن يصل عدد

الحجاج في هذا اليوم إلى 70000 شخص . وفي الميعاد المحدد وصلت العذراء بنفس أسلوبها السابق في هذا اللقاء قالت «أريد أن تبني لي كنيسة هنا لأنني أنا العذراء . استمرارا في أداء ندوات Rosary كل يوم . ستنتهي الحرب قريبا وسيعود الجنود إلى منازلهم . وبعد أن اختتمت العذراء بنفس الأسلوب السابق ، رأى الأطفال بجوار الشمس السيد يوسف ومعه المسيح طفلا ، ويجواره السيدة مريم في لباس أبيض وعاءة زرقاء . وقام السيد يوسف والمسيح بمباركة العالم ، وذلك بأن رسموا الصليب بأيديهم ثم انحنوا . وبعد اختفائهم ظهر المشهد لثالث وفيه سيدة دولورس Lady of Dolours . أما المشهد الرابع فقد ظهرت فيه سيدة جبل الكرمل Lady of Mount Carmel .

وعندما ختمت السيدة مريم للمرة الأخيرة ، هتعت لوسيا أن انظروا إلى الشمس . فطرح آلاف الحجاج لحاضرين . ف شاهدوا ما عرف بعد ذلك بأنه المعجزة التي كانوا ينتظروها . لقد كانت السماء ملينة بالغيوم ولكن السحاب انقشع من حول قرص الشمس بطريقة غير طبيعية . وكأن أحدا كان يزيحه بيديه ليبقى القرص ظاهرا مع بقاء السحاب تحيط به من كل جانب . ثم بدأت الشمس وكأنها تقذف بحممها نحو الأرض وتراجع وفجأة طهر وكأن الشمس قد بدأت تعقد نوازها وتتجه بسرعة نحو الأرض . وركع الناس يصلون ويبتهون وظنوا أن نهاية العالم قد حنت . وبالرغم من أن هذا المنظر قد شاهده عدة آلاف ، وبالرغم من أن البعض قال أن الشمس سقطت حتى أنها كادت تلمس قمة بعض الأشجار ، إلا أن لأرصاء الجوية في جميع أنحاء العالم لم تسجل أي ظاهرة طبيعية تؤكد ما رآه الناس .

السلطة تقاوم أطروحة فاطمة :

من الصعب الفصل بين الدين والسياسة . فالدين عقيدة والعقيدة تغزو عقل الإنسان وتؤثر على تصرفاته . لذلك يلجأ بعض الحكام إلى استغلال هذه العقائد لخدمة مصالحهم بينما يلجأ آخرون إلى معارضتها إذا وجدوا أن هذه العقائد تهدد سلطاتهم . وإذا نحن رجعنا إلى موضوع ظهور لعذراء في فاطمة Fatima . نجد أن السلطات قد عارضت ما يدعيه الأطفال . بل واتخذت جميع الإجراءات لتكذيب هذه الادعاءات والتشهير بكذبها . وقامت الكنيسة بتأييد الحكومة في هذا الاتجاه . وقد تم استجواب الأطفال الثلاثة يوم 11 أغسطس 1917 استجابا فظا لم يخجل من التهديد والوعيد . فلما فشل الحاكم في استخلاص اعتراف منهم ، فإنه لم يتورع من اختطافهم يوم 13 أغسطس واحتجزهم لمدة يومين ، لكي يمنعهم من حضور اللقاء المنتظر ، ولكي يدفع المؤمنين بصحة دعواهم إلى التفرق .

وبعد أن فشلت رسائل الإعلام في إقناع الناس بعدم صحة أقوال هؤلاء الأطفال ، لجأت السلطة بالتعاون مع بعض الفئات الدينية إلى ترويع إشاعات ، مفادها بأن بعض الناس سيفومون بتفجير القنابل في مكان الاحتفال يوم 13 أكتوبر 17 ، وذلك حتى لا يذهب الناس إلى هناك . ولكن الناس لم تأبه لهذه التهديدات . وأخذت أعداد المؤمنين بما يدعيه الأطفال يزداد عاما بعد عام . وفي يوم 13 مايو 1920 قامت السلطة بإرسال كتية من الحرس الجمهوري وأخرى من الخيالة ، لمساعدة قوات البوليس في منع جميع العربات التي تنجه إلى فاطمة . ولكن الجنود لم يكونوا متحمسين لتنفيذ هذه التبعيات لأن الكثير منهم كان قد بدأ يؤمن بصحة هذه العقائد .

وبعد وفاة كل من فرانسيسكو وجاسيتا ، لجأت الدولة ورجال الكنيسة إلى حيلة أخرى . فقد أقنعوا والده لوسيا بأن يرسلوا الطفلة إلى أحد الملاحين بحيث لا يعرف أحد مكانها ، اعتقادا منهم بأن وجودها قد يكون أحد أسباب جذب الحجاج إلى فاطمة ، وأملا في أن يصرف الناس عن الحج إلى هذا المكان بعد اختفائها . وفعلا انتقلت الفتاة لوسيا في الساعة الثانية من صباح يوم 17 مايو 21 (كان عمرها وقتئذ 14 سنة) تحت اسم مستعار ، ودخلت ملجأ في فيلار Vilar بالقرب من بورتو Porto .

أثار اختفاء لوسيا سخط الناس وبدأوا يتساءلون ، مما اضطر الحكومة إلى أن تقوم بعملية تحقيق شكية لامتنعاص سخط الجماهير ، دون أن يسر التحقيق طعنا عن أي نتيجة . ولكن اختفاء لوسيا لم يقلل من حماس الجماهير لكي يحضروا إلى فاطمة في الأيام التي ظهرت فيها العذراء . وفي 6 فبراير 1922 قام مجهولون بسف كتيبة العذراء التي كان الناس قد أقاموها في مكان ظهورها . وسواء كانت الحكومة هي التي وراء هذه العملية أم لا ، فإن أصابع الاتهام كانت تشير إليها ، من حيث عدم قيامها بمجهودات جدية لكي تقبض على الجناة ، وتقدمهم إلى المحاكمة .

وبالرغم من قرارات الحكومة بمنع الناس من الحج إلى هذا المكان ، واتخاذها الإجراءات البوليسية لتنفيذ هذا القرار ، فقد أخذت أعداد الحجاج تزداد عاما بعد عام ، فوصلت 100000 عام 33 ، 150000 عام 34 الخ .

سالازار يركب الموجة :

لا يمكن لأحد أن يتهم سالازار بأنه هو الذي اخترع أطروحة فاطمة ، لأنها بدأت في عام 1917 ، أي قبل أن يصل سالازار إلى السلطة بحوالي 11 عام . ولكن جميع الأحداث والوثائق تظهر بوضوح أن سالازار هو الذي نجح في احتواء هذه الأطروحة . بل وتنميتها

وتشجيعها ، لكي يستغلها في أغراضه السياسية بصفة عامة ، وفي مكافحته الشيوعية بصفة خاصة . وقد أخذت علاقة سالازار بهذه الأطروحة تنطور من مرحلة التهادن ، إلى مرحلة التأييد الصامت ، إلى مرحلة إعطائها طابعا رسميا ، وتغذية وإلهاب الشعور الديني لدى الشعب البرتغالي .

في 13 أكتوبر 30 أعلن مطران كيسة ليرا Bishop of Leira أول تقرير رسمي واستعرض كل ما قاله الأطفال الثلاثة . ثم أعلن أنه لم يرد في أقوالهم أي شيء تتعارض مع الدين أو المثل والمبادئ⁽¹⁷⁾ . ثم أعلن أن قرار الكنيسة هو الاعتراف بأن ما قاله الأطفال الثلاثة حول ظهور العذراء هو حقيقة . ثم أعلن بعد ذلك لقيا جديدا للعذراء وهو «سيدة فاطمة Lady of Fatima» .

في 13 مايو 35 كان احتفال البرتغال بظهور العذراء يكاد يكون رسميا . فقد حضره 300 000 من الحجاج من شتى أنحاء البلاد ، يتقدمهم باطرياق البرتغال الكاردينال سيرجايرا Cardinal Cereira ، ومدنوا لباب . وكانت أجهزة الحكومة تقدم للحجاج جميع المساعدات الممكنة⁽¹⁸⁾ .

وفي 12 سبتمبر 35 نقلت رفات جاسينتا Jacinta من حيث كانت قد دفنت عام 20 في فيلا نوفا دي أورم Vila Nova de Ourem ، إلى مدفن جديد في فاطمة . وفي أبريل 51 نقلت رفاتا مرة أخرى إلى كنيسة كوفادا إيريا Basilica Cova da Iria . وفي نوفمبر من نفس العام نقلت رفات أحياها فرنيسكو إلى كنيسة الروزاري Rosary Church

وفي 19 سبتمبر 39 أعلن لأول مرة طبيعة وأسلوب الدعوات التي يجب على الناس أن يرددوها في أيام السبت الأول من خمسة شهور متتالية . (أنظر ما ورد في ظهور العذراء الثالث يوم 13 يوليو 1917)⁽¹⁹⁾ .

في عام 1942 ، أذاعت الكنيسة بأن لوسيا تلقت الإذن الإلهي بأن تديع جزئين من السر الذي أطلعنها عليه العذراء خلال ظهورها الثالث . وأن ذلك يشتمل المنظر الخاص بجهنم . والجزء الخاص بروسيا (أنظر الظهور الثالث)⁽¹⁹⁾ .

في 20 أبريل 46 (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بحوالي عام) أذاعت الكنيسة أن لوسيا قد أعلنت قبل انتهاء الحرب ما يلي «أن الله سيبقي الحرب قريبا ولكن عودة روسيا إلى الدين لن يحدث . إذا اتبع المطارنة الأسبان ما أوصى به الرب فإن الله سيصلح الناس ويصلح رجال الكنيسة . وإلا فسوف يعاقبهم الله جميعا» .

في ديسمبر 1949 (بعد بداية الحرب العالمية الثانية بأكثر من 10 سنوات ، أعلن الكاردينال سيرجيرا Cardinal Cereja بأن لوسيا علمت بالحرب العالمية قبل وقوعها . وأن المسيح قد أحرقها في مايو 38 بأن النهاية تقترب . وأن الحرب بكل أهوالها سوف تقع في القريب . وأنه سيتحد احتياطات خاصة لوقاية البرتغال من هذه الحرب ، وذلك لأنهم يقيمون الصلاة ، ويرتلون الدعوات في أيام السبت لأوائل في خمس أشهر متتالية . وفي أغسطس 1958 أقيم في لوكا دو كابسو Loca do Cabeco ، تمثالا للملاك يسمى ملاك البرتغال وذلك لتمجيد المكان الذي وقف فيه الملاك الذي رافق العذراء في ظهورها الرابع . وذلك على الرغم من أنه لم يثبت قط أن أي من فرانسيسكو أو جاسيتا قد أوري بأن العذراء كان يرافقها أحد الملائكة .

استغلال الدين لخدمة السياسة :

إن ما نسب إلى لوسيا على أنها سمعته من السيدة العذراء أو من المسيح عليه السلام ينقسم إلى قسمين . قسم خاص بالصلاة والدعاء للرب والاستغفار الخ . وقسم خاص بالسياسة . وإنا لن نتحدث عن القسم الأول حيث أن جميع الأديان من يهودية ومسيحية وإسلام نص على عبادة الرب . وطلب الصلح والمعزة الخ . أما القسم الثاني الخاص بالشؤون السياسية فهو يستحق الدراسة والتوقف بعض الشيء . لأن كل ما نسب إلى لوسيا على أنها سمعته من السيدة العذراء أو السيد المسيح عليه السلام ، يتمشى تماما مع الحط السياسي الذي كان يتجهه سالازار .

عن الحرب تقول لوسيا أن المسيح أخبرها في مايو 1938 بأن حربا ضروسا سوف تقوم (الحرب العالمية الثانية) . وأنه قال لها أنه سيتحد احتياطات خاصة لوقاية البرتغال من الحرب . وأن ذلك لأنهم يقيمون الصلاة ويرتلون الدعوات في أيام السبت الأوائل في خمس أشهر متتالية . ويلاحظ أن ذلك يتمشى مع سياسة سالازار الذي أعلن حيد البرتغال خلال تلك الحرب . وأن المراء لينساء ماد - ودرعة من براند الدعوات والصلاة خلال السبعين عاما كان عليه في الثلاثينات والأربعينات - لم يتكلم المسيح أو العذراء كلمة واحدة عن حروب البرتغال الاستعمارية . والتي خسرت فيها حوالي 10000 قتيل ، علاوة على إصانة ثلاثة أصعاف هذا العدد بعاهات مستديمة نتيجة تلك الحروب . ماهيك عن الخسائر التي تحملها سكان المستعمرات والتي تصل إلى حوالي 100000 قتيل . إن الدين المسيحي شأنه في ذلك شأن كل الأديان السماوية ، لا يفرق بين رجل أبيض وأسود ، أو بين حرب تجري في أوروبا وأخرى تجري في أفريقيا .

وعن الكفاح ضد الشيوعية تقول لوسيا - وإن كانت لم تذكر كلمة الشيوعية - أن أخطاء روسيا منتشرة في جميع أنحاء العالم وستثير الحروب ، وستطهد الكنيسة ، وستذبح الفضيلة ، وستمحو كثيرا من الشعوب . ومن المعروف أن سالازار كان من أعداء الشيوعية والاتحاد السوفيتي . ومما يدعو للغربة حقا ، أن طفلة عمرها عشر سنوات لا تقرأ ولا تكتب ، تنقش هذه المعلومات في 13 يوليو 1917 ، ولا تذاع إلا في عام 1942 .

من المعروف أن نظام سالازار كان نظاما 'وتوقراطيا يسيطر على جميع وسائل الإعلام . وأنه ما من كلمة مكتوبة أو مسموعة أو صورة ، يمكن أن يقرأها أو يسمعها أو يراها الشعب البرتغالي ، إلا إذا كانت تمر من خلال الرقيب . وأن ذلك يدفعنا إلى التشكك في صحة ما كان ينسب للإعلام لسالازاري إلى لوسيا . فقد كانت لوسيا منذ عام 1922 في شبه عرلة تامة عن العالم . وكان إعلام سالازار هو الذي يعلن من وقت إلى آخر بيانات ينسبها إلى لوسيا . ولا يسم إلا لله والقيل من الناس من قبلوا لوسيا ، يدق قائلة هي فعلا .

ولكي يفني سالازار القدسية على كل ما يعلن مسوبا إلى لوسيا ، فإنه لم يعلن قط نبوءة منسوبة إليها قبل أن تتحقق فعلا ، وذلك إذا افترضنا وقوع النبوءة فعلا . فبعد الحرب العالمية الثانية أذاع الإعلام السالازاري بأن المسيح أخبر لوسيا بأن الحرب ستدلع وذلك قبل أن تبدأ الحرب فعلا . وأن المسيح أخبرها أيضا بأن الحرب ستنتهي قبل أن تنتهي بصفة رسمية . وأن المرء يسأل لماذا حرص الإعلام لسالازاري على إخفاء هذه النبوءات ولم يعلنها إلا بعد تمام وقوعها ؟

إن استغلال الحكام للدين لتحقيق أهداف سياسية هو أمر معروف منذ آلاف السنين إن رجال الدين هم بشر كسائر البشر يصيرون أحياء ويخطئون أحيانا . منهم من لا يشتري (بصم الياء) بذهب الأرض كله . ومنهم من قد تفتته الحياة الدنيا ، أو يخشى أن يطش به الحاكم ، فيبرر للحاكم الظالم أفعاله . والحاكم الظالم المتجبر من أمثال سالازار ، يستطيع دائما أن يجد بين رجال الدين من يتعاون معه وينفذ له رغباته . لذلك فإن أقوال رجال الدين التي تؤيد وجهة نظر الحاكم الأوتوقراطي يجب أن تؤخذ بحذر شديد

أطروحة فاطمة الآن :

بعد نجاح الثورة في البرتغال تغيرت كل المفاهيم ، ولكن الأوضاع الموروثة لم يكن من السهل تغييرها بين يوم وليلة . لقد تحققت الديمقراطية ، وظهرت أربعة أحزاب رئيسية كما سبق أن قلنا . كان إثنان منها يمثلان اليمين وإثنان منها يمثلان اليسار . كانت أحزاب اليمين هي حزب الوسط الديمقراطي الاجتماعي CDS ، وحزب الاشتراكيون الديمقراطيون

١٨١١ P (23,16% ، 55,27% على التوالي) . وكنت أحزب اليسار هي الحزب
لاشتركي P.S. ، لحزب الشيوعي (75,40% ، 1,15% على التوالي) . أي أن
يتمثل حوالي 44% بين اليسار يمثل 5٨.

كان لإعلام السالاراري قد استطاع أن يرمح في عقول الناس ، أن كل من يبادي
بالاشتراكية هو شيوعي . لأن الدين ضد الاشتراكية ، والشيوعية هي كفر وإلحاد . وقد
لعبت أطروحة فاطمة دورا هاما في ترسيخ تلك لمعتقدات ، وكان يقدر عدد الحجاج يوم
13 مايو من كل عام بحوالي 500 000 حجاج ومثلها في 3 أكتوبر وأقل من ذلك في
الأيام الأخرى . أي أن فاطمة يجج إليها ما بين 1,25 - 1,5 مليون شخص سنويا . وهذا
عدد ضخم بالنسبة لبلد تعداد سكانه حوالي 8 مليون فقط .

ورعبه في الاستعادة من هذا التراث ، فإن الأحزاب ايمية في البرتغال أخذت تعمل
على إذكاء الشعور الديني بين المواطنين بما في ذلك ترسيخ الإيمان بأطروحة فاطمة . أما الحزب
الشيوعي فتأخذ يردد أن أصحاب الأرض والمصانع ورؤوس الأموال يريدون أن يستولوا
الصفات الكاذبة باسم الدين . وأن العمال يجب أن يتحدوا تحت راية الحزب الشيوعي
لكي يتزعرو حقوقهم ممن يريدون استغلالهم . أما الحزب الاشتراكي فقد وجد نفسه في
مأزق فإنه يريد أن يحقق العدالة الاجتماعية بين الشعب ولكنه يحرص على ألا يتجه أحد
بالشيوعية ولتحقيق ذلك رفع لحزب شعارا تنخانيا هو «نعم للاشتراكية لا للشيوعية»
Socialism Sim. Communism Nao . ونتيجة لهذا الصراع السياسي الذي يتم
تحت مظلة الدين ، حصلت الأحزاب على نتائج السابق ذكرها . وحلاصة القول فإن
الدين يلعب دورا هاما في الصراع السياسي بصفة عامة وترداد أهمية هذا الدور حيث تكون
الجدور الدينية أكثر عمقا وتكون العقيدة أكثر رسوخا .

زيارة فاطمة .

لم أكتف بدراسة أطروحة فاطمة في لشبونة وحسب ، بل قررت أن أذهب إلى هناك
نفسى لمدة ثلاثة أيام في أحد أيام الحج الهامة . وفي يوم 12 مايو 77 وصلت إلى هناك
فرايت شيئا عجا . رأيت ميذا طوله 600 متر بعرض حوالي 400 متر حول المكان الذي
يفترض أن تكون العذراء قد ظهرت فيه . رأيت 500 000 شخص من الرجال والنساء
والأطفال يقدون إلى القرية الصغيرة التي تحولت إلى مهرجان شعبي . رأيت أناسا يرحفون
على ركبهم ، لكي يوفوا بسنورهم إلى العذراء . كانوا يتحركون والدماء تسيل منهم ، والآلام
تدور على وجوههم ، بينما يقوم آخرون وصدعواهم بحفيف عرقهم . ومسح الدماء التي تسيل

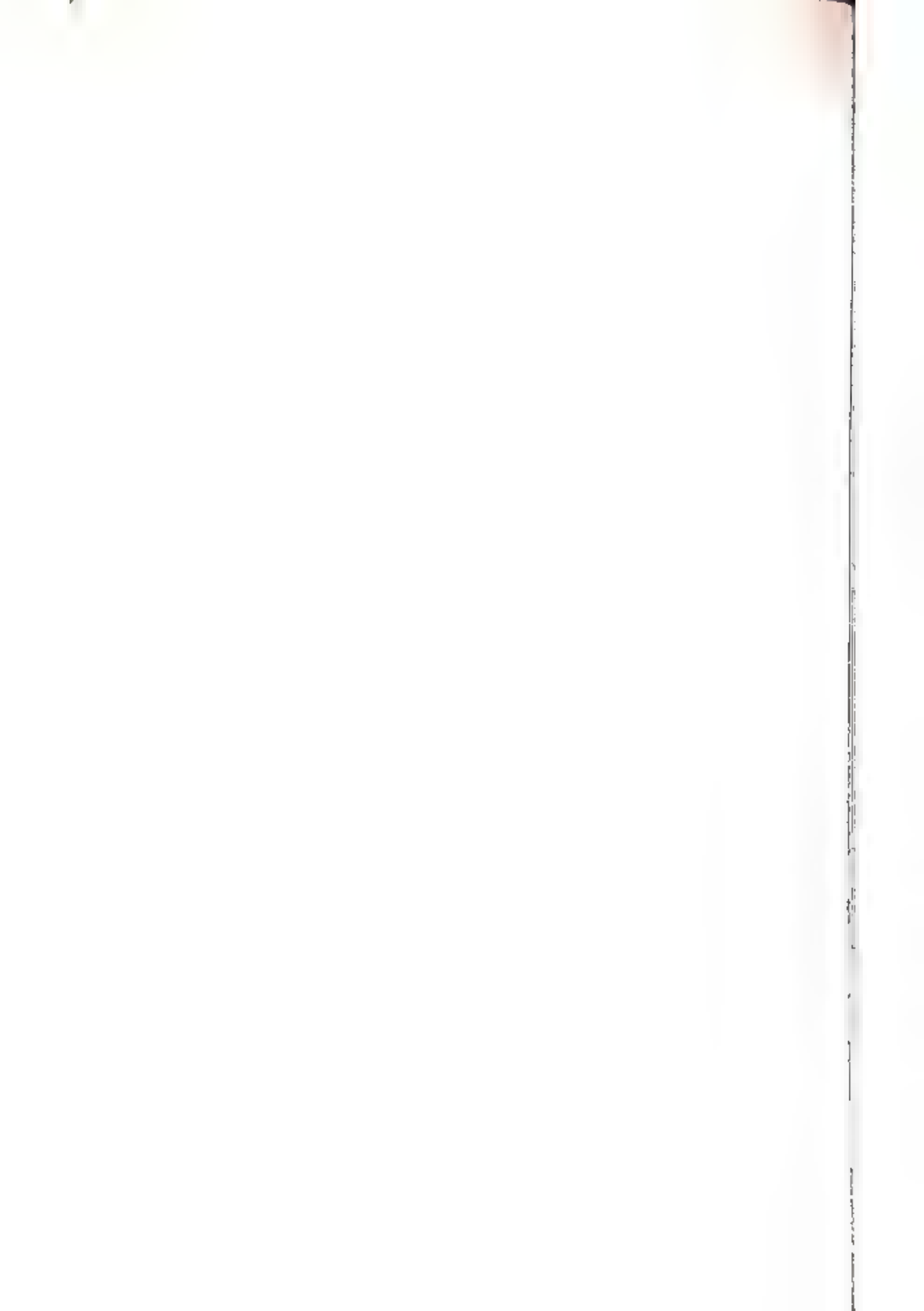
منهم . رأيت الرجال والنساء الذين في خدمة الصليب الأحمر ، يحاولون أن يشوا بعض الرجال أو النساء عن الاستمرار في رحلة العذب التي فرضوها على أنفسهم ، ولكنهم كانوا يرفضون ويشمرون حتى يغمى عليهم من شدة الألم والإرهاق . رأيت الرجال والنساء والأطفال يبيتون في اعراء ، وسعيد الحظ منهم هو من يستطيع أن ينام هو وعائلته في عربته . رأيتهم وهم يرددون الدعوات . ورأيتهم وهم يرمون تمثال العذراء في الميدان الكبير في احتفال مهيب .

لقد أصبحت أطروحة فاطمة جزءا لا يتجزأ من العقيدة الدينية والنظام السياسي في البرتغال . ن الثورة البرتغالية لم تحاول أن تتدخل في هذه الأطروحة ، إلا من ناحية الشكل فقط . كان سالازار يفتح هذه الاحتفالات وكان يشترك في حضورها رجال الحكومة وسفراء الدول المعتمدين في البرتغال . ولكن هذا التقليد أصبح غير مرعي بعد الثورة . أما كل ما عدا ذلك فقد ظل قائما كما كان . فبالإضافة إلى ما تقدمه الدولة من خدمات للحجاج فإنها تقوم بتقديم التسهيلات اللازمة لآلاف المتطوعين والمتطوعات الذين يساعدون في شتى الأعمال لخدمة الحجاج .

وبينما كنت أسير ليلا أنا وروجتي في هذا الميدان الفسيح وإذا بإحدى لمرضات تعرف عليا وتسرع للقاءنا . وعرفنا فيها الكونتيسة بالمبلا Countesse Palmela وهي سيدة مجتهد أرسقراطية ، كما قد تعرفنا عليها في إحدى الحفلات . وداريت حديث قصير لم يخلو من التعليق السياسي . فقد قالت الكونتيسة بفخر وثقة «أنظريا جنرال إلى هذه الجموع المختلطة . ان الشيوعية لن تنتصر في البرتغال وفاطمة موجودة . ان كونيال Cunhal (تقصد بذلك زعيم الحزب الشيوعي) لن يستطيع أن يقيم هؤلاء اساس بالشيوعية » فقلت لها «أظنك على حق يا كونتيسة . ولا شك أن وجودك هنا ليوم وتطوعت للقيام بعملك هذا هو في حد ذاته عمل جاد لكي يحقق هذا الهدف » .

البَابُ الثَّالِثُ

تَطَوُّرُ الْعَلَاَقَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَ السَّادَاتِ



الفصل الحادي عشر

مرحلة التعاون

بحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين 19 يونيو 78 كان قد تم توزيع البيان الذي هاجم فيه السادات وطمحه . وفي هذا البيان اتهمت السادات بالنفاق السياسي وأنه يدعي الديمقراطية ويمارس الديكتاتورية . وأن سياسته الخارجية فاشة وبستحيل من خلالها أن يحقق سلام عادل . وأنه يسحق الطبقات الكادحة في مصر تحت شعار المحافظة على السلام الاجتماعي . وأنه استغل منصبه وأصدر مذكراته التي ملأها بالكاذب والقصص المختلفة (20) وبدا كان يوم 19 يونيو 78 هو يوم إعلان المجابهة السافرة بين وبين السادات ، فإن هذا اليوم لم يكن إلا نهاية سلسلة من المصادمات والخلافات التي بدأت خلال أكتوبر 73 . ثم أخذت تتفاعل وتتعاظم خلال ما يزيد قليلا عن أربع سنوات ونصف ، إلى أن وقع الانفجار في هذا اليوم . وقد مرت علاقتي مع السادات بثلاثة مراحل رئيسية مرحلة التعاون ، مرحلة الخلاف ، مرحلة المجابهة .

كانت مرحلة التعاون ما بين مايو 71 وحتى أكتوبر 73 . وكبت مرحلة الخلاف ما بين أكتوبر 73 وحتى يوليو 78 وكانت مرحلة المجابهة ما بين يوليو 78 وحتى آخر يوم في حياته .

قبل قيام ثورة 23 يوليو 1952 كنت على علاقة طيبة بالعالية العظمى من انصار القباذية في القضاة لأحرار والذين تشكل منهم فيما بعد مجلس قيادة الثورة . وقد بدأت علاقتي ببعضهم خلال فجر شبابتنا عندما كنا طلبة في الكلية الحربية ، وبدأت مع لبعض الآخر خلال لسنوات الأولى لحملتنا في القوات المسلحة حيث كنا نلتقي في مناسبات عدة . وقد كانت هذه المرحلة من شبابتنا هي أنقضى مراحل حياتنا ، حيث كان كل واحد منا يعرف

الآخر على حقيقته ، قبل أن تفتنه السلطة . ولعل أنور السادات هو الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة أعضاء الثورة ، الذي لم التقي به قط قبل قيام الثورة . وقد يرجع ذلك إلى قصر المدة التي قصاها في الجيش والتي كانت لا تزيد في مجموعها عن خمس سنوات .

وفيما بين يوليو 52 وحتى وفاة عبد الناصر ، لم يكن هناك أي اتصال بيني وبين السادات . وبالتالي كانت معلوماتي عنه محدودة جدا . وكانت تتلخص في أنه رجل مطيع جدا لمن بيده السلطة ولا يعرضه أحد . أي أنه رجل نعم . كان المشير عبد الحكيم عامر يدعو أحيانا لحضور بعض المؤتمرات التي يعقدها مع القادة العسكريين في اليمن . وفي هذه الاجتماعات كنت أرى السادات جالسا بجوار المشير عبد الحكيم عامر لا يتكلم ، ولا يعلق بكلمة واحدة . كذلك كان عبد الناصر يحضره معه في بعض لقاءاته مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وكان السادات لا ينس بكلمة واحدة خلال هذه المؤتمرات . كان صمت السادات المطلق خلال هذه المؤتمرات ، يؤكد ما عرف عنه بين الضباط وغيرهم بأنه رجل نعم .

في خلال الفترة ما بين انتخاب السادات رئيسا للجمهورية في أكتوبر 70 ، وإلى أن قام بانقلاب 15 مايو 71 ، لم أقابل السادات سوى أربع مرات فقط . كان ذلك خلال المؤتمرات التي عقدها بصفته رئيسا للجمهورية لكي يلتقي بكبار الضباط . وقد تم المؤتمر الأول يوم 19 أكتوبر 70 ، وتم المؤتمر الثاني يوم 30 ديسمبر من نفس العام ، وتم المؤتمر الثالث في 23 مارس 71 ، وتم المؤتمر الرابع في 11 مايو 71 . لقد كان المؤتمر الأول للتعارف بين الرئيس وكبار القادة . وفي هذا المؤتمر أعلن السادات أمامنا بأنه سوف يلتزم بسياسة عبد الناصر الداخلية والخارجية . وفي المؤتمر الثاني والثالث ركز هجومه على أمريكا وعلى الدول العربية التي تتعامل مع أمريكا ، وأثنى على لاتحاد السوفيتي وما يقدمه لنا من مساعدات . وفي خلال مؤتمره الرابع شرح لنا المبادرة التي كان قد تقدم بها في فبراير 71 ، وما دار بينه وبين روجرز خلال زيارته للقاهرة والتي كانت قد تمت قبل عقد هذا المؤتمر بضعة أيام فقط .

وكرر الرئيس ما سبق أن قاله في المؤتمرات الأخرى ، فثنى على الاتحاد السوفيتي . وقال أن الاتحاد السوفيتي يقوم بناء مشروعات صناعية في مصر قيمتها 460 مليون دولار . وأن هذا سيمكننا من بناء القاعدة الاقتصادية التي هي أساس الاستقلال السياسي . ومن خلال هذه المؤتمرات الأربعة ، بدأت أعرف السادات لأول مرة . وقد كان انطباعي عنه هو أنه لا يبدو أن يكون امتدادا لنفس النظام الذي كان قائما أيام عبد الناصر .

أما الفترة ما بين 16 مايو 71 وحتى أكتوبر 73 فقد كانت هي فترة التعاون الحقيقي بيني وبين السادات . لقد عينت رئيسا للأركان العامة للقوات المسلحة يوم 16 مايو 71 وكان ذلك بعد يوم واحد من قيام السادات بانقلاب يوم 15 مايو ، حتى تصور البعض وكأنني

أحد عناصر هذا الانقلاب ، ولكن الحقيقة هي غير ذلك . لقد عدت إلى مركز قيادتي
في منطقة البحر الأحمر بعد حضور مؤتمر يوم 11 مايو ولم أعد إلى القاهرة إلا يوم 16 مايو
بناء على طلب عاجل من الفريقين محمد صادق في ساعة متأخرة من يوم 15 . وعند وصولي
إلى القاهرة كان السادات قد تخلص تماما من كل خصومه . قد يقول بعض الناس أن قبولي
منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة في هذه المرحلة المتقدمة من الانقلاب ، يعتبر
في حد ذاته تأييدا وتدعيا لهذا الانقلاب الوليد الذي يحتاج إلى من يحميه ويؤيده . قد يكون
لهم بعض الحق في ذلك إذا افترضنا معهم على أن ما قام به السادات يوم 15 مايو هو
انقلاب ضد السلطة الشرعية . ولكن هذه الحقيقة لارالت مثار جدل حتى وقتنا هذا .

لقد اختلف الآراء حول حركة 15 مايو . هل هي انقلاب ضد السلطة الشرعية كما
يصفها البعض ؟ أم هي حركة تصحيح لثورة 23 يوليو كما كان يصفها السادات خلال
الثلاث سنوات الأولى من وقوعها ؟ أم هل هي ثورة كما يطول للبعض أن يصفها منذ 1974 ؟
وفي تصوري فإن جميع هذه التعاريف غير صحيحة بل ومضللة . لقد كان السادات هو
السلطة الشرعية يوم 15 مايو ، ولم تكن القواعد الشعبية تدري بما يدور من صراع على مستوى
القمة . وإذا كان هناك مأخذ على هذا التعميم الإعلامي ، فإن المسؤولية الكبرى في ذلك
تقع على عاتق النظام الذي تعمد دائما ألا يشرك الشعب في اتخاذ القرار . وأنه في استطاعتنا
اليوم وبعد مرور تسع سنوات على هذه الأحداث ، أن نتصور مدى التعميم الإعلامي الذي
يلغوه أصحاب السلطة على الشعب المصري ، إذا نحن قرأنا مذكرات كل من السادات
وعلي صبري .

يلقي السادات في الصفحة 299 من مذكراته التي نشرت عام 78 بأن اللجنة المركزية
انفقت يوم 25 أبريل 71 وأيدت مشروع الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا ، كما هو .
وهو بذلك يقول «وهكذا انتهى اختبار القوة معي إلى انتصاري المطلق» أما إذا قرأنا مذكرات
علي صبري والتي نشرت عام 79 في مجلة 23 يوليو التي تصدر في لندن ، فإننا نجد أنما
بأن رواية مختلفة تماما . يقول علي صبري في العدد 16 من المجلة المذكورة (18 يونيو 79)
أن غالبية اللجنة المركزية كانت تؤيده . وأن ذلك ظهر عندما أراد السادات أن يوقفه عن
الكلام فاحتج الأفراد وزاد ضجيجهم مما اضطر السادات إلى أن يأخذ الأصوات . فأيدت
الغالبية العظمى من اللجنة المركزية قرارا بضرورة استمرار علي صبري في الكلام وبدون
مقاطعة من الرئيس ، وأن الذين عارضوا ذلك هم 15 عصف فقط . ويقول علي صبري
أيضا في نفس المذكرات أن الدكتور مصطفى أبوزيد تدخل واقترح بعض التعديلات على
صيغة مشروع الاتحاد الذي كان قد تم التوقيع عليه في بنغازي ، لكي يجعل هذا المشروع

مقبولا لدى السيد علي صبري ومؤيديه . وأنه بعد إدخال هذه التعديلات وافقت اللجنة المركزية على المشروع بالإجماع . ولم يذكر السادات في مذكراته شيئا عن اجتماع الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي الذي انعقدت يوم 29 أبريل ، في حين يروي لنا علي صبري في العدد 17 من مجلة 23 يوليو بأنه لم يحضر هذا الاجتماع ولكنه سمع من محمد فايق وزير الإعلام والذي حصر هذا الاجتماع ، بأن الجلسة سادها القلق والاضطراب .

وكما قلت فإن الصراع كان يدور على مستوى القمة السياسية ، دون أن يعلم الشعب شيئا عما كان يجري على مستوى هذه القمة . ان كل ما أعلنته وسائل الإعلام المختلفة في ذلك الوقت هو إقالة علي صبري في 2 مايو ، ثم أعلن بعد ذلك استقالة خمسة وزراء من بينهم وزير الحرية ، صباح يوم 14 مايو (21) . ثم قام السادات بتوجيه خطاب للشعب وأعلن فيه أن هؤلاء المستقبين كانوا يريدون أن يعرضوا وصايتهم عليه متجاهلين بذلك سلطاته الدستورية ، وقد كان هذا التبرير معقولا ومقبولا في مثل هذا التاريخ . كان الشعب قد تعود في ظل نظام عبد الناصر أن السلطة الحقيقية تتركز في يد رئيس الجمهورية . وأن ما دون ذلك من مؤسسات فهي لا تعدو أن تكون مؤسسات شكلية لا سلطة لها على أحد . لقد كنا نعلم جميعا أن اللجنة التنفيذية العليا ، واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ما كانت لتجرؤ أن تتخذ قرارا يخالف القرار الذي يريده جمال عبد الناصر . وأن قصة القرار الذي اتخذته اللجنة التنفيذية العليا في شهر يوليو 70 برفض مبادرة روجر آتاء زيارة عبد الناصر في موسكو ، ثم تراجعها عن هذا القرار بمجرد أن عمت بأن عبد الناصر قد قرر قبول المبادرة ، هو دليل قاطع على أن هذه المؤسسات الدستورية ، لم تكن سوى هيئات استشارية للرئيس ، وأن لم تكن تملك السلطة التي يمكنها من فرض قرارها عليه . ومن هنا فإن الادعاء بأن حركة السادات يوم 15 مايو هي انقلاب ضد المؤسسات الدستورية هو اتهام لا يستند إلى الواقع أو الممارسات السابقة .

وإذا لم تكن حركة 15 مايو 71 هي انقلابا ضد المؤسسات الدستورية الشرعية فهل كانت حقا تصحيحا لمسار ثورة 23 يوليو؟ مرة أخرى أقول أن هذا التعبير ليس صحيحا . لأن التصحيح يكون دائما إلى الأفضل ، في حين أن حركة 15 مايو لم تأت لنا بشيء جديد ان مسار السياسة الخارجية والاقتصادية والدخيلة لم يتغير عما كان عليه أيام جما عبد الناصر . لقد اختلف السادات مع السوفيت . ولكنه ظل يردد خلال هذه المرحلة أن صداقتنا مع السوفيت هي صداقة استراتيجية . وأن أمريكا هي العدو الأول للعرب ، لأنها هي التي تمد إسرائيل بالسلاح الذي يمكنها من احتلال الأراضي العربية . وقد فسر السادات خلافه مع السوفيت على أنه خلاف تكتيكي وليس خلافا استراتيجيا ، وكذلك فعل عبد الناصر عندما

اختلف مع السوفيت في عدة مرات سابقة . كذلك فقد استمر المسار الاقتصادي للبلاد كما كان أيام عبد الناصر وبدون أي تغيير . وفي المجال الداخلي فإن السادات لم يتخذ أي خطوة ، بل أنه لم يعلن أيضا أن في نيته أن يجري أي تغيير ، في البنية التنظيمية للنظام الذي ورثه عن عبد الناصر . فقد بقي التنظيم السياسي كما هو . وبقي الدستور كما هو . وبقيت القوانين كما هي . وفي مجال القوات المسلحة فقد استمر السادات في تقوية القوات المسلحة وابتدائها بالأسلحة المتطورة . وقد ازدادت قدرات القوات المسلحة خلال الفترة من مايو 71 حتى أكتوبر 73 حوالي 30% وزاد عدد أفرادها خلال تلك الفترة وحدها بمقدار 400 000 رجل .

لذلك فإن أي نظرة غير متحيزة سوف تكشف أن تلك الفترة (من 15 مايو 71 وحتى حرب أكتوبر 73) ، لم تكن في الحقيقة تصحيحا لمسار ثورة 23 يوليو ، وإنما كانت استمرارا لنظام عبد الناصر . لم يكن فيها شيئا من الإصلاح كما أنه لم يكن فيها شيئا من الانحراف الملموس

أما القول بأن حركة 15 مايو هي ثورة فهو قول لا يستحق أن نبحثه . إنه قول المافقين الذين يأكلون على كل الموائد ويزيرون أعمال الشياطين لأسيادهم . وخلاصة القول فإن حركة 15 مايو لم تكن سوى صراع على السلطة ، بين رئيس الجمهورية الذي كان يريد أن يحتفظ لنفسه بجميع الحقوق التي كان يتمتع بها سلفه ، وبين مجموعة من السياسيين كانوا يريدون أن يستعيدوا من موت عبد الناصر ، فيغتصبوا السلطة لأنفسهم . أما الشعب فلم يكن طرفا في هذا الصراع ، وذلك على الرغم من أن كل القوى المتصارعة كانت تدعي بأنها تتكلم باسمه .

الفصل الثاني عشر

مرحلة الخلاف

لما بين نوفمبر 73 ونوفمبر 78 ، كانت هناك تحركات كثيرة للسادات توجي جميعها بأنه أخذ بحرف بمسار ثورة 23 يوليو . ولكن السادات خلال هذه المرحلة كان حريصا على أن ينجي المعاي الحقيقية لهذه التحركات ، والأهداف البعيدة التي كان يرمي إلى تحقيقها . كان يحاول أن ينجذع كل من حوله من اليساريين ومن عامة الشعب ، وذلك بإعطاء تفسيرات خاطئة عن تلك التحركات المريبة التي كان يقوم بها .

السياسة الخارجية :

في مجمل العلاقة بين مصر والدولتين الأعظم ، نجد أن السادات أخذ يتحول عما كان ينادي به من صداقة استراتيجية مع الاتحاد السوفيتي ، إلى صداقة استراتيجية مع الولايات المتحدة . وقد قام بتنفيذ ذلك على مراحل . وكانت البداية هي إعادة تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الولايات المتحدة في 28 فبراير 74 ، والذي كان قد قطع منذ يونيو 67 . وفي 15 مارس 76 انقضى معاهدة الصداقة التي كان قد عقدها هو مع لاتحاد السوفيتي في مايو 71 . وفي 26 مارس من نفس العام أنقضى التسهيلات التي كانت مصر قد منحتها لسفن الأسطول السوفيتي . وفي 26 أكتوبر 77 أعلن لسادات تجريد دفع الديون إلى لاتحاد السوفيتي . وفيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي ، حرص السادات على أن يستبعد الاتحاد السوفيتي من أي مساهمة في الجهود التي تبذل لتسوية هذا الصراع . وارتضى تحت أقدم الولايات المتحدة واتخذها ككديين في الأمم المتحدة . وهكذا تمت كل من اتفاقية فصل القوات في 24 يناير 74 ، واتفاقية سيناء في 24 سبتمبر 75 بين مصر وإسرائيل تحت إشراف الولايات المتحدة . ولكي نقتنع

الساس بهذا التحول أخذ السادات يردد أن الولايات المتحدة تملك 99٪ من أوراق الحل في يدها .

وفي مجال العلاقات العربية ، وافق السادات في مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي عقد في الرباط 26 - 29 أكتوبر 74 ، على أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد لكل الفلسطينيين . وأكد السادات ذلك في حديث له مع جريدة لوموند الفرنسية في 22 يناير 75 . فشجب في هذا الحديث أي محاولة قد تقوم بها إسرائيل بإعادة الضفة الغربية أو جزء منها إلى الأردن ، مؤكدا أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين . ولكن السادات نفسه أعلن في 30 ديسمبر 76 بأن الأراضي الفلسطينية بعد تحريرها يجب أن تكون جزءا من الأردن . وأكد هذا الرأي مرة أخرى في مقابلة تمت بينه وبين وزير الخارجية الأمريكي في القاهرة في 17 فبراير 77 . كذلك اتفق السادات مع الملوك والرؤساء لعرب في مؤتمر الرباط 74 بأنه لا يجوز لأي دولة عربية أن تعقد صمحا منفردا أو تسوية منفردة مع إسرائيل ، ومع ذلك فقبل أن يمر عام واحد على هذا المؤتمر ، كان السادات قد وقع على اتفاقية سبأ في سبتمبر 75 . وقد دافع السادات عن ذلك بأن اتفاقية سبأ ليست تسوية منفردة . في حين أن المادة رقم واحد ورقم اثنين من هذه الاتفاقية تؤكد عدم لجوء أي من الطرفين إلى القوة في حل أي نزاع بينهما . كما تؤكد عدم قيام أي من الدولتين بالتهديد باستخدام القوة أو إقامة أي حصار على الدولة الأخرى . وأن إقرار مصر بذلك يحرمها من حقها في تقديم أي مساعدة عسكرية لأي دولة عربية سواء بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، إذا ما اعتدت عليها إسرائيل . وهذا يعني أن مصر قد انسحبت عن المجموعة العربية .

ولكي يثبت للشعب المصري وللدول العربية بأنه لا يسير في طريق السلام ، فقد حرص السادات دائما أن يظهر بمظهر الحريص على تقوية القوات المسلحة المصرية وتجهيزها بالسلاح المتطور ، في الوقت الذي كان يصر فيه عكس ذلك تماما . وتنفيذا لسياسة الخداع هذه ، فقد أعلن في مجلس الشعب المصري يوم 18 أبريل 74 شعار تنويع مصادر السلاح . وفي 29 يناير 75 أعلن أثناء زيارة رسمية له في فرنسا تبني قيامه بعقد صفقة أسلحة قيمتها 2200 مليون دولار . وفي 11 مايو 75 انفتحت مصر مع كل من السعودية وقطر والإمارات العربية على إنشاء الهيئة العربية للتصنيع برأس مال قدره 1200 مليون دولار . وفي أثناء زيارة رسمية قام بها وزير خارجية مصر إلى المملكة المتحدة 10 - 13 يونيو 75 ، أعلنت أجهزة الإعلام المصرية أنه تم عقد صفقة سلاح بمبلغ 450 مليون جنيه استرليني (1000 مليون دولار) .

ووسط هذا لإغراق الإعلام الكاذب ، تصور الناس أن السادات يعمل فعلا على تقوية القوات المسلحة المصرية وليس العكس .

ونتيجة لهذه المناورات ، فإن السادات لم ينجح في خديعة العالية العظمى من الشعب المصري فحسب ، بل أنه نجح أيضا في خديعة الدول العربية جميعها . واستطاع خلال هذه الفترة (أكتوبر 73 وحتى أكتوبر 77) أن يحصل على الدعم الاقتصادي من الدول العربية المحافظة ، وأن يحتفظ بعلاقات سياسية حسنة مع الدول العربية التقدمية . وفيما عدا فترة عشرة شهور من الخلاف مع سوريا جاءت في أعقاب التوقيع على اتفاقية سبنا في سبتمبر 75 ، ومشها مع ليبيا خلال عام 77 ، فإن علاقة السادات مع جميع الدول العربية كانت جيدة . ولم يصل إلى مستوى قطع العلاقات الدبلوماسية أو إداة تلك التحركات السادانية بشكل رسمي ، كما حدث بعد ذلك .

السياسة الاقتصادية :

وفي اجمال الاقتصادي ، كان السادات يرمي من البداية إلى تحويل المسار الاقتصادي إلى سياسة الاقتصاد الحر ، أو ما أطلق عليه بسياسة الانفتاح Open door policy . وقد بدأ تنفيذ هذه السياسة بشن حملة شعواء على سياسة الاقتصاد الموجه ، التي كانت منبعه مد قيام الثورة وحتى عام 73 . فأخذ يدعي بأن اقتصاد مصر كان قد وصل قبل حرب أكتوبر 73 إلى ما هو تحت الصفر . ومن الملاحظ أن السادات عندما يريد الخداع فإنه يستخدم التعبيرات الديماجوجية ويبتعد عن ذكر الأرقام والتواريخ . ان الأرقام والتواريخ لا تعرف الكذب . أما هذه التعبيرات الديماجوجية من أمثال اقتصاد تحت الصفر ، فإنها لا تعني أي شيء ، ولكنها كفيلة بأن تخدع الكثير من البسطاء . وبكي نوضح الأمور بالأرقام فإننا نقول أن ديون مصر الخارجية حتى نهاية عام 1970 (السادات تولى رئاسة الجمهورية في أكتوبر 70) بلغت 1639 مليون دولار . فإذا علمنا أن تعداد مصر في ذلك الوقت كان 33450000 نسمة فإن ذلك يعني أن ديون مصر الخارجية كانت بمعدل 49 دولار على الرأس الواحد .

وفي خلال حكم السادات ، وفي ظل سياسة الانفتاح الذي أخذ يناي بها اعتبار من عام 74 تعاظمت الديون بشكل يثير الفزع . وأخذت مصر تقتصر ، لا لتقيم المصانع ، ولا لتصلح الأراضي ، ولا لتريد من الدخل القومي الحقيقي ، ولكن لكي تفرق السوق على السلع الكالية ، التي يكتسب بها السادات رضا الطبقة البورجوازية . ونتيجة لهذه السياسة انحست السلع الضرورية من السوق ، وارتفعت أسعارها ارتفاعا شديدا لا يتناسب مع دخول

الطاقة الكادحة ومحدودي الدخل . وقد أدى ذلك إلى انتفاضة الجماهير في يومي 18 - 19 يناير 1977 ، ثم دفع حكومة السادات إلى التدخل وقمع تلك المظاهرات بعنف وقسوة . وطبقا لبيان الحكومة فقد سقط في هذين اليومين 79 قتيلًا ، 214 جريحًا ولكن الانتفاضة 18 ، 19 يناير كانت مؤثر حيا لما وصل اليه الاقتصاد المصري من تدهور

وفي خلال 10 - 12 مايو 77 عقد في باريس اجتماع حضره 13 دولة معرصة (أمريكا - كندا - ألمانيا الغربية - بريطانيا - فرنس - إيطاليا - هولندا - اليابان - إيران - السعودية - الكويت - الإمارات العربية - قطر) وحضر معهم الدكتور القيسوني نائب رئيس الوزراء المصري . لقد كان العرض من هذا الاجتماع . هو فرض بعض القيود على مصر من قبل الدول المقرضة فيما يتعلق بأوجه صرف القروض التي تتلقاها مصر من هذه الدول . نقد شعرب هذه الدول بأن الاقتصاد المصري في حالة سيئة . وأنه يجب أن يكون لها صوت مسموع في تسيير الاقتصاد المصري ، حتى تضمن إمكانية قيام مصر بالوفاء بديونها . وأنه لمن المحزن حقا أن ما حدث في باريس 1977 هو تكرار لما حدث قبل ذلك بمائة عام . عندما تدهور الاقتصاد المصري نتيجة الإسراف والإنفاق التفاخري الذي كانت تنفقه مصر امان حكم الخديوي اسماعيل . وأمام هذا المؤتمر الدولي ، أعلن الدكتور القيسوني أن ديون مصر بلغت 10500 مليون دولار ، منها 3700 مليون دولار للاتحاد السوفيتي ودون الكتلة الشرقية ، 6800 مليون دولار للدول الغربية والدول العربية . وحيث أن تعداد مصر عام 77 كان 38880000 نسمة فإن ذلك يعني أن متوسط الدين على كل رأس في مصر قد بلغ 270 دولار . وأن هذا يعني ببساطة ، أن متوسط الدين على كل رأس في منتصف عام 77 قد ارتفع إلى أكثر من خمسة أمثال ونصف ، عما كان عليه عام 70 . وإذا قارن نسبة الديون إلى الدخل القومي نجد أنها كانت في عام 70 هي 24,5% ثم قفزت إلى 79% من الدخل القومي عام 77 .

ولكي تستطيع مصر أن تستبدل قروضها القصيرة الأجل - والتي كانت شروطها مجحفة ، بأخرى طويلة الأمد وبشروط أقل إجحافا . ولكي يزداد الاقتصاد المصري ارتباطا بالدول العربية ولكي يصبح السادات أكثر خضوعا لهذه الدول في المجال السياسي ، قررت هذه الدول بأن تمنح مصر ديونا أخرى قدرها 13800 مليون دولار خلال الأربع سنوات التالية . بحيث يسلم اليها خلال عام 77 وحده قروضا قدرها 5400 مليون دولار ، وأن تفرض بعد ذلك ما يوازي 2800 مليون دولار في كل من الأعوام 78 ، 79 ، 80

لقد بدأ السادات ينادي سياسة الانفتاح الاقتصادي اعتبارا من عام 74 . ونحت هذا شعار صدرت عشرات القوانين التي أدت إلى تغيير المسار الاقتصادي والاجتماعي

ثورة 23 يوليو 52 . وفي ظل شعار الانفتاح ، أخذ السادات ومن يسير في ركابه بشؤون المصريين بأن هذه السياسة هي الحل الوحيد لكل مشاكلهم . ولم يتورع السادات ومعاونه من أن يعدوا الشعب بعودهم أول من يعلم بأنها لن تتحقق . لم يكن ذلك يهمهم في شيء ان كل ما كان يهمهم هو أن يقوموا بإلغاء الشعب عن حاضره حتى يصير على ما هو فيه من بلاء . وأن يعدوه بما يخدر أعصابه ويبعث فيه الأمل بالمستقبل . ومن الأمثلة الفاصحة على ذلك ما طالعتنا به جريدة الأهرام في 12 يونيو 77 تحت عنوان «بدأت وزارة الزراعة في تبديد توجيهات الرئيس» . وتقول الجريدة أن المهندس إبراهيم شكري وزير الزراعة أعلن في مؤتمر صحي عاجل دعى اليه أمس بأن الوزارة قد وضعت خطة على أساس إصلاح 4,5 مليون فدان حتى عام 1980 . وأن هذه الأراضي التي ستقوم الوزارة بإصلاحها هي متارة في مناطق شمال الدلتا ، وشرقيها ، وعربيها وعلى طول الوجه القبلي والوادي الجديد . وما نحن الآن في عام 1980 دون أن يتحقق ولو 1٪ من هذه الوعود .

والسادات كعادته دائما يحاول أن ينسب أي فشل يقع فيه إلى غيره من الناس ، أو أن يبرر هذا الفشل بأسباب مختلفة لا تمت إلى الأسباب الحقيقية بصلة . إنه يدعي أن حرب أكتوبر 73 هي السبب الرئيسي لتدهور الموقف الاقتصادي المصري . وأنتا لا نسكرك أن فترة الاستعداد لهذه الحرب قد كلفت مصر الكثير من الأموال . ولكننا نختلف مع السادات من حيث أن هذه الحرب هي السبب الرئيسي لتدهور اقتصاد بلادنا . ان القوات التي دخلنا بها حرب أكتوبر 73 كان قد تم بناء ثلثها قبل وفاة عبد الناصر . ومع ذلك لم ترد ديون مصر عند وفاة عبد الناصر عن 1639 مليون دولار . ان ثمن الأسلحة التي اشتريناها من الاتحاد السوفيتي خلال الأعوام 71 ، 72 ، 73 لم ترد عن 750 مليون دولار ، فلو أننا اعتبرنا أننا نستدين لشترى هذه الأسلحة ، وأنه لا يوجد في ميراثنا العادية دولارا واحدا لكي نشترى به السلاح ، لارتفعت ديوننا إلى 2400 دولار أو حتى 2500 مليون دولار وليس إلى أربعة أضعاف هذا المبلغ . حقا ان ثمن السلاح والعناد لا يمثل إلا نسبة ضئيلة من ميراثية الدفاع . ولكنه هو الذي يستهلك العملة الصعبة ، وهو الذي يضطر مصر إلى الاقتراض . ثم أن مصر سواء كانت في حالة حرب أم لا فإنها لن تستغني عن وجود القوات المسلحة والإنفاق عليها . وأن الأرقام مرة أخرى تكشف لنا أن نفقات الدفاع في مصر في الأعوام 70 ، 71 ، 72 ، 73 كانت على التوالي 1266 ، 1477 ، 1512 ، 2757 مليون دولار . ومنه يتضح أن الزيادات في الإنفاق العسكري عن مستوى عام 1970 هو 948 مليون دولار فقط .

والخلاصة هي أن الاستعداد لحرب أكتوبر والإنفاق خلال هذه الحرب ، لم تكن

هي السبب الرئيسي في تدهور الاقتصاد المصري . لقد تدهور الاقتصاد المصري نتيجة لانفتاح على الاستهلاك المتفاخري ، وفتح الباب على مصراعيه أمام رأس المال الأجنبي ، الذي لم يعمل في المشاريع التي تزيد من الدخل القومي لمبلاد ، بل اتجه إلى المشروعات الاستهلاكية التي تدر عليه الربح الوفير في أقصر وقت ممكن . ومع هذا الانفتاح اختلت الموازين والمثل الاجتماعية ، فزادت الرشوة والعمولات وكان كل ذلك على حساب كفاءة الإدارة وترشيد الإنفاق . وكان نتيجة كل ذلك أن استهلكنا أخذ يتزايد كل عام دون أن يقلله أي زيادة في الإنتاج والنتيجة الحتمية لذلك هي الاستدانة ، وطبع أوراق مالية لتغطية العجز في الميزانية . وهكذا بدأت مصر تفرق في الديون كما غرقت قبل ذلك بمائة عام أيام الخديوي اسماعيل ، ولنفس الأسباب التي كانت قائما في ذلك الوقت .

الباسة الداخلية :

وفي مجال النظام الداخلي ، عمد السادات إلى نفس أسلوب الخداع والتضليل لقد عمد إلى إجراء بعض تغييرات في الشكل دون الماس بجوهر النظام . لقد أراد أن يلبس نظامه ثوبا جديدا ، بحيث قد يبدو للبسطاء من الناس أنه قد تحول إلى نظام ديمقراطي ، دون أن يؤثر ذلك على سلطاته الكاسحة . وقد بدأ ذلك بأن أباح حرية النقد بالنسبة للماضي بصفة عامة ، وبالنسبة لجمال عبد الناصر بصفة خاصة . وانبرت الأقلام التي كانت تمجد عبد الناصر في حياته لكي تنهش لحمه بعد مماته . كانت هذه الحملات المسعورة ضد جمال عبد الناصر تحقق للسادات هدفين . الهدف الأول هو أن يوهم البسطاء بأن المصريين في عهده يمارسون حرية النقد بطريقة لم يعرفوها أيام عبد الناصر . والهدف الثاني هو تحطيم صورة عبد الناصر الأسطورية ، التي كانت صورة السادات تتضاءل وتنحسف بجوارها . وبينما كانت تلك الحملة على عبد الناصر في أوجها ، ظهر علينا السادات بتميتين جديدتين . في التمثيلية الأولى قال أنه يشارك عبد الناصر المسؤولية في كل شيء عن الفترة التي تولى فيها عبد الناصر حكم مصر . وفي التمثيلية الثانية قال أنه لم يكن يشارك في اتخاذ القرار ، وأنه إنما أعلن قبل ذلك بأنه مشارك في المسؤولية مع عبد الناصر كنوع من الشجاعة والرغبة في المحافظة على ذكرى هذا الرجل العظيم . ومرة أخرى فإن السادات يريد أن يخدع البسطاء فيظهر أمامهم بمظهر الرجل المخلص الوفي لرعيته الراحل ، بينما هو بعد ما يكون إلى ذلك .

وبعد أن شبع السادات من الحملة الإعلامية التي قامت بتجريح عبد الناصر ، وجه مدافع إعلامه ضد الاتحاد الاشتراكي الذي لا شك وأن السادات كان بضمر التخلص منه منذ البداية . ومن بعد الاتحاد الاشتراكي أباح السادات حرية انتقاد المسؤولين في جميع

الصالح الحكومية ، مع الإبقاء على قلبية أربعة مجالات لا يجوز المساس بها أو توجيه نقد
إليها . تلك المجالات الأربعة هي ، رئيس الجمهورية ، السياسة الخارجية ، السياسة
الاقتصادية ، السياسة الدفاعية . وأبهرت الأفلام الانتهازية تهاجم المسؤولين في الحكومة
من تشكّل لطرق والمواصلات وشبكات المياه والكهرباء الخ . وكان الديموقراطية وحرية
التعبير عندهم هي نقد من يفعلوا وأمر من يبدعهم السلطة ، أما أصحاب السلطة الحقيقية
فهم في منأى عن أي نقد ، ولا يجوز محاسبتهم وتوجيه النقد إليهم . وهذا يبدو الفرق بين
شخصية جمال عبد الناصر وشخصية السادات . كان كل منهما يمسك في يده بجميع حيل
السلطة ولكن جمال عبد الناصر كان يعلن ذلك ويتحمل المسؤولية عن كل أعمال
مرؤوسيه ، لأنه كان يعلم ونعلم جميعا ، أنهم إن كانوا ينفذون سياسته وأوامره . أما السادات
فإنه يريد أن يستفيد وينسب إلى نفسه كل شيء جيد يمكن أن يحققه مرؤوسيه . أما الأخطاء
فيجب أن يحملوها هم وحدهم . وحيث أن السادات قد عودنا على أن يرفع شعارا براقا
لكل عمل نقوم به مهما كان تافها . فإنه أطلق على هذه مرحلة الثورة الإدارية .
ووصفها بأنها لا تقل أهمية عن أي ثورة أخرى . ولو أنه حقق شيئا بهذا الشعار وتحسنت
الأحوال الإدارية هان الأمر . ولكن وللأسف الشديد فإن الإدارة لم تتحسن بل أنها ساءت
كثيرا . وهكذا فإن شعار الثورة الإدارية الذي رفعه السادات عام 75 لم يكن سوى شعارا
خوف ، هدفه هو إلهاء الجماهير وخداعها عن حقيقة المشاكل التي تواجهها .

وفي سبتمبر 1976 ابتكر السادات نظاما سياسيا ليس له أي شبيه في العالم . ذلك أنه
نظم الاتحاد الاشتراكي الذي هو الحزب الوحيد في البلاد إلى ثلاثة أقسام . يمين ووسط
وسر وأطلق عليها منابر . لم تكن هذه المنابر ترقى إلى مستوى الأحزاب ، لأنها كانت جزءا
من الاتحاد الاشتراكي الذي كان لا يزال قائما ، وكانت له سطات سياسية وإدارية ومالية
يسيطر من خلالها على الكثير من شؤون هذه المنابر . وفي خلال أكتوبر 1976 أحرقت أول
انتخابات برلمانية في ظل ما يعلّق عليه نظام المنابر وكانت النتيجة التي ارتضاها الحكومة ،
هي أن يحصل منبر الوسط الذي يمثل الحكومة على 80% من الأصوات ، وأن توزع الأصوات
الأخرى بين اليمين واليسار والمستقلين .

ومع أن المعارضين الحقيقيين داخل مجلس الشعب لم يكونوا يريدون عن 5% من أعضاء
المجلس لبالغ عددهم 360 ، إلا أن نظام السادات الذي لم يتعود نقدا من أحد ، أخذ يضيق
منه المعارضة وبينهم أحيانا بالعمالة ، وأحيانا أخرى بالخيانة . واستمر الحال على هذا
الحال إلى أن جاءت انتفاضة الجماهير يومي 18 ، 19 يناير 77 وتظاهروا ضد الحكومة
وقصد السادات .

لقد قامت انتفاضة الجماهير في بنابر 79 بعد ثلاثة أشهر فقط من انتخاب السادات رئيسا للجمهورية بأغلبية 99,95% ، وبعد شهرين من انتخاب حكومة ممدوح سالم التي حصلت على أغلبية تصل إلى 80% من أصوات الناخبين . ومع ذلك فقد خرجت الجماهير نهتف بسقوط السادات وسقوط الحكومة ، فكان ذلك تعبيرا عن ازدرائها لهذه الانتخابات المزورة ، وشهادة حية أمام العالم أجمع أن هذه الانتخابات التي يجريها نظم السادات ، ليست سوى صورة طبق الأصل من الانتخابات التي كان يجريها فرانكو في اسبانيا ، وسالازر في البرتغال ، وبارك في كوريا الجنوبية ، وغيرهم كثيرون وكثيرون . وقد قام لسادات بقمع هذه الانتفاضة بوحشية ، مما دفع النائب كمال الدين حسين إلى أن يرسل له برفية احتجاج شديدة اللهجة . ولكن السادات الذي أحس بالعرش يهتز من تحته ، لم يطق أن يسمع كلمة نقد من عضو في مجلس الشعب يقوم بتنفيذ واجبه تجاه وطنه ومواطنيه . واجتمع مجلس الشعب وقرر فصل كمال الدين حسين ، من مجلس الشعب في فبراير 77 . بعد ذلك أخذ السادات يهدد كل من يعارض سياسته بالقبض والاعتقال . ففي حديث له نشر في أخبار اليوم بتاريخ 16 يونيو 77 قال «أنا زي ما قلت لن أرحم أي واحد منهم . أنا باعتبارهم حونة . دى حياته لمصر . لأن اللي ما يقدرش يقول كلمة أمل أو كلمة تشجيع ، أحس له يقفل بقة أو يكسر قلعه » . هكذا كانت ديموقراطية السادات أما أن يهمل الفرد فيكون من المخضيين . وإما أن ينتقد فيكون من الخونة والمعتقلين .

وخلاصة القول فإن السادات كان يتكلم عن الديمقراطية ويمارس الأوتوقراطية كان يرفع شعار سيادة القانون . وهو شعار جميل إذا كان القانون عادلا بالنسبة لمن يطبق عليهم القانون . لقد كانت هناك قوانين خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر تبيح الرق وتبيح بدمالك أن يجلد عبده وأمه وكان هؤلاء المساكين يباعون ويجلدون تحت شعار سيادة قانون لم يساهموا في إصداره . لقد اكتشف السادات أن تزوير الانتخابات هو الخطوة الأولى على الطريق الذي يثبت به أركان حكمه الأوتوقراطي . إنه بهذا التزوير يستطيع أن يصدر دستورا يمنح نفسه بموجبه سلطات كاسحة . إنه بهذا التزوير يستطيع أن يتحكم في من ينجح في انتخابات مجلس الشعب . إنه بهذا التزوير يستطيع أن يعين نفسه رئيسا للجمهورية لدى الحياة . وعن طريق مجلس الشعب الذي يكاد يكون دلتعين إلا قليلا منهم فإنه يستطيع أن يصدر القوانين التي تخدم الحاكم ولا تخدم المحكومين ، كما كان يحدث في القرون الغائرة التي كانت تبيح الرق وتقتنه . ومن هنا يتضح لنا أن تزوير الانتخابات ولو مرة واحدة هو سبب كاف لإسقاط شرعية النظام وكل ما يصدره من قوانين .

الاستعداد للمجاهدة :

كانت تحركات السادات في مجال سياسة الخارجية والسياسة الاقتصادية تؤكدان أن السادات قد بدأ رحلة الانحراف عن الخط الباصري انحرافا واضحا وملموسا . وأن الانحراف عن الخط الباصري ليس جريمة ، إذا كان هذا الانحراف إلى الأفضل . ولكنه وللأسف الشديد كان إلى الأسوأ . ففي ظل تلك السياسة الخارجية أخذت القدرات القتالية للقوات المسلحة المصرية تتضاءل يوما بعد يوم نتيجة توقف الاتحاد السوفيتي عن إمدادها بأسلحة لأسباب سياسية ، وذلك في الوقت الذي استمرت فيه أمريكا في إمداد إسرائيل بأسلحة متطورة وبكميات كبيرة . وهكذا اختل التوازن بين القوات المسلحة المصرية والقوات المسلحة الإسرائيلية ، وأصبح لإسرائيل التفوق العسكري الساحق على مصر . وفي ظل هذا الاختلال في التوازن ، فقدت مصر وبصفة هائلة الفرصة في الحصول على أي تسوية عادلة . ولا هي تستطيع أن تحرر أراضيها بالقوة المسلحة . ولا هي بقادرة أن تحصل على تسوية سلمية عادلة وهي في موقف الضعف الذي أصبحت فيه .

وفي مجال الاقتصاد فقد أدت سياسة الانفتاح إلى توقف التنمية وسيطرة الرأسمالية لطبقية على الحياة الاقتصادية . وظهرت الرعاعات الاستهلاكية بين الشعب بصورة لا تتناسب مطلقا مع الإنتاج والدخول ، مما تسبب عنه كثرة حالات الانحراف المالي والأخلاقي وتزايدت الديون لكي تصبح في مايو 77 ما يوازي 79٪ من الدخل القومي كما سبق أن أشرنا

وفي مجال الديمقراطية والنظام الداخلي لم يحدث أي تأثير جوهري ، سوى أن حصوم عبد الناصر الذين كانوا في المعتقلات والسجون قد أفرج عنهم السادات لكي يستخدمهم في تحطيم صورة عبد الناصر . وأحل محلهم في تلك السجون كل من يعارضه أو يوجه النقد إليه

كنت أراقب عن كثب كل هذه التصرفات الشاذة التي يقوم بها . وكنت أقرأ بوضوح المصير المظلم الذي يقودنا إليه السادات ولكنني كنت أرى أن الوقت المناسب للمجاهدة مبني وبنه لم يحن بعد . أن المجاهدة من وجهة نظري لا تعني مجرد الاستقالة ثم الصمت . بل أنها تعني لصراع العلني ضد هذا النظام وتعريته أمام الجماهير المصرية والعربية ، وتنوعية هذه الجماهير بحقيقة الأمور . أن من يملك الإعلام في عصرنا هذا فإنه يملك سلاحا رهيبا والسادات وهو يملك الإعلام المصري فإنه لا يسمح ولن يسمح لأي صوت معارض أن يخاطب الشعب المخدوع وأن يوضح له الحقائق . وأن الوسيلة الوحيدة لمقاومة هذا الإعلام المصري هو الحصول على منبر إعلامي خارج مصر . ولكن أين يمكن أن يكون هذا المنبر ؟ من هو البلد العربي الذي يمكنه أن يقبل إقامة مثل هذا المنبر المعادي لنظام السادات ؟ لقد

كانت جميع الدول العربية على علاقة جيدة مع نظام السادات وبالتالي فلم يكن هناك
أي فرصة متاحة للحصول على مبرر إعلامي معادي للسادات في أي بلد عربي ما بين 74 - 77
كنت أرى أن المجابهة بيني وبين السادات لابد وأنها ستحدث في يوم ما ، ولكي لا
أعرف متى سيتم ذلك ، قد دامت المداورة بيدي فأني كنت أفضل رجاء هذه المجابهة إلى
أن يحن الوقت المناسب ، أما إذا فرضها السادات علي فليس أمامي إلا أن أقبلها وكان علي
أن أستعد لهذه المجابهة .

لم أكن لأقبل أن تمر مرحلة الاستعداد لهذه المجابهة وأنا صامت أو مؤيد لقضاء السادات
وكان لابد أن نكلم وأن أنتقد . ولكن بقدر معلوم كنت حريصا على أن أظهر بوضوح
تمام بآفتي لست مؤيدا لهذا النظام ولكني كنت في نفس الوقت حريصا على ألا أتعصب
هذا الخلاف . إلى الحد الذي قد يدفع السادات إلى فرض المواجهة علي . تحت ظروف
كنت أعتبرها ليست مناسبة . وفي إطار هذا التصور ، كنت خلال الفترة 74 - 77 أنتقد
السادات ونظمه . كنت أنتقده في المجالس الخاصة والعممة ، والأحاديث الصحفية والإذاعة
اشيعريوية ، ولكن بأسلوب سياسي ودبلوماسي . وقد سبق أن ذكرت في الباب الأول
أمثلة من هذه الانتقادات التي وجهتها إليه خلال هذه الفترة . وفي الفترة التي كنت فيها سيرا
في العراق كانت فرصتي في توجيه النقد إلى نظام السادات أقل مما كانت عليه في بريطانيا ،
ولكنها مع ذلك لم تتوقف أبدا . كان عدد الزوار المصريين في المرتفل محدودا جدا . ومع
ذلك فلم أحيي أمام أي مهم انتقادي هذا النظام . وفي عداة أقمت في مرلي يوم 18 يونيو 77
تكريما للأستاذ يوسف السباعي وآخرين . جرى بيما حديث حول لجنة كتابة التاريخ التي
كان السادات قد أمر بتشكيلها فقدت ضم «أن مهمة اللجنة هي تزييف التاريخ وليس كتابته
أن المقصود هو أن يكتبوا التاريخ كما يريد له السلطة أن يكون» .

وفي 7 سبتمبر 76 أدليت بحديث مطول إلى حريدة الاكسپرسو
اليومية . وشرحت حديث في صفحة كاملة من صفحات المجلة . ولم يكن هذا الحديث خلا
من توجيه الانتقادات إلى السادات وإلى نظامه .

كتابة مذكراتي عن حرب أكتوبر :

لقد تولدت عندي عادة الاحتفاظ بالوثائق وتدوين الأحداث الهامة في حياتي منذ
منتصف الأربعينات . ثم تمت وترعرعت على مر السنين حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من
من حياتي . ومع ذلك فإنه لم يدر بخدي قط وحتى منتصف السبعينات ، أنني سوف أقوم
بشر هذه المذكرات في يوم ما . لقد كما نعيش في مجتمع تسيطر عليه المادية والبيروقراطية

وسوء لإدارة ولاسيما فيما يتعلق بأعمال لحفظ والأرشيف . وقد كان هذا المجتمع هو السبب الرئيسي الذي رلد عندي عادة الاحتفاظ بالوثائق وتدوير الأحداث . لقد رأيت في فجر شبقي ناس يضطرون إلى أن يدفعوا ديونهم مرتين ، لأنهم لم يحتفظوا بالإيصالات التي تدل على ديونهم بتسديد أقط هذا ليس . لقد رأيت أناس يحاكمون عن نقص اكتشف في عهدتهم الحكومية بعد أن كانوا قد سلموها كاملة لغيرهم . لأنهم لم يحتفظوا بالوثائق التي تثبت أنهم قدموا بنسبها إلى غيرهم وهي كاملة غير منقوصة . لقد رأيت أناس يطلبون الشهادة عن أحداث وقعت أمامهم منذ بضع سنوات فتخونهم الذاكرة . لقد رأيت كل ذلك في فجر حياتي ، فأثرت على تفكيري وبصريتي وعميتي أننا نعيش في مجتمع يقوم به الحياء باستغلال السدح والصفاء . وكان لزاما علي أن أحاط ضد هؤلاء الحياء ، وأن أحتج بكل وثائق التي تسمح لي بأن أدافع عن نفسي ضد أي هجوم خبيث . وهكذا فإن تسجل يومني عن حرب أكتوبر 73 وما قبلها لم يكن إلا استمرارا لعادة تمت وترعرعت عبر ثلاثين سنة .

لقد لمعت في ذهني فكرة نشر مذكراتي عن حرب أكتوبر لأول مرة في منتصف عام 74 وحدثت عن أسادات يتحدث عن حرب أكتوبر . وبدعي كدبا بأنني أنا المسؤول عن ثورة الدفوسوار ولكي استبعدت هذا الخطر عن نفسي بعد أن قلت جميع الأعمال استمرت جميع العوامل . نشر مذكراتي في هذا الوقت ، مكر كد يحده أربعة العاملين رئيسية . كان العامل الأول هو عدم رعيتي في كشف الطريقة التي خدح بها السادات وذلك في وقت كما به أخرج ما يكون إلى هذه الوحدة . أما العامل الثاني فقد كنت أرى أن نشر مذكراتي قبل مرور عام على تلك الحرب . قد يؤثر على وحدته الصف العربي . لي ذلك الوقت للتوصل إلى سلام عادن ودائم في المنصفة . ثم أكرر أؤمن بأن الطريق الذي يسلكه السادات يمكن أن يوصلك إلى سلام عادل ودائم . ولكي لم تكن أريد أن أعطيه مبررا يمكن أن يسعه كسبب لهذا الفشل

أما العامل الثالث فينبني كنت أرى أن نشر مذكراتي كرد على هجوم لسادات على شخصي هو رد فعل زائد over reaction ، لا يتطلبه الموقف . أما العامل الرابع فقد كان هو قنعتي بأنه ما من أحد يستطيع أن يزور التاريخ . لقد كان الموك والفراغة في الأرملة العبداء هم الذين يكتبون ويسجلون تاريخهم بأيديهم . وقد سرق رمسيس الثاني انتصارات غيره من الأسلاف وأصافها إلى انتصاراته . ومع ذلك فقد استطاع علماء الآثار والتاريخ أن يكتشفوا وبفصحو هذا التزييف بعد ذلك بـ 3000 سنة . وعموما فقد انتهت العصور

التي كان الملوك في يكتبون التاريخ بأنفسهم ، وأصبح التاريخ أمانة في عنق المؤرخين .
فليتكلم السادات كيف يشاء . فإنه لن يستطيع أن يزور تاريخ حرب أكتوبر التي شهد أحداثها
مئات الألوف وعرف بأسرارها المئات بل الآلاف في كثير من الأحيان . كنت أملك في
يدي جميع الأوراق التي تثبت كذب ما يدعيه السادات في أي وقت يشاء . وقد كانت
ثقتي في نفسي وفي سلامة موقفي تدفعني لأن أكون أكثر تعفلا في تصرفاتي . ولكن هذه
الأسباب قررت ألا أرد على هجوم السادات بشر مذكراتي ، وأن أكتفي مؤقتا بتكذيب
مقتضب لما يقول بشتى الوسائل الممكنة .

وبحلول عام 75 بد ركان المجاهرة بي بين السادات هي امر حتمي . وأن نشر مذكراتي
هو أحد الأسلحة الهامة التي يمكن أن تستخدمها ضد السادات . وكإجراء وقائي قمت بنقل
مذكراتي ووثاقي إلى خارج مصر . حتى تكون في مأمن من عيث السادات وزجالة . وبالرغم
من ذلك وبني لم أبدأ في تجهيز مذكراتي لنشرها في أكتوبر 76 . لقد حشيت أن بفاحشي
الموت قبل أن أحضر مذكراتي لنشر . وبصنيع مع موثي الكثير من الأسرار التي يريد السادات
إخفاءها أو ترويرها . وعندما شرعت في هذا العمل لم يكن لدي أي فكرة أو خطة عن الوقت
الذي سنشر فيه هذه المذكرات . فقد كان مجرد عمل وقائي . ومرحلة من مراحل الاستعداد
للمجابهة الحتمية التي لا بد وأنها سوف تقع يوما ما بيني وبين السادات .

كنت أنصوّر أن تحرير هذه المذكرات لن يستغرق مني سوى بضعة أشهر . لقد كان
عندي اليوميات التي تشمل رؤوس الموصيغ ومحصيا جميع الأحداث هامة يوما بيوم وما علي
إلا أن أصيغ بعض التفاصيل وقد كانت هذه التفاصيل لازالت حية ومحصورة في ذهني
ولكني كنت أعتقد أنني أمام عمل كبير وضخم . لقد كانت مذكراتي اليومية هي عبء عن
خليط غير متجانس من الأحداث . ففي يوم واحد قد أحضر مناقشة حامية مع وزير الحرية
حول أهداف الخطة الهجومية . ثم أحضر بعد ذلك بيانا عمليا عن أسلوب فتح الثغرة في
لسد الترابي بواسطة التجريف بآساة . ثم أستقصر بعد ذلك مدير إدارة المركبات لاطلب
أليه تشغيل 1000 عربة حديدية طبق للعبة التي سبق تشغيلها في البحر الأحمر . ثم ناقش
بعد ذلك مواضيع أخرى مع جهات أخرى متعددة لا ارتباط بين أي منها وبين الآخر . ثم
أجد نفسي في النهاية مدعوا إلى حفل عشاء بحري خلاله حوار سياسي حول موضوع .
ولو أنني قدمت مذكراتي لنقاري بهذه الصورة ، لما استطاع أن يستوعبها أحد . ومن هنا كان
يجب علي أن أقوم بتوبيها طبقا للموضوع ، على أن يراعى التسلسل التاريخي داخل كل
موضوع . وبدأت في عملية الفرز والتبويب . ولكنني قابلت مشاكل أخرى . فهناك بعض
الأحداث التي تلعب دورا مشتركا في أكثر من باب . فهل أذكرها في كل باب أم أكتفي

مذكرتي في باب واحد وأهمها في الأبواب الأخرى ، فتبدو هذه الأبواب الأخرى وكأنها شائبة فيها ، واستقر رأيي على أن أذكر مثل هذا لحدث بالتفصيل في أكثر الأبواب ارتباطا به ، ثم أشير إليه باختصار شديد في الأبواب الأخرى لكي أتفادى التكرار الملل .

لقد استغرق تجهيز مذكراتي لشرعيما كملا من لعمل المواسم وفي أكتوبر 77 كان هناك ثلاث نسخ من هذه المذكرات في ثلاث حرائر حديدية . كل واحدة منها في إحدى المواسم الأوروبية ، وذلك علاوة على النسخة الأصلية التي كانت تحت يدي . وقد كانت هذه المذكرات باللغة الإنجليزية

عندما بدأت في تجهيز مذكرتي لشرطي ان اكتب الحقائق بصراحة تامة . لم تكن تصور طبق للعلاقات التي كانت سائدة بين الدول العربية ونظام لسادات في أكتوبر 76 ، ان أي دولة عربية يمكن أن تسمح بنشر المذكرات دون أن تعرض علاقتها مع لسادات للخطر الذي قد يصل إلى حد قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . ولكي أتفادى حرج أي دولة عربية فقد قررت ان كنتها باللغة الإنجليزية وبدأت على المرححة في توقيت يسر من اختياري . فإني أستطيع نشر هذه المذكرات باللغة الإنجليزية وسعدت حية أخرى . أما إذا كان توقيت المناسبة من اختياري فهي لن أختاره إلا إذا ساءت العلاقة بين نظام لسادات ومجموعة من الدول العربية ، بحيث تسمح الظروف بنشر مذكرتي في تلك البلاد العربية دون أن يسبب ذلك أي إحراج لتلك الدول . وفي هذه الحالة ، فإن إعادة صياغة هذه المذكرات من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية لن تستغرق مني سوى ثلاثة شهور فقط .

وعموما فيه باتهاني من كتابة مذكراتي عن حرب أكتوبر وتأمينها ضد السرقة أو الإللاف ، كنت قد استكملت استعداداتي للمواجهة ولم يبق عدي سوى أن أختار الوقت المناسب لهذه المواجهة .

وصول بيجن إلى الحكم :

كان وصول بيجن إلى رئاسة الحكومة على إثر الانتخابات التي حوت في إسرائيل في 17 مايو 77 . يعني الكثير بالنسبة لمستقبل قضية الصراع بين العرب وإسرائيل . فقد كان تاريخ بيجن يشهد بوضوح بدمويته وآرائه المتطرفة . ففي 8 أبريل 1948 كان مناحم بيجن هو سفاح مذبحة دير ياسين ، حيث قام هو ومن معه من الإرهابيين اليهود بقتل المئات من رجال ونساء وأطفال هذه القرية المسكونة بقوة ووحشية . لم تعرفها الشرية من قبل . وسرعان ما انتشرت أخبار هذه المحزنة بين السكان العرب في القرى المجاورة ، فذهب الرعب لي

نفوسهم . - وهدموا ديارهم طلبا للنجاة . وهذا هو ما كان يريد مناحم بيغن . لقد كان يريد قضيعة فلسطين من أهلها الأصليين ، حتى يمكن أن يحل محلهم اليهود فيستكبر أرضهم وديارهم وأموالهم .

لم تغير 29 عاما مرت ما بين مذبحة دير ياسين ووصول بيغن إلى الحكم من أرض المتطرفة . وقد كان وب تصريح به بعد أن تولى رئاسة الوزراء هو « أن أرض إسرائيل هي من حق اليهود ، إسرائيل لا تستطيع أن تصمم بفوضى يهودا ولسامرة وقصاع غزة لأنه لا يمكن لشخص أن يصمم لنفسه شيء هو صاحبه » (22) . وعندما يقول بيغن أرض إسرائيل به لا يعني مطلقا حدود إسرائيل التي أقرتها الأمم المتحدة في 29 نوفمبر 1947 . أو خطوط الهدنة بين إسرائيل وحياتها طبقا لاتفاقيات الهدنة في عام 1949 . أو خطوط وقف إطلاق النار بعد حرب يونيو 1967 . أو خطوط وقف إطلاق النار بعد حرب 1973 . أن أرض إسرائيل في مفهوم بيغن وغلاة الصهاينة هي الأرض المحتلة بين النيل والفرات وهو هدف لم تتدرب عنه إسرائيل قط . بل أنها تكتنه وتعلمه بوصوح تام على مدخل الكيبوتز . وقد كان حكام إسرائيل الآن تتحاشون وهم في الحكم . أن يطلبوا تلك الأراضي التي يدعون أن لهم فيها حقوق ، فقد خرج على هذه القاعدة الجنرال شارون وزير الزراعة في حكومة بيغن عندما صرح إلى صحيفة هآرتس قائلا « نسي للعرب لذين يعيشون على أرض إسرائيل حق في الأرض . أن الشعب اليهودي وحده هو الذي له الحق في كل الأرض . أما المدينة الفلسطينية فيمكن أن تقوم في الأردن . إذ أنه يجب أن نعرف أنه تقوم حاليا دولة فلسطينية على أرض إسرائيل . وهذه الدولة تسمى نفسها الأردن . وهذا هو التاريخ الذي تم . فشرق الأردن (الجلعاد) جزء لا يتجزأ من أرض إسرائيل . ألا يكفي تنازلا عن شرق الأردن لفلسطينيين ؟ » . وهكذا فإن تحالف ليكود Likud الذي يضم جميع الأحزاب المتطرفة ، والتي تشكل منها الحكومة الإسرائيلية في يوليو 77 ، كان نذير شؤم على العرب بصفة عامة وعلى الفلسطينيين بصفة خاصة .

الاتصالات السرية بين السادات وبيغن

من المؤكد أنه كان هناك اتصالات سرية بين السادات وبيغن منذ أن تولى بيغن رئاسة الحكومة في إسرائيل . وذلك إلى أن تم اللقاء بينهما بصفة علنية في القدس في 19 نوفمبر 1977 . وإذا كانت المعلومات التفصيلية الكاملة عن هذه الاتصالات لم تعرف بعد ، إلا أن ما كشف عنه العطاء حتى اليوم يؤكد وجود تلك الاتصالات . ففي أواخر أغسطس 77 قام بيغن برحلة رومانيا ، حيث عقد بعض المحادثات مع الرئيس شاوشسكو الذي كان يعمل كطرف ثالث بين السادات وبيغن . وفي شهر سبتمبر 77 كان موشي ديان وزير

خارجية إسرائيل يقوم برحلة سياسية في أوروبا وهو في طريقه إلى أمريكا ، ثم قام فجأة بقطع رحلته يوم 17 سبتمبر وأعلن أنه عاد إلى إسرائيل . ولكن عرف بعد ذلك أنه اتجه إلى المغرب حيث قابل حسن تهاامي مستشار السادات ، وذلك قبل أن يتوجه إلى إسرائيل ليطلع بيجن على نتيجة مفاوضاته مع حسن تهاامي . ويقول السادات في مذكراته بالصفحة رقم 406 أنه قرر أن يقوم بمبادرته لزيارة القدس قبل ذلك بشهرين وبعد أن كان قد تسلم رسالة من كارتير . ان مضمون رسالة كارتير التي يشير إليها السادات غير معروف حتى الآن ولكن المقالة بين كل من موشي دايان وحسن تهاامي قد تمت فعلا قبل زيارة السادات للقدس شهرين (23).

وفي 30 أكتوبر سافر السادات إلى بوخارست ، حيث ناقش الموضوع برمنه مع شوشكو الذي كان على اتصال مستمر مع بيجن . واتفق الثلاثة على السيناريو المناسب لإخراج ما طلق عليه فيما بعد بمبادرة السادات لزيارة القدس .

السادات يزور القدس :

في مساء يوم الأربعاء 9 نوفمبر وفي أثناء خطاب جامع أمام مجلس الشعب ، تحدث السادات عن السلام وقال : «إنني مستعد لأن أذهب إلى آخر العالم للبحث عن السلام . ان إسرائيل ربما تتدهش من سماع ذلك . ولكني أقول بأني مستعد لنذهب إلى الكنيست الإسرائيلي لمناقشة السلام إذا اقتضى الأمر ذلك » . وظن الناس أن ما قاله لسادات إما أن يكون زلة لسان . وإما أن يكون الغرض منه إحراج إسرائيل أمام المجتمع الدولي . ولكن الأحداث توالى بعد ذلك بسرعة مذهلة تدل على أن كل شيء قد أعد وجهر لهذه الرحلة المشؤومة إلى القدس المحتلة . فبعد يومين من خطاب السادات قام بيجن بتوجيه خطاب إلى الشعب المصري دول غيره من الشعوب العربية . وتحدث فيه عن السلام وعن التعاون والإخاء الذي يمكن أن يتم بين الشعبين المصري والإسرائيلي في ظل السلام . ورحب باقتراح السادات . وبعد أربعة أيام أخرى وافق الكنيست بأغلبية ساحقة على توجيه الدعوة إلى السادات . وفي يوم 16 نوفمبر ذهب السادات إلى دمشق لكي يطلع الرئيس الأسد على ما انتواه ، ولكي يدعو إلى المشاركة في الركب . ولكن الرئيس السوري اعترض على هذه الزيارة وعاد السادات إلى القاهرة يوم 17 . وفي يوم 19 نوفمبر سافر السادات من الإسماعيلية إلى القدس وسط صحبة إعلامية دولية ضخمة . لقد أوقعت السرعة المذهلة التي تمت بها هذه الزيارة رجال الإعلام المصري في مواقف محرجة مع أنفسهم وفي مواجهة الشعب الذي أذهلته المفاجأة . فقد علق بعضهم بسحرة على الخطاب الذي رد به بيجن على السادات ورحب بحضوره إلى القدس ، عفاذا منهم بأن السادات لم يكن يعني ذلك حقاً . ولكنهم بدأوا يتراجعون بسرعة من حالة السحرة إلى الصمت ، ثم إلى التأييد . وتم كل ذلك في خلال أسبوع واحد .

كنت أنا وزوجتي نؤديان فريضة الحج ، وكنا منغمسين في الصلاة والعبادة لا نكاد ندرى بما يدور في العلم من أحداث ، ولم أعرف عن خطاب السادات في مجلس الشعب ، إلا من صديق مصري قابلته في المدينة المنورة ، وكان قد حضر مؤخرا من القاهرة . ولكي كغيري من ملايين البشر لم أكن أتصور أن السادات كان يعني حقا ما يقول . ولكي في يوم 18 نوفمبر تأكد لدي أنه مصمم على تنفيذ ذلك . خرجت مع بعض الأصدقاء في مساء ذلك اليوم والألم يعصر قلوبنا ، لكي نرى ونسمع تعليق المسلمين على هذه الزيارة . لم يكن بين الحجاج المتجمعين في منى من حديث ، سوى هذا المصاب الجلل الذي أصاب به السادات العرب والمسلمين . كانت جميع التعليقات تنعته بالخيانة ، وتبتهل من الله أن يتقم منه . وفي صباح اليوم التالي 19 نوفمبر كانت وقعة عرفات . وفي المساء أنستنا الكارثة ذكر الله بعض الوقت ، وأخذنا نستمع إلى الراديو وهو يصف رحلة السادات إلى القدس المحتلة .

كان مجموعة من الحجاج نلتف حول راديو ترانستور لنستمع إلى إذاعة القاهرة . وقد كان من بين هذه المجموعة الأستاذ علي حمدي الجمال رئيس تحرير جريدة الأهرام فقلت له . «إنك من المؤيدين لنظام السادات فما هو رأيك في هذه الزيارة ؟» قال إنه خطأ ما كان يصح للسادات أن يقع فيه . فأعجبني هذا الرد فسألته «وهل ستقوم بانتقاد هذه الزيارة عندما تعود إلى القاهرة ؟» قال لا ، فسألته ولماذا ؟ قال لأن الرئيس قد اتخذ هذا القرار . ومن واجبا أن تؤيده في هذا القرار . فقلت له غاضبا : «إذا كان هذا هو منطقك في الديمقراطية وأنت تشغل منصب رئيس تحرير أكبر حريدة يومية فمن الخير ألا أتناقش معك في هذا الموضوع» . كنت أنتقد هذه الزيارة انتقادا علنيا مع كل من أقابله من مصريين وعرب . وصممت بيني وبين نفسي أن هذه الخطوة التي اتخذها السادات يجب أن تكون هي الحد الفاصل بيني وبينه .

الفصل الثالث عشر

مرحلة المجابهة

اتخاذ القرار بالمجابهة :

بعد أداء فريضة لحج عدت إلى القاهرة لكي أقضي بهمة إيجارتي قبل أن أعود إلى مكان عملي في لشبونة . ولكنني كنت قد عقدت العزم على أن أفجر الخلاف ، وأن أقطع شجرة معاوية التي كنت لا تزال تربط بيني وبين السادات ونظامه . كانت خطتي لأوية هي أن أبدأ هذه المجابهة وأنا في حارج اسلاد وأن يتم ذلك بمجرد عودتي إلى لشبونة . وفي أثناء تواجدي بالقاهرة حاولت أن أجس ببص الجماهير فيما يتعلق بزيارة السادات لمقدس ، فرغني ما يمكن للإعلام أن يفعله في ظل نظام ونوقراطي . لقد تمكن الإعلام المصري الموحد أن يعمل عقول المصريين من جميع الشرائح ، مثقفين وغير مثقفين موظفين وعمال وغيرهم من جميع الفئات . لقد قل لهم الإعلام أن السادات سوف يحقق لهم هذه الخطوة سالما عدلا تنسحب بموجبه إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام 67 . وأنه ستشأ الدولة الفلسطينية على الضفة الغربية وقصاع غزة . وأن القدس العربية ستعود اليها . وأن أميريك ستغرض هذا الحق على إسرائيل . وفي مقابل ذلك ستنتهي حالة الحرب التي بين إسرائيل . وسيعرف السلام على المنطقة . وستساعد أموال البترول العربي والتكنولوجيا الأمريكية في تطوير اقتصاد اسلاد ويعم الرخاء على كل الدس . وفي غيبة الديمقراطية وفي ظل الاحتكار الإعلامي ، استطاع السادات أن يخدع لشعب المصري .

كانت جميع الحسابات الاستراتيجية والسياسية والعسكرية تؤكد أن تلك الوعود التي يبعثها السادات على شعب مصر ، لن تتحقق . ولكن الدس الذين قاسوا ونحملوا الكثير طول ثلاثين عاما ، كانوا على استعداد لتصديق كل ما يقال لهم ، حتى ولو كان الأمن

معيًا في تحقيق تلك لوعود . وأمام هذه الظروف قررت أن أوكل المحاجة مصحة شهر .
حتى تروى الفضاوة عن أعينهم . وحتى يكتبوا على استعداد لسام الحبوب الدبلة سافرت
إلى لشونة يوم 25 ديسمبر ولكن روحي نفضت في لقاهرة لتكوب بخوار ابني التي كانت
تنتظر مولودها . ولم تلتحق بي في لشونة إلا في نهاية فبراير 1978

في أوائل مارس أخطرت زوجتي بقراي الخاص بالمحاجة . وبعد مناقشات طويلة
اقتنعت بوجهة نظري . وقررت أن تربط مصيرها بمصيري . ومد ذلك الوقت سرعت في
وضع الحطة المناسبة لسجاية المتطرة . لم أكن أتصور أن تأخذ المحاجة بيني وبين السادات
شكل الاستقالة احتجاجا على ريادة السادات للقدس . ثم أفع بعد ذلك في داري في
القاهرة لا أستطيع أن أصل بصوتي إلى الجماهير المصرية . كنت أتصور أن المحاجة يجب
أن تكون نقطة انطلاق أبدأ بها قيادة حملة إعلامية ترد على التعمم الإعلامي الذي يفرضه
السادات على الشعب المصري . وأن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يتحقق إلا إذا استخدمت
بعضا من وسائل الإعلام العربي .

الاتصال بالرئيس هوري بومدين :

كانت زبارة السادات مفاحة غير سارة للغالبية العظمى من الدول العربية . وقد أدانتها
الدول العربية وانتقدتها ولكن بدرجات متفاوتة . وكان أكثر الدول إدانة لها هي سوريا
وليبيا وإمراق والجزائر واليمن الجنوبية . وقد اجتمعت هذه الدول في طرابلس ما بين 1 - 5
ديسمبر 77 ، وقررت تجسيد علاقاتها الدبلوماسية مع مصر فرد السادات على ذلك بقطع
للاقات الدبلوماسية مع تلك الدول . وأصبحت إدعة مصر وإدعاءات تلك الدول الخمس
تتراسق بالاتهامات . وفي ظل هذه الأوضاع أصبح في إمكانني ، في حالة وقوع محاجة بيني
وبين السادات ، أن أستخدم وسائل الإعلام في أي دولة من هذه الدول العربية المعادية
لنظام السادات ، دون أن أسبب لها إخراج سياسي أو دبلوماسي . وبعد تفكير طويل قررت
أن تكون الجزائر هي المكاد الذي أعيش فيه بصفة دائمة ، ومنها انطلق وأنحرك جسدي أو
من خلال وسائل الإعلام للدول العربية الأخرى .

كان علي أن أنص بالرئيس هوري بومدين لكي أخطره بما عزمته عليه . وكلي
أحصل على موافقته بأن أقم في الجزائر بعد أن أقطع كل صلة تربطني بنظام لسادات
ولكن كيف يمكن تحقيق هذا الاتصال بطريقة سرية لا تشعر بها مخابرات السادات ،
أو مخابرات الدول الأخرى التي تتعارف معه ؟ لقد كان أمامي حلين . إما أن أسافر إلى لندن
حيث أقابل السفير الاخصر الإبراهيمي سفير الجزائر في لندن الذي تربطني به صداقة منذ

ان كنت سفيراً في لندن . وإما أن استدعي أحد الأصدقاء الموثوق بهم من الجزائر ، لكي
أصله عن « نوبت عليه » ، ولكي يقوم بإبلاغ ذلك شخصياً وبدون أي وسيط ثالث إلى
الرئيس هواري بومدين . واخترت الحل الثاني . كان السيد عبد المجيد فريد يشغل منصب
أمين عام رئاسة الجمهورية في مصر أيام عبد الناصر وحتى مايو 71 . ولكن السادات قدمه
للمحاكمة ضمن من قدموا في مايو 71 وحكم عليه بالسجن ، ثم أفرج عنه بعد أن قضى
في السجن 42 شهراً . وفي عام 75 عينه الرئيس هواري بومدين مستشاراً في رئاسة الجمهورية
الجزائرية . كان عبد المجيد فريد زميل وصديق قديم فأرسلت له في أواخر 78 خطاباً مقتضياً
الحرثية . كان عبد المجيد فريد زميل وصديق قديم فأرسلت له في مارس 78 خطاباً مقتضياً
قلت له فيه « أرجو أن تحضر لمقابلتي في لشبونة حيث أن لدي رسالة هامة أريد أن أبعث
بها إلى الرئيس هواري بومدين » وفي منتصف أبريل اتصل بي عبد المجيد فريد من لندن ،
وأخبرني بأنه في طريقه إلى دمشق وبغداد وأنه سوف يمر علي أثناء رحلة لعودة إلى الجزائر .
وفي أوائل مايو حصر عبد المجيد فريد في لشبونة ، وأبلغته برسالتني إلى الرئيس هواري بومدين
واتفقت معه على كلمات كودية نستطيع أن نستخدمها أثناء حديث في التلفزيون ، بحيث
لا يستطيع من يسترق السمع أن يفهم وجود أي شيء غير عادي . واتفقت مع عبد المجيد
فريد على إجراءات محددة تتم خلال الجمعة عشر يوم التي تلي موافقة الرئيس بومدين .
وفي أول يونيو بلغني عبد المجيد فريد بكلمة السر التي تعني موافقة وترحيب الرئيس بومدين .

الخطوة :

كنت أريد أن يحدث إعلان مفاجئة بين وبين السادات ثراً إعلامياً كبير يكشف
طبيعة الحكم لأتوقراطي الذي يدرسه ، وفي نفس الوقت كنت أريد أن تتم الخطوات
النهائية نحو هذه المفاجئة في سرية تامة . كان تحقيق المطلب الأول يتطلب عقد مؤتمر صحفي
أقوم من خلاله بفضح اسادات ونظمه . ولكن أي مؤتمر صحفي نأصح بتطلب الإعداد
والإعلان المسبق عن مواعده وعن الموضوع الرئيسي الذي سوف يناقشه هذا المؤتمر الصحفي .
ولم يكن من السهل أن أعين عن مثل هذا المؤتمر لأن السادات لو شعر عش هذا الاحتمال
قبل وقوعه ولو بضع ساعات ، لأصدر أمراً بإقلائي قبل إقامة هذا المؤتمر حتى يبدو مؤتمري
الصحفي وكأنه رد فعل من شخص متورط أحاله السادات إلى التقاعد . إن في استطاعة السادات
أن يتم لأبرياء وأن يدعي أساساً بتصرفاته لاتع بصلة إلى الأسباب الحقيقية التي دفعته
إلى ذلك . لقد كنت أعرف عنه ذلك جيداً ولم أكن لأعطيه مثل هذه الفرصة . ومن هنا
قررت أن تبدء المواجهة ببيان يوزع على وكالات الأنباء على أن أعقد مؤتمر صحفياً بعد ذلك
ببومدين .

كذلك كان علي أن أستعد لسفر على مرحلتين : المرحلة الأولى وتمتد إلى حوالي 15 يوما ونشئ بإعلان البيان على وكالات الأنباء الأجنبية . والمرحلة الثانية وتمتد إلى بضعة أيام قليلة بعد إعلان البيان ونشئ معدني لشونة كانت المرحلة الأولى رغم ما يبدو من عتوها مليئة بالأعمال . وكان علي أن أقوم بهذه الأعمال بسرعة وبطريقة هادئة لا تلفت نظر أحد . إن احتمال قيامي بمعدرة الارتفاع في المستقبل القريب لقد كنت أشغل منصب سكرتير المركز الإسلامي في لندن وكان أمامي ثلاث مواضيع رئيسية أريد أن أنهي بها كان لدي حسابات مالية يجب أن يتم تجهيزها وحزرها استعدادا بعملية التسليم كنت أقارن مع بعض مهندسين معماريين والمحامي في سود العقد لدي سيكون أساس التعاقد بين المركز وبين من سوف يقع عليه الاختيار بناء بجامعة . وأخيرا فقد كان الجزء الثلاثين من القرآن الكريم الذي كتبه بالحروف البرتغالية - بعد أن أدخلت عليها 16 حرفا جديدا - في المطبعة وكان علي أن أراجع كلمة كلمة وحرفا حرفا كذلك كان علي أن أحضر الحسابات المالية الخاصة بالجامعة العربية كي تكون حاضرة للتسليم إلى من سيخلفني . ولم يكن كل ذلك لينتعي عن العمل الرئيسي خلال تلك المرحلة وهو تجهيز البيان وضعه ، وتحديد العدوين وأرقام التليفونات الخاصة بوكالات الأنباء الأجنبية في لندن

ولكي أختار اليوم مناسب لتوزيع البيان استعصت أيام الأسبوع . فوجدت أن يومي الاثنين والثلاثاء هما أنسب الأيام . وأن أيام الخميس والجمعة هي أسوأها وقررت أن أختار يوم الاثنين 19 يوليو لتوزيع البيان . وفي خلال ليلة من 2 - 18 يوليو كانت الأمور تسير في بحر ها لصيحي . دون أي تصرف من حايي قد يوحى لي كنت قد عرفت عليه فقد حصر حبيدي هشم وكريم يوم 6 يوليو لكي يقص بإجاعة الصيف معا لقد حصر الصغيران وحده على الطائرة من حيف حيث كنت أنا وزوجتي في استقبالهما بمطار نسيوة . على اتفاق مسبق مع والدتهما التي أركتهما من حيف . لقد اتصل بي من لندن أخ روحي وأخطرتني بأنه سيحضر لزيارتنا في شونة في 23 يوليو ، وأنه سيكث لدينا خمسة أيام فرحت بحصوره . لقد اتصل بي سفير الكويت في مدريد وأخبرتني بأنه سوف يوصل إلى شونة في أول يوليو . لكي يسلمني لشيك الحاضر بترع الكويت للمركز الإسلامي فقررت أن أقيم مأدبة عشاء على شرفه يوم 4 يوليو . وأصدرت الدعوات الخاصة بذلك . وبالإضافة إلى كل ذلك فقد حرصت رغم مشاغلي الكثيرة خلال تلك الفترة على ألا أقوم بالقاء أي ماسة اجتماعية كنت قد دعيت إليها أو دعوت أنا لحضورها . وفي يوم 16 يوليو كنت أقوم في مرلي حفل عشاء على شرف السفير التركي . الذي كان قد تقرر نقله إلى بلاده . وفي اليوم التالي كنا نحضر حفلا ساهرا في كازينو اشتوريل Estoril بدعوة من السفير الإيطالي المخ .

ولم أخبر على زوجتي :

في الساعة السابعة من صباح يوم الاثنين 19 يونيو ، تحرك سائق عربتي ومعه مظاريف مملئة لكي يسلمها إلى الجهات المحددة . وحوالي الساعة الثامنة والنصف كان قد عاد إلى المنزل لكي بأعطني إلى مكنتي بالسفارة . وقبل أن أغادر منزلي إلى السفارة أخبرت زوجتي بما فعلت فظهرت عليها آثار المفاجأة فقلت لها ماذا هناك ؟ ألم أقل لك أنني نويت على ذلك منذ أكثر من ثلاثة أشهر ؟ قالت بلى . قلت وألم أخطر بك أنني أحترت الجزائر وطناً ثانياً إلى أن يسقط السادات ونظمه ؟ قالت بلى . قلت أم أخطر بك أنني أرسلت مع عبد المحمد فريد رسالة إلى الرئيس مراري بومدين وأني في انتظار موافقته ؟ قالت بلى . قلت ألم نشترى سوياً علداً من الثمنط لكي نستخدمها عند السفر ؟ قلت بلى . قلت أي مفاجأة إذن في هذا ؟ قلت لم أكن أتصور أن يتم كل ذلك بهذه السرعة . كنت أعتقد أن ذلك سيحدث بعد نهاية الصيف . ماذا ستفعل بالصغيرين هشام وكريم ؟ قلت ها هذا موضوع بسيط جداً : سوف أنصل بولدتهما لكي تحضر لأحدهم فإذا تأخرت فسوف آخذهم معي إلى الجزائر . ومن هناك أقوم بنزحلهما إلى القاهرة . قالت ومماذا عن أخي سعد الذي سيحضر إلينا بعد أربعة أيام ؟ قلت لها سوف أنصل به تليومني في لندن وأخطره بالألا يحضر نظراً لتطور الموقف . لقد كانت أسئلة زوجتي تحمي ما تمسكها من خوف على أولادنا الذين يعيشون في القاهرة . وقد ظهر ذلك عندما قالت «سبتمم مك السادات في أولادك» فقلت لها «إنه لن يستطيع ذلك لأنه يعلم بأنني سأرد عليه بما يجرحه . لو أنني شخص عادي فعل ما تتصورين . ولكنه يعلم أن اسمي معروف على مستوى العالم العربي وبلدي . وأني أستطيع أن أحشد ضده الهيئات العربية ووسائل الإعلام المختلفة إذا هو ارتكب مثل هذه الحماقة . إني أعرف الآن شخصية السادات حق المعرفة . وأني أؤكد لك بأنه لن يستطيع أن يفعل أي إجراءات ضد أفراد عائلتي المير يعيشون في مصر . لأنها سوف تكون صفقة حاسرة بالنسبة له»

إذا نظرنا الآن للخلف وبعد مرور سنتين على هذه الحادثة وسترجعنا تصرفات السادات فإن هذه الحادثة وبعدها لا نصح ما شخصيه السادات الحقيقية . فعلى مدى أربع سنوات كان يحمي بأنني أنا المسؤول عن شرعة ندفوسوار . فلما أعتت المخافة وضح لي إمكاني أن أستخدم وسائل الإعلام الصديقة لي ارد عليه واتهامه هو بأنه هو المسؤول عن الشرعة وعن حصار الحبش الثالث . صمت السادات وصمتت معه جميع وسائل إعلامه لماذا ؟ لأنه يخشى المخافة الحرة . إنه يرفض النزول إلى حلبة المصارعة إلا إذا ضمن أن عريمه قد تم تقييده بالسلاسل (24).

انتشار الخبر عبر وسائل الإعلام العالمية :

في الساعة التاسعة من صباح يوم 19 يونيو كنت في مكنتي بالسفارة . وكنت بعض المكاتب التليفونية قد بدأت تصل إلى السفارة للاستيضاح عن البيان الذي كان قد تم توزيعه منذ ساعة . فقد تعلمت أن أكتب البيان على أوراق تحمل اسم السفارة لكي أؤكد أنني أصدر هذا البيان وأن لا زلت سفيرا لبلادي . وأن هجومي ينصب على السادات ونظامه وليس ضد مصر التي أحبا وأتني إليها وأعمل على تخصيصها من هذا الحكم الأوتوقراطي الفاسد لدي بسيطر عليها . كانت استفسارات وكالات الأنباء تقبل من أعضاء السفارة بوجوم وستغراب . وعندما وصلت إلى مكنتي بالسفارة جمعت أعضاء السفارة وأخبرتهم بما فعلت وطلبت اليهم ألا يردوا على أي مكالمات استفسارية بخصوص هذا الموضوع ، وأن يحولوها إلي حتى لا يتسبب ذلك في إحراج أي منهم

وقد كانت إذاعة B.B.C في لندن أول من اتصل بي من خارج البرتغال . وكان ذلك حوالي الظهر حيث أجروا معي حديثا مسجلا بالتليفون . وفي المساء عقدت مقابلاتين تليفونيتين في مكنتي بالسفارة . كانت إحدى هاتين على طلب التليفزيون البرتغالي . وكانت الأخرى بناء على طلب التليفزيون الأمريكي . وفي نهاية المقابلة التليفونية عنق المذيع الأمريكي مازحا وسوف يراك أقاربك هذه الليلة على شاشة التليفزيون في القاهرة . سوف نذيع هذه المقابلة بواسطة القمر الصناعي» فضحكت وقلت له «إنكم معشر الأمريكيين لا تدرون عما يدور في ظل نظام السادات . إن الإعلام المصري سواء كان تليفزيون أو راديو وجريدة لا يمكن أن يقول كلمة نقد واحدة ضد رئيس الجمهورية . إنني أرهك بأن أدفع لك 100 دولار إذا أذيعت هذه المقابلة وأن تدفع أنت لي دولارا واحدا إذا لم تدفع» فقال «لقد قمت هذا الرهان» وضحكا واقترقنا . وعندما قابلني مساء يوم الأربعاء أثناء حضوره للمؤتمر الصحفي الذي كنت قد دعوت إليه ، فإذا هو يخرج من جيبه دولارا ويقدمه لي ، ولكي شكرته واعتذرت عن قبول الرهان وقلت له لو أنني أخذت منه هذا الدولار فكأنني أسرفه ، لأي كتب متأكدا 100% بأن هذه المقابلة لن تعرض في القاهرة . واستفسر الحاضرون من الصحفيين عن قصة هذا الرهان فقص عليهم القصة ، فكان ذلك دليلا آخر على الديمقراطية الزائفة التي كان ينشدق بها السادات ، والتي كانت هي الهدف الرئيسي لبيان الذي قمت بتوزيعه يوم 19 يونيو .

وفي يوم 20 كان موضوع هجومي على السادات هو الموضوع الرئيسي في جميع وسائل الإعلام في العالم . وهنا قررت أن أدعو إلى مؤتمر صحفي مساء يوم الأربعاء 21 يونيو ، وقد

حضر هذا المؤتمر ما يريد عن خمسين شخصا ، يمثلون الصحافة والإذاعة والتلفزيون من مختلف بلاد العالم وبالرغم من هذا المؤتمر الصحفي ، فقد أخذ رجال الصحافة والإعلام بلاخفوي كل يريد أن يأخذ حديثا خاصا سواء عبر تليفون من كندا ، أو جنيف ، أو لندن ، أو باريس ، أو روما ، أو بواسطة مندوب حصر حصيصا لذلك من أوروبا أو من إحدى البلاد العربية . كنت أشعر بالهرج أمام شخص قطع آلاف الأميال ولكنه وصل إلى لشبونة بعد انتهاء المؤتمر الصحفي ، فأصطر إلى أن أجيب عن عدد من الأسئلة حتى لا أرده خائفا أمام رئيسه . واستمر الحال على ذلك حتى يوم السبت . ولكي قررت بعد ذلك أن أضع أمشا تاما عن مقابلة أي صحفي نظرا للإرهاق الشديد الذي أصابني خلال تلك الأيام الستة ، سواء عن طريق المقابلات الصحفية أو لأحاديث لتبعية

التصميم الإعلامي في مصر :

لقد كان موثقي يوم 19 يوليو مفاجأة تامة لسادات لا شك أنه كان يحسن في قرارة نفسه أنني سوف أقف صده يوما ما ولكنه لا بد وأنه كان يعتقد أن بوقت لم يحسن بعد وقد شعرت بذلك من خطاب له ألقاه خلال شهر أبريل 78 ونسب فيه أقوالا خاطئة لي . للرئيس هواري بومدين ومستشهد بي دون أن يذكر اسمي عندما قال «ويشهد على ديث رئيس الأركان لسابق وهو حي برزق» . لقد تعمد السادات أن يقبب المعلومة التي سبب لي الرئيس هواري بومدين رسا على عقب ، وذلك بتقديم حملة على أخرى وإضافة حرف أو حذف حرف . كان بوسعي أن أصحح ما يدعيه السادات سوء برد مباشر أو غير مباشر . ولكي فقتل الضمت لكي لا أفسد ما كنت أقوم بترتيبه .

وحتى مساء يوم الاثنين 19 يوليو لم يصل أي رد من من القاهرة ، وبين كانت جميع إذاعات العالم تتكلم عن هذا الموضوع ، فإن وسائل الإعلام في مصر لم تشر إلى هذا الموضوع بكلمة واحدة . كنت مدعوا إلى حفل عشاء يقيمه السفير الهندي على شرف السفير التركي الذي سينادر لشبونة قريبا . وعندما عدت إلى المنزل حوالي منتصف الليل وجدت بعض الصحفيين في انتظار ، وسمعت من أحدهم أن وكالة الأنباء الفرنسية أذاعت بأن وزير الخارجية المصري قد أمر بتوقيفي عن العمل . وسألني عما سوف أفعل فقت له لم يصني أي إخطار رسمي بذلك من القاهرة . وبني سوف أقوم بتنفيذ تعليمات القاهرة . فليس صمن حظي أن أفرض نفسي كسفير . وعموما فبني أتوقع من القاهرة أكثر من ذلك . وفي صباح يوم الثلاثاء وصت إشارة برقية من القاهرة بتوقيع الوزير إبراهيم كاس وزير الخارجية تنص هذه البرقية على توقيفي عن العمل . وقد أخطرت وزارة الخارجية البرتغالية بهذه البرقية وعلمتهم من سوف يكون قائما بأعمال السفارة والتزمت بيني إلى أن عذرت لشبونة يوم 28 يوليو (25).

وفي يوم 20 يونيو ظهرت الصحف المصرية ومعها كالعادة قصص ملفقة ومضحكة .
من أن وزير الخارجية صلب لاستثناء عن خدمتي . ومنها أن لورارة عرفت بأنني على اتصال
ببغدي وأنه وعدني بمصعب في الجيش أحصل منه على مرتب يوازي أصعاف مرتبي كسفير
وأني عندما علمت بأن لورارة تنوي حالي إلى المعاش قررت أن أسبقهم باتخاذ هذا الموقف
ومهم من تكلم عني بصفتي أنا المسؤول عن ثورة المدفوسين

وقع لخبر في دول الصمود والتصدي :

كما سبق أن قلت ، كانت لحرائر هي الدولة الوحيدة التي تعلم ببواياي . ولكنني
كنت متيقنا بأن وحدة الهدف التي تربط بيني وبين دول الصمود والتصدي سوف تدفع
هذه الدول إلى تأييد موقفي ، وأن تكون أول من يقف بجانبني . وهذا ما حدث فعلا . ففي
يوم الثلاثاء 20 يونيو اتصل بي السفير السوري في لندن والسفير العراقي في باريس ، والمشرف
على أعمال السفارة الليبية في لشبونة ، وحضرتي كل منهم على حدة بأنه قد وصلته تعليمات
من حكومته بأنهم يرجون استضافتي في بلادهم ، وأن عليه أن يقوم بإبلاغي بذلك وأن
يعرض علي خدماته ويقوم بتتميز كل ما أطلبه⁽²⁶⁾ وفي يوم الخميس حضر إلى لشبونة الزميل
مدر بوندوي سفير العراق في باريس ، وأخبرني بأن السيد صدام حسين نائب رئيس
الجمهورية العراقية قد أمره بأن يتحرك إلى لشبونة وأن يقيم بها ، ويضع نفسه تحت تصرفي
والأ يغادرها قط لا بعد أن أغادرها أنا .

كانت مبادرة العرق بإرسال السفير مدر بوندوي إلى لشبونة عملا ذكيا وذو فائدة
كبيرة . وقد وصل الزميل مدر في الوقت المناسب تماما . لقد أصدر السادات تعليماته بأن
أعادر سرري فوراً (المثل هو ملك للدولة المصرية) . وعندما أبلغني بذلك موظف السفارة
في صباح يوم الأربعاء ، قلت له إنني لن أنفذ ذلك وإني أحذر الجميع بأنني سأطلق النار
على كل من يحاول أن يدخل هذا المنزل بدون إذن مني . كنت أستبعد طبعاً أن يقوم السادات
بمغامرة شبيهة بمغامرة لارنكا Larnaku . ولكنني لم أكن أستبعد أن يبحث بمجموعة
من ثلاثة أو أربعة من الرجال ليفوموا بعملية إرهابية صدي . ولذلك كان من ضمن الخطة
التي تفقت عليها مع عبد المجيد فريد هو أن تقوم الجزائر بإرسال مجموعة تأمين . ولكن مجموعة
التأمين الجزائرية لم تكن قد وصلت بعد إلى لشبونة ، فطلبت مجموعة تأمين من الوندوي .
وفي اليوم التالي كان يعيش معي داخل المنزل أربعة رجال مسلحين من أبناء العراق لشقيق .
وقد استمررت هذه المجموعة في القيام بحراستي ليلاً ونهاراً إلى أن غادرت لشبونة . وفي يوم
الجمعة وصلت مجموعة تأمين أخرى من الجزائر بعد ساعات من استلام المجموعة العراقية

مهمة الحراسة . ولكنني وجدت من اللياقة أن تستمر المجموعة العراقية في العمل الذي كانت قد بدأت به فعلا ، على أن تقوم المجموعة الجزائرية بتأميني أثناء السفر من لشونة إلى الجزائر .

وبالإضافة إلى عملية التأمين التي قام بها العراق ، فقد كان وجود الرنداوي في لشونة هو المظلة الرسمية التي أصبحت استظل بها بعد أن زالت صفتي كسفير . حقا فإن الحكومة البرتغالية كانت كريمة معي إلى أبعد الحدود . ولم تتخذ ضدي أي إجراء أحق استجابة لعلاقات بين الدول وليست علاقات بين الأفراد . وإذا استعرضنا الماضي فإننا نجد أن هذه الحالات كانت إما أن تتم بأسلوب هادئ في البلاد التي تكون العلاقات بين الدولة المضيفة ودولة السفير جيدة . وإما أن تكون الاستقالة بأسلوب صاخب إذا ما كانت العلاقة بالحوء السياسي في تلك البلاد . أما بالنسبة لحوقي فقد كان الموقف قريبا وليس له مثل ذلك . إن البرتغال هي إحدى دول أوروبا العربية وعضو في حلف شمال الأطلسي الذي يؤيد ويشجع الخط السياسي للسادات ، الذي كان هو أحد الأسباب الرئيسية لقطع علاقاتي مع نظامه . ومن هنا فإن قيام البرتغال باتخاذ موقف أقرب ما يكون إلى تأييدي منه إلى الحجاب بيني وبين نظام السادات ، كان موقفا كريما ويرجع هذا الموقف إلى العلاقات الشخصية والإحترام المتبادل الذي كان يسود بيني وبين رجال الحكومة البرتغالية . وبالإضافة إلى ذلك فإن نشاط السفير العراقي ، ومن خلقه الحكومة العراقية كان له أثر لا يمكن إنكاره على الحكومة البرتغالية .

كانت ليبيا كما سبق أن قلت هي الدولة الوحيدة من مجموعة دول الصمود والتصدي التي لديها سفارة في لشونة . ومع أن هذه السفارة لم يكن بها غير فرد واحد ، إلا أن مجرد وجوده كان يجعلها أقدر من غيرها على القيام بالأعمال التي نحتاج إلى وقت طويل . لذلك فإن عبد ابلعي السيد محمد بشير الأوسطي ، أن لديه تعليقات من طرابلس بأن يتخذ كل ما يطلبه منه ، فأني طلبت منه أن يخلي إحدى الغرف في مكاتب السفارة لكي أنقل إليها ما أملكه من أثاثات وأمتعة خاصة . وفي اليوم السابق لرحيلي من لشونة حضر محمد بشير إلى منزلي حيث استلم جميع الأغراض ونقلها إلى السفارة الليبية . وبعد أن استقر في المقام في الجزائر تولت السفارة الليبية مشكورة نقل هذا الأثاث إلى منزلي في الجزائر العاصمة .

أمة عربية واحدة :

لم أشعر بحبوية ونبض الجماهير العربية كما شعرت بها خلال يوم 19 يونيو 78 والأيام التالية ، إلى أن غادرت البرتغال يوم 28 يونيو . كانت سماعة التليفون في مرلي لا تكاد تستقر في مكائها حتى نستمع إلى رنين جديد . ان تكريم وتمجيد من هم بالسلطة هو أمر عادي وليس يفرق علينا في مصر وفي دول العالم الثالث . أما تمجيد من يرفض السلطة ويتحد من المعارضة منبراً له ، فقد كان هذا هو المثير حقاً . لقد تلقيت مئات المكالمات التليفونية من أشخاص عاديين لا برطاني بهم أي معرفة أو صداقة سابقة . كان الانتساب إلى العرونة هو الرباط القوي الذي يجمع بيننا . كانوا عرباً من جميع أنحاء العالم العربي بن ومن المغرب منهم في البلاد الأوروبية والأمريكية . لم يكني الكثير منهم على مجرد التهتهة والتشجيع . بل أن بعضهم تجرؤ ذلك فكان منهم من يعرض علي منزله لكي يستضيفني ومنهم من يصنع نفسه وسلاحه في خدمتي الخ . كذلك سارعت الهيئات والسجان الشعبية بإرسال تأييدها . وكان لي مقدمها الأمانة الدائمة مؤتمر الشعب العربي والتي مقرها طرابلس .

السفر إلى الجزائر .

كان رجال الصحافة والإعلام في جميع أنحاء العالم يحاولون أن يعرفوا النولة التي سوف أتجنيء اياها . ولكي حرصت على ألا أعين ذلك لأحد . وقد سأني أحد الصحفيين عما أذاعته صحيف القاهرة بأنني سأذهب إلى ليبيا ، وأن العقيد معمر القذافي قد وعدني بمنصب مستشار أحصل منه على مرتب يعادل ثلاثة أضعاف مرتبي كسفير ، فضحكت وقلت له ان هذا عرض يستحق الدراسة . لم أكن أريد أن أؤيد أو أنفي أي خبر تذيبه الفهرة عن هذا الموضوع ، حتى أتركهم يسبحون في الظلام ويتبادوا في ضلالتهم ، إلى الحد الذي يجعل تراجعهم عما قالوا أمراً غير ممكن . وعندما أحتار الوقت المناسب لإعلان الحقيقة فإن وقعهم على الكاذبين والمناقضين يكون أشد قوة . وفي مرات أخرى ذكر الصحفيون اسم سوريا والعراق فلم أؤكد أو أنفي . وعلقت قائلاً : ان كل ذلك هو مجرد اجتهادات ذكية . فمن المؤكد أنني لن ألتجئ ، إلا إلى واحدة من الدول العربية الخمس التي اتخذت موقفا حاسماً وواضحاً من زيارة السادات إلى القدس ، لأن آرائهم وأفكارهم فيما يتعلق بالسياسة الخارجية تتعشى مع آرائي وأفكاري .

ولكي أثير بعض البلبلة حول وجهتي ، أرسلت جوازي سفري أنا وزوجتي ومعهما جوازي سفر الصغيران هشام وكريم (حفيداي) إلى السفارة البريطانية ، وطبعت تأشيرة دخول سياحية مع التوصية والرحاء بالألا ينسرب هذا الخبر إلى الصحف . وأسقط في يد السفير

البريطاني في لشبونة اللورد موران Lord Moran وبدلاً من أن يصدر هذه التأشيرة في دقائق أرسل إلى لندن ليستأذنها في هذا الموضوع . وأن الدبلوماسية الهادئة التي تتبعها لندن في مثل هذه الحالات هي الصمت فلا ترد بنعم أو لا واستمر الحال على ذلك حتى قمت بسحب جوازي سفري أنا وزوجتي مساء يوم الجمعة وذلك قبل بدء عطلة نهاية الأسبوع بدقائق . وفي يوم الاثنين 26 يونيو بعثت بحوري السفر إلى السفارة الأسبانية طالبا تأشيرة سياحية لمدة ثلاثة أيام فوافق السفير على هذا الطلب .

في يوم الأحد 25 يونيو أصدر لسادات القرار جمهوري رقم 272 بفصلي من العمل وفي نفس اليوم وصلت بنتي سامية إلى لشبونة لكي تصطحب ولديها . وفي اليوم التالي أحبرتني السفارة البريطانية بأن لندن وافقت على منح تأشيرة سياحية إلى الصغيران هشام وكريم . وفي يوم الثلاثاء سافرت انتي وولديها إلى لندن ، ومنها إلى القاهرة . وبسفر الصغيران لم يعد هناك أي مبرر لبقائي في لشبونة أكثر من ذلك .

السفر من لشبونة :

كان سفير سوريا في لندن وسفير ليبيا في مدريد على اتصال هاتفي دائم معي . وكان سفير العراق مقياً في لشبونة ويعمل على معدل مرتين على الأقل في اليوم الواحد ، بينما كانت مجموعة لعمل الجزائرية بقيادة المستشار عيسى بوشلاغم تعمل في صمت دون أن يشعر بها أحد . كان كل فريق يعمل دون أن يدري أن هناك آخرون يعملون ودون أن يراهم . وفحاة حضر إلى لشبونة بعد ظهر يوم الثلاثاء 27 يونيو كل من السفير السوري في لندن والسفير الليبي في مدريد واتصوا بي من فنادقهم هاتفياً بعمومني بحضورهم فدعوتهما لعشاء . وعلى غير موعد حضر السفير العراقي . وحضر أيضاً إثنان من مجموعة العمل الجزائرية فاستبقيتهما للعشاء . وهكذا وبدون أي ترتيب أو تحطيط نسائي اجتمعت دول الصمود والتمت حولي كعمش للصمود المصري لقد شاء القدر أن يسجل الصمود العربي في صورة تذكارية بيثت للعالم كله أن هذا الشعب العربي لن يموت أبداً ، وأنه سوف يصمد أمام كل التحديات ويقهرها بصلابته وقوة إيمانه . وعندما جئت لعشاء كد تسعة رجب من خمس دول عربية هي مصر والجزائر والعراق وسوريا وليبيا ، ومعاً سيدة وحيدة هي زوجتي وقبل أن ينصرفوا كنت قد أخطرتهم بأنني سأسافر صباح اليوم التالي إلى مدريد وشكرتهم على تعاونهم وطلبت منهم أن يبلغوا شكري إلى حكوماتهم . وأنه مهما كانت أبعاد التي سوف أذهب إليها فإن ذلك لن يقلل أبداً من تقديري وحيي للآخرين . وقد أصر السفراء على مرافقتي إلى المطار ، ولكني شكرتهم وأقنعتهم بعدم ضرورة ذلك . أما السفير العراقي فقد قال « بك لن تستطيع أن تقنعي بعدم الذهاب إلى المطار لأنني سوف أسافر على نفس طائرتك إلى مدريد » .

في صباح يوم 28 تحركت إلى مطار شبونة ، وكان يرافقني السفير العراقي ومجموعة العمل الجزائرية ومجموعة التأمين العراقية . كانت مسؤولية مجموعة التأمين العراقية تنهي بدخول المنطقة الجمركية ، حيث تصحح الحراسة بعد ذلك وإلى أن نصل إلى الجزائر هي مسؤولية مجموعة التأمين الجزائرية . وكانت الوثائق الهامة التي أحشى عليها قد وضعتها في حقيبة تم تجهيزها بأختام الحكومة الجزائرية . وحملها المستشار بوشلاغم لكي تعامل وكأنها حقيبة دبلوماسية تتمتع بجميع الحصانات الدبلوماسية . وفي أثناء ركوبنا الطائرة أخبرت الزميل مدير الوندأوي بأن وجهتي بعد الوصول إلى مدريد هي الجزائر . وأوضح لي أنني كنت قد رمت ذلك الموضوع مع الحكومة الجزائرية منذ وقت طويل وكررت شكره له ولحكومة العراقية على كل ما قامت به من أعمال .

وفي مطار مدريد كان هناك مشهد آخر من مشاهد التضامن العربي فقد كان في استقبالي في المطار ممثلي دول الصومال في مدريد . وبعد أن قُضِيَ في مطار مدريد أكثر من ساعتين ، أقلعت بنا الطائرة الجزائرية متجهة إلى الجزائر ، الهدى العربي الذي أحترته لكي يكون وطني الثاني ، وقاعدة كفاحي ضد نظام السادات ، قُوبِلت في الجزائر بالترحيب والحب والتقدير الذي كُنت أنتظره من هذا البلد الثوري المضيف .

البَابُ الرَّابِعُ

الحياة الاجتماعية والسياحة

الفصل الرابع عشر الحياة الاجتماعية في بريطانيا

لم تكن الحياة في بريطانيا كلها شدة وكفاح ، ولكنها كانت مريحا من الكفاح ولاستناع بالحياة الاجتماعية الراقية . فهناك حفلات اشي والحفلات الساهرة المحمة التي تقيمها المذكة وتدعو اليها السفراء وعلية القوم . وهناك حفلات فتح البرلمان . وهناك حفلات سباق الخيول في الأسكوت ASCOT الذي نمتحه الملكة في شهر يونيو من كل عام . وهناك حفلات سباق القوارب التي تجري في هيلي Henley Regatta في يوليو من كل عام . وهناك موسم صيد الخراوس grouse الذي يفتح احتفارا رسميا في اسكتلندا يوم 12 أغسطس من كل عام . وهناك المواسم الأخرى لصيد طائر الفيزانت pheasant وصيد الثعالب وصيد الغزال الح . وبكل موسم احتفالاته ومهرجاناته . وبالإضافة إلى ذلك هناك حفلات العشاء التي يتبادلها السعراء وكبار رجال الدولة ورجال السياسة والأعمال حتى لا يكاد يحلو السفير ليلة واحدة دون أن يكون مدعوا أو داعيا لحفل عشاء . وبالرغم من أن هذه اللقاءات الاجتماعية كان يتم خلالها الكثير من المفاشات السياسية ، إلا أن ذلك لا يمكن أن يقلل من الخوايب الترفيهية التي كانت تشغل في تلك الاحتفالات .

كان الصيد هو هوايتي . وقد كان ممارسة هذه الهواية في بريطانيا أمرا ميسورا ومشحا بشكل قل أن يتوفر في أي مكان آخر . ففي موسم الشتاء كنت أقضي عطلة نهاية الأسوع في صيد pheasants ، وفي صيف كل عام كنت أقضي إجازتي في سكوتلندا حيث أنارس صيد grouse والعرا stag وبالرغم من أن هذه الهواية كانت تعرض علي أن أستيقظ مع طلوع العجر وأن أسير مترحلا على أرض وعرة لمسافة 10 - 15 كيلومتر في اليوم . إلا أنني كنت أحد متعة كبيرة في تلك الأيام التي أقضيها في الصيد . لكي تنسني

تلك لحياة المكينة المأدبة التي كنت أعيشها كسفير ، والتي لم تكن تتناسب مع مرامي ومبوني . وللصيد في بريطانيا قوانينه وتقاليد وقبوده التي يلتزم بها الجميع . فلكل جماعة تخرج للصيد قائد تلتزم الجماعة بتنفيذ أوامره . فهو الذي يصدر الأوامر بالاستعداد للإطلاق البيران ، وهو الذي يصدر الأوامر بإيقافه . وهو الذي يحدد لكل صياد مكانه . وهو الذي ينظم عملية الانتقال من مكان إلى مكان آخر الخ . كانت رحلة الصيد أشبه ما تكون بوحدة عسكرية صفرى تقوم بتنفيذ مهمة قتالية تحت قيادة قائد مجرب .

صيد الفيزانت Pheasants

تكون جماعة الصيد من حوالي عشرة أفراد . ويقوم قائد الجماعة بتوزيع الجماعة في خط متشربفاصل 50 ياردة بين كل صياد . وتكلف مجموعة من الأفراد يطلع عددهم 10 - 20 فرد بدفع طيور الفيزانت في اتجاه الصيادين . ويطلق على هؤلاء اسم الدقاقين The beaters . ويعمل هؤلاء الدقاقين تحت قيادة واحد منهم . ويتقدم هؤلاء الدقاقين في خط متشربفاصل 25 - 50 ياردة بين كل منهم . ويقومون باستخدام العصي في ضرب الحشائش أثناء مرورهم بها لكي يفزع الطير الذي يكون محظيا في الحشائش ، فيطير في اتجاه الصيادين . وعادة يكون كل دقاق مسؤول عن تفتيش منطقة عرضها 25 - 50 ياردة وذلك طبقا لعدد الدقاقين وعدد الصيادين وبدأ الدقاقين عملهم من مسافة تبعد حوالي 3 ميل ، ويستمررون في دفع الطير الختبة في الحشائش . وعندما يقترب الدقاقون إلى مسافة 100 ياردة ، يصدر قائد الجماعة الصيادين وأمره بإيقاف الصرب . ويردد أوامره بصوت عال كل من يسمعه من الصيادين وذلك لضمان سماع الأمر وتلقيه بواسطة جميع أفراد الجماعة .

ولكل ضارب منطقة محددة لا يجوز له أن يتعداها وتحدد بحوالي 25 ياردة ذات النجى وحوالي 25 ياردة ذات اليسار ، أي منتصف المسافة بينه وبين جيرانه في الجماعة ويصرح للضاربين باستخدام البنادق ذات حرطوشتين فقط . ولا يسمح بالبنادق ذات الحرة والتي تستطيع ان تعمراكثر من ذلك ولا يجوز للصيد أن يطلق بندقيته على الطائر الذي يطير على ارتفاع واطي إذا كان خط التشن على الطائر يشكل زاوية مع سطح الأرض نفل عن 45 درجة وذلك حتى لا يصاب احد من الدقاقين وينتهي الشوط الأول بوصور الدقاقين إلى منطقة انضاريين ثم بدأ معد ذلك التحضير للشوط الثاني فينتقل كل من الضاربين والدقاقين إلى أماكن جديدة وبدأ الشوط الثاني في المبعاد المحدد وينعس الأسلوب السابق وعدة يتم أربعة أو خمسة أشواط في اليوم . ويتواجد مع كل صياد مساعد وكلب مدرب فأب المساعد فلكي يساعد الصياد في تعبير البندقية وفي المراقبة ، وأما الكلب فلكي يحصر

الطائر بعد صطيده ، وبذلك لا يترك الصيد مكانه طوال فترة الشوط وتبرز أهمية الكلب في حالة ما إذ كانت إصابة الطائر إصابة سيئة قاتلة ، ونسمح له بالتحرك والهروب داخل الحشائش والأحراش . حينئذ يأخذ الكلب في تتبع آثاره إلى أن يقبض عليه ويحضره إلى الصياد . ويفرض قائد الجماعة على الصيادين احتياطات أمن مشددة أثناء فترات الضرب ، وأثناء فترات الراحة . ويشمل ذلك أسلوب حمل البندقية وأسلوب التعمير والتفريع الح . ونتيجة لذلك فإنه من السادر جد أن تقع أي إصابة بطريق لحظاً خلال موسم الصيد . وتبدو أهمية هذه الإجراءات الأمنية إذا علمنا أن ليوم الأول من موسم لصيد في البرتغال عام 1976 أصيب فيه ثمانون شخصا . كنا نخرج لصيد طيور الفيرانت pheasants في شهر يناير وفبراير ، حيث يكون الجو بارداً والسماء ممطرة وراضي الصيد موحلة . وكنا نقضي اليوم بطوله في أحضان تلك الطبيعة التي قد لا تعجب الكثيرين ، ولكن كانت بالسبة لنا تبدو جميلة وفاتنة . وفي المساء كما نعود من الغابة إلى حيث نغسل ونستبدل ثيابنا المبتلة ، وأحدثنا القدرة لمطخة بالطين . ونستف حول اندفأة حيث نأكل ونسامر عما أصناه من صيد وما حققناه من متعة .

رحلة صيد إلى سكوتلاندا :

مُ حصل على أي إجازة سوية خلال العشر سنوات السابقة ، فقد كانت آخر إجازة سوية حصلت عليها في صيف عام 1963 عندما كنت متحقاً حريباً في لندن . وفي خلال تلك الإجازة التي مدت أربعين يوماً - والتي تعتبر أطول إجازة حصلت عليها طوال مدة خدمتي في القوات المسلحة - قمت بزيارة فرنسا وإيطاليا وسويسرا ولسم وألمانيا وفيها بين عام 64 وعام 73 لم أحصل قط على أي إجازة سوية . كنت أحصل فقط على إجازات متقطعة تتراوح بين ثلاثة أيام وخمسة أيام . ولكن هذه الإجازات المتقطعة لم تكن قط من النوع الذي يسمح للفرد بالاسترخاء وسياح مشاكل العمل . لذلك فقد كنت أنتظر صيف عام 74 لكي أقوم بإجازة طويلة كما ينتظر لطلاب انتهاء لسنة دراسية . كنت أحلم بإجازة لا يعكرها أي محادثة محادثة تليفونية رسمية . كنت أتذكر تلك الساعات التي كنت أقضيها على شاطئ البحر في لاسكندرية بينما رين حرس التليغون يهدد ويبدد سعادتي من وقت لآخر ؟ كنت أمني نفسي برحلة كذلك التي قضيتها عام 63 . ولكن كيف وقد تغيرت الأحوال ؟ لقد كان معي في رحلة عام 63 ، زوجتي وابنتاي سامية وهايد ، وكنا نعيش نحن الأربعة في كرفان مجره بعمرتنا . كنا نعيش عيشة المعسكرات ونعتمد على أنفسنا في كل شيء . نطهو طعامنا ونغسل ثيابنا . كان لكل منا عمل يقوم به لخدمة الجماعة . وكان كل شيء

يتم في نظام دقيق وبسرعة وكفاءة . كانت خدمة المعسكر لا تأخذ منا أكثر من ساعتين في اليوم . وكنا نقضي بقية اليوم في النهو والمرح . كنا تنتقل من مكان إلى مكان آخر حسب خطة موضوعة . ولكنها كانت خطة مرنة تسمح لنا بزيادة مدة بقائنا في المكان الذي يعجبنا ، أكثر من المدة التي قدرناها في الحطة ، وذلك على أساس اختصار هذه المدة من أماكن أخرى . لم تكن الفنادق تنحكم في مدة إقامتنا . فقد كان فندقنا المتحرك يسمح لنا بأن نضرب معسكرنا حيث نشاء . وقد أتاحت لنا هذه الرحلة أن نفعل الكثير ، وأن نرى الكثير ، وأن نتعلم الكثير . كنا سبيع وننزه في شواطئ نيس Nice ، كان Canne في فرنسا وفي شواطئ لوجانو Lugano (سويسرا) ، كومو (إيطاليا) . كنا نتسابق في طلوع جبل في إينزبروك Innsbruck (النمسا) ، جارميش Garmisch (ألمانيا) . كنا نعب جمال الألب فوق طريق جبلي ذات ميول حادة وانحدرات صعبة يشرف الجبل على أحد جوانبها ، فيما يطل الجانب الآخر على هوة سحيقة . كان انكرفان يهتر ويتأجج خف العربة فيثير انفزع في نفس زوجتي بينما يثير الصبح والتعليقات الفكاهية من سامية وناهد كنا نتجول في العابات والقرى . ولكنا أيضا لم نتخل عن زيارة المدن الكبيرة حيث الآثار والمتاحف وأماكن اللهو والتسلية . كنا تنتقل بين مطعم ومقهى باريس وروما وجنيف وفيينا وميونخ وبرلين الشرقية وبرلين الغربية . كانت رحلتنا تجمع بين الثقيف وبين اللهو والمتعة . وقد استمتعنا جميعا بكل يوم وكل ساعة في هذه الرحلة .

كانت رحلتنا عام 63 تحمل ذكريات جميلة مما دفع زوجي إلى أن تلح علي أن تقوم برحلة مشابهة في صيف عام 74 ، ولكي أقنعها بأن مرور 11 سنة على هذه الرحلة قد أدخل تغيرات جديدة تجعل إمكانية تكرارها أمرا غير ممكن . لقد تزوجت سامية وناهد ، وبدونهما سوف تزداد أعباء خدمات المعسكر علينا . وبالإضافة إلى ذلك فإن متطلبات الأمر كانت تعرض علي أن أكون أكثر حذرا وهكذا اتفقت أن وزوجتي علي أن يستعد استخدام الكرفان في إجازتنا عن عام 74 . ولكنا لم نستطع أن نقوم بإغراء السفر بالسيارة بدلا من القطارات ولطائرات التي لا تتيح متعة السياحة بالسيارة .

حصلت على إجازة لمدة ثلاثة أسابيع نبدأ من يوم الاثنين 26 أغسطس 74 . وقعت بعمل الترتيبات اللازمة لكي أقضي أسبوعا في صيد الجراوس grouse في سكوتلندا ، وأن أقضي الأسبوعان الآخرين في السياحة ما بين إنجلترا وسكوتلندا ولتحقيق أكبر قدر من السياحة قررت أن ألتخب طريق الذهاب من لندن إلى منطقة الصيد بحيث يسمح لي بزيارة أكبر عدد ممكن من الأماكن السياحية ، وأن أترك عند عودتي طريقا آخر يتيح لي فرصة زيارة أماكن أخرى لم يتمكن من زيارتها أثناء رحلة الذهاب

وفي صباح يوم الأحد 25 أغسطس بدأنا رحلتنا السياحية من لندن في اتجاه سكوتلند
وفي خلال تلك الرحلة قضينا ثلاثة أيام في وندرمير Windermere في منطقة البحيرات
حيث المناظر الطبيعية الخلابة . وقضينا يومين في جلاسكو Glasgow
حيث المصانع واندخن ، التي ينبعث منها الدخان الأسود فيبث الهواء ، ويصعق مائي المدينة
باللون الأسود الذي يقبض لنفوس . أما اليومين الأخيرين ، فقد قضينا في ادنبرا
Edinburgh عاصمة سكوتلندا حيث القصور والشاحف والقلاع التاريخية . وحيث
يتمتع فيها جمال الطبيعة بمناظرها الخلابة وجمال المدينة عباها الأنيقة وحوبيتها الكبيرة
وشوارعها الواسعة النظيفة .

وفي عصر يوم الأحد 1 سبتمبر وصلنا إلى فندق Raemoir Hotel الذي يقع على
بعد حوالي 40 كم من أبردين Aberdeen في شمال سكوتلندا . ويقع هذا الفندق في
مكان منعزل وسط الغابات ، ويعتبر مركزا هاما لاستقبال هواة الصيد في موسم الخطة
كنت أول من حضر من مجموعتنا إلى الفندق وقادني رجل الاستقبال إلى عرقي حيث
وجدت بها الجدول التفصيلي عن نظام الصيد ، وتوقيتات التحرك ، وبوليعة تأمين على
الحياة ضد حوادث الصيد خلال فترة الصيد الخ . كان الفندق يشغل أحد القصور القديمة .
وقد أدخل عليه بعض التحسينات الحديثة مع مراعاة الإبقاء على الطابع الأثري القديم
للمبنى ، حتى خيل لي وكأنني أعيش في أحد قصور القرون الوسطى

كانت مجموعتنا تتكون من 15 صياد . وتحركنا في الصباح الباكر من يوم الاثنين
إلى المناطق المحددة للصيد ، تاركين الزوجات في الفندق حيث كان قد تم إعداد رحلات
سياحية وترفيهية لمن لكي تشغلهن طوال فترة غياب بالخارج . كانت الرحلة إلى منطقة الصيد
رحلة شاقة حقا . فكنا نركب عربات الجيب فوق أراضي صخرية ، وعبر الأراضي حيث
لا توجد أي طرق ، وكان يرافق كل صياد دليل اسكتلندي ومعه أحد كلاب الصيد لمربية
وقد قضينا يوما ممتعا للغاية . وعدت إلى الفندق في المساء لأجد مدير الفندق في انتظار
ليبلغني بأن السفارة المصرية في لندن قد اتصلت بالفندق أكثر من مرة ، ولها كانت تريد
الاتصال بي لأمر هام وعاجل . اتصلت بالسيد القائم بالأعمال تليفونيا فعلمت من أن وزارة
الخارجية المصرية قد أرسلت إليهم برقية تطلب فيها حضورني إلى القاهرة على وجه السرعة .
وقرأ لي نفس البرقية التي وردت إلى السفارة حيث لم يرد في سبب هذا الاستدعاء المفاجئ .
لم يكن هناك أي سبب يدعو القاهرة إلى أن تستدعي سفيرا في لندن من إدارته السرية
سوى حديثي مع الطلبة العرب يوم 12 أغسطس الماضي . أخذت أضحك وزوجتي نصرب

كف على كف وهي تقول «إني أفهم أن يستدعوك وأنت رئيس أركان حرب القوات المسلحة . وقد تعودت على ذلك . أما أن يستدعوك من الإجازة وأنت سفيراً فهذا أمر لا أفهمه .

لم أنحصر أحداً بأني نويت العودة إلى لندن في صباح اليوم التالي . ولكنهم علموا بذلك ونحن نتناول طعام الإفطار صباح يوم الثلاثاء . كانوا جميعاً بلبسون ملابس الصيد بينما كنت أنا بملابس السفر . اعتذرت إليهم وودعهم ثم بدأت رحلة العودة إلى لندن حوالي الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء .

كنت المسافة بين الفندق الذي أقيم فيه وبين منزلي في لندن 1000 كم وكنت أنوي أن أقطعها في يومين . وعندما قطعت منتصف الطريق حاولت البحث عن فندق للمبيت به ولكني لم أوفق في ذلك . إن جميع الفنادق في هذا الوقت من السنة تكون مكتظة بنزلاتها . ويندر أن يجد المرء غرفة شاغرة ، ما لم يكن قد قام بحجزها قبل ذلك بعدة أيام أو بعدة أسابيع . كنت أبحث في كل مدينة وكل فندق أمر به عن غرفة خالية فلا أجد ، فاستمر في السير . واستمر الحال على ذلك إلى أن وصلت منزلي في الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء 4 سبتمبر بعد رحلة شاقة ومضنية . وهكذا انتهت إجازتي السوية عام 74 بعد تسعة أيام فقط .

سبق أن ذكرت في الفصل الثالث بالتفصيل كيف تم التحقيق معي حول حديثي مع الطلبة العرب . وكيف رفضت إصدار تكذيب عما نشرته جريدة السفير حول هذا الموضوع وكيف عدت إلى منصبني في لندن بعد ذلك رغم الانتقادات اللاذعة التي كنت قد وجهتها إلى نظام السادات . وإني أستمع للقراء في ألا أعود إلى تكرار ما كتبه حتى لا أعكس على القارئ الذي يريد أن يستمتع فقط بالحياة الاجتماعية ، دون أن يصاب بملحد الحياة السياسية .

الرحلة الثانية والأخيرة داخل بريطانيا :

لقد صدر قرار نقلي إلى البرتغال في 16 مايو 75 كما سبق أن قلت . كانت البرقية المذكورة تقول «تقرر تعيينكم سفيراً لمصر لدى البرتغال على أن يكون تنصيبكم النفل فور الحصول على موافقة الحكومة البرتغالية . نرجو طلب موافقة حكومة المملكة المتحدة على ترشيح السيد السفير محمد سميح أنور سفيراً لمصر لديها» . وفي 28 مايو وصلتني برقية أخرى تقول بأن الحكومة البرتغالية قد وافقت بتاريخ 26 مايو على ترشيحي سفيراً لديها . وأن الوزارة ستوافيني بأوراق الاعتماد فور صدورهما . كان هذا يعني أن القاهرة منلهفة على أن أعاد بريطانيا في أسرع وقت . وأن أتوجه مباشرة من لندن إلى لشونة دون ما حاجة إلى أن أعود إلى القاهرة للشاور قبل استلامي لمنصبي الجديد كما جرى العرف بذلك . لم يكن هناك

سبب وجبها واحد يدعو إلى هذا الاستعجال . اللهم إلا رغبة السادات في إبعادي من لندن في أسرع وقت ممكن ، بعد أن اتضح له أن وجودي هناك أصبح من الأمور التي بات لا يستطيع أن يتحملها . ومن هنا قررت ألا أتعجل الأمور ، إنني أحتاج إلى شهري يونيو ويوليو لتصفية أعمالي والاستعداد للسفر . وأحتاج إلى شهر أغسطس كإجازة سنوية . وبالتالي فقد قررت ألا أسافر إلى البرتغال إلا في أوائل شهر سبتمبر 75 .

كان آخر عمل رسمي قمت به هو مقابلة الملكة . ففي الساعة 12,40 يوم 31 يوليو استقبلتني الملكة إليزابيث حيث قمت بتوديعها بمناسبة انتهاء خدمتي بالملكة المتحدة . وفي يوم السبت 2 أغسطس بدأت الإجازة التي كان مقررا ها أن تمتد ثلاثين يوما . كانت هذه هي آخر إجازة أقضيها في بريطانيا ، ولذلك فقد قررت أن أشاهد فيها أقصى ما يمكن مشاهدته خلال تلك الفترة المحددة .

لقد زرت ويلز Wales وعرفت كيف يعتز شعب ويلز بقومته ولغته التي تختلف اختلافا كبيرا عن اللغة الإنجليزية ، حتى يكاد يخجل للمرء أنه في بلد أجنبي . إنني لم أشعر قط وأنا في اسكتلندا بأني أمام شعب يختلف عن الشعب الإنجليزي . إنهم يتكلمون بالإنجليزية ، ولكن ب لهجة مختلفة سرعان ما يتعود عليها الغريب . أما في ويلز فلامر مختلف تماما . إنهم يتكلمون لغة تختلف تماما عن اللغة الإنجليزية بل وتختلف بعض حروفها عن الحروف الإنجليزية في الكتابة والنطق . وأنه لمن المألوف أن يقابل المرء الكثيرين ممن لا يعرفون شيئا عن اللغة الإنجليزية وقد دربا بانجور Bangor . كبرنارفون Caernarvon ، مصايق ميناي Menai Straits وحدائق سوديبيا Snowdonia National Park . وفي كبرنارفون زرن حصن العتيق الذي بني عام 1248 ، والذي يتم فيه نصيب ولي عهد بريطانيا بصفته أمير ويلز Prince of Wales

ومن ويسر ذهبنا إلى ليفربول حيث ركبنا المعبدة التي نقلتنا إلى جزيرة ايل أوف مان Isle of Man . وهي جزيرة صغيرة تقع بين الجزيرة البريطانية والجزيرة الإيرلندية . تبعد عن ليفربول 75 ميلا تقطعها المعبدة في أربع ساعات . وتعتبر الجزيرة مهيجا مناسب لطلاب الهدوء والراحة ، حيث لا جلبة ولا ضوضاء ولا مصانع ولا ازدحام . ورغم أن مساحة هذه الجزيرة هي حوالي 300 ميل مربع ولا يسكنها سوى بضعة آلاف فقط ، إلا أن لها عملتها الخاصة ومصرفها الوطني الخاص .

ومن ميناء دوجلاس Douglas في جزيرة ايل أوف مان ركبنا المعبدة مرة أخرى إلى ليفربول حيث استأنفنا الرحلة إلى اسكتلندا . وكما توقعنا في شمال اسكتلندا ، كما

اختفت الطرق الحيدة وحل محلها طرق ترابية ضيقة . ان يد الإنسان لم تسرف في تغيير معالم الطبيعة في شمال سكوتلندا . ان الطبيعة لارالت يكرها لم تفسدها الحضرة والمدنية أراضي واسعة وأناس قليلون ، مياه جارية ، جبال مختلفة ألوانها ، بحيرات هادئة ، غابات كثيفة ، مراعي شاسعة تمرح فيها قطعان الماشية ، طرق ترابية ضيقة . ان فيها كل ما يشبه الإنسان من جمال الطبيعة . كنت أقطع بالعربة عشرات الكيلومترات دون أن أقابل أحد أو ألحق بأحد . وفيما عدا العربة التي ركبها والتي كانت تذكرنا بأننا في أواخر الربع الثالث من القرن العشرين ، فقد كان كل ما حولنا يؤكد وكأن شئ لم يتغير منذ بضع مئات السنين . كنت أشعر بسعادة عامرة وأنا أقود عرأتي وسط هذه الطبيعة الغائنة . ومع أن زوجتي تحب الطبيعة وتذوق الرسم والجمال أكثر مني ، إلا أن الوحشة التي كانت تحيط بنا كانت تبعث الرهبة في نفسها فلا تكاد تستمتع بمنظر حتى تصرخ أو تكتم أنفسها ونحن عر فوق صريق ضيق يصل أحد أحنابه على هاوية ، ثم تثير أممي كل ما يحول يحيطها من أسئلة مرعبة . «ماذا لو تعطلت بها العربة ونحن بعد حوالي خمسين كيلومتر من أقرب مدينة ؟ ماذا لو خرج علينا بعض قطاع الطرق ؟ لنح . كنت إحتاتي بأن لدي السلاح واحتياطي من الطعام نظمناها بعض الشيء ولكنها لم تكن لتمحو كل الخوف لدي كانت تشغره

وأخيرا وصلت إلى انفرجاري Invergarry والتي تقع على مسافة حوالي 250 كيلومتر شمال جلاسجو ، وكان ذلك يوم الاثنين 11 أغسطس . كان هدفي من اللقاء في انفرجاري هو صيد الجراوس grouse والسياحة . كنت أخرج لمصيد مع اجماعة يوما ثم أخرج مع زوجتي لسياحة يوما آخر . وفي خلال تلك الأيام زرنا جميع الأماكن السياحية في المنطقة بدءا ببحيرة نيس Loch Ness التي يحكي الأسكتلنديون عنها قصصا أسطورية ، وحتى بحيرة الش Loch Alsh التي عبرنده بالمعدية لكي نزرر جزيرة سكاي Island of skye . وفي مساء كل يوم ، كان يجتمع نزلاء الفندق وكنهم من هواة الصيد الذين جاءوا إلى هذا المكان الثاني ليمارسوا هذه الهواية . وبدور الحديث بينهم في شتى المواضيع ، ولكن موضوع الصيد كان يستحوذ معظم اهتمامهم .

وفي Invergarry مارسنا الصيد بأسلوب يختلف عن الأسلوب الذي مارسناه في العدم الماضي . لم يكن هناك دفاقين Beaters ليدفعوا الطيور اليه بينما نفنف نحن الصيادون في انتظار مرورها فوق رؤوسنا . بل كنا نسير نحن وسط الأراضي التي تعطيا الحشائش لكي يبحث عن الجراوس الذي نخشي بينها . وأن هذا النوع من الرياضة يحتاج إلى كفاءة بدنية عالية حيث يقضي الصيادون اليوم بطوله وهم يسبرون وسط هذه الحشائش . كنا نعتمد على الكلاب المدربة في تحديد المكان الذي نخشي فيه الطيور . وهناك حركات

معبية يقوم بها الكلب المدرب للفت نظر الصياد . فمن حركات الذيل والأذنين والقدمين الأماميين للكلب يمكن تحديد اتجاه الفريسة والمسافة التي تفصلها عن الكلب . وكلما كانت الكلاب شبيطة في الجري والبحث خلال الحشائش كلما استدعي ذلك من الصيادين الجري وراء الكلاب لملاحقتها والاقتراب من الطيور قبل أن تفرغ وتطير خوفا من الكلاب .

وفي أحد الأمسيات كنا نتحدث عن شؤون الصيد ونطرق الحديث بيني وبين مدير الفندق الكابتن هانت Cap.L.C.Hunt حول صيد ذكر الغزال Stag . لم يكن في خطتي أن أخرج لصيد الغزال ولم يكن لدي البندقية الخاصة بهذا النوع من الصيد ، ولكن الكابتن هانت أبدى استعداداه لتدبير البندقية والذخيرة اللازمة إذا ما أنا رجعت في الخروج لصيد الغزال . كنت أعلم أن هذه قد تكون آخر فرصة لي لكي أحضر من اسكوتلندا ففكرت ألا أضيع الفرصة وطلبت إليه أن يقوم بعمل التحضيرات اللازمة .

وفي يوم السبت 16 أغسطس بيما كانت جماعتي تخرج إلى صيد grouse . كنت أنا وحدي أخرج لصيد ذكر الغزال . كان يرافقني دليلين ويطلقون عليه في اسكوتلندا لقب gillie . لقد حملتنا سيارة جيب حتى سفح أحد الجبال ثم انصرفوا وبدأت أنا ورفيقي نصعد الجبل حوالي الساعة الثامنة صباحا . وبعد أربع ساعات من الصعود لم نصادف فيها أي أثر للغزال ، نهت صاحبي إلى أنه سوف نحتاج إلى أربع ساعات أخرى أو أقل قليلا لكي نعود إلى حيث بدأنا الصعود . ولكنه طمأنني أننا على وشك أن نصل إلى هدفنا وبعد حوالي ربع الساعة اكتشف أثر الغزال . وبدأنا نرحف على بطوننا وكأننا نقرب من موقع للعدو يحتله قوم عن درجة عالية من البقطة . كنا نقرب اليهم من تحت الريح حتى لا يشموا رائحتنا . وكنا نرحف على بطوننا حتى لا يرونا وقد استطعنا بذلك أن نقرب إلى مسافة حوالي 270 مترا من بعض أفراد القطيع بضم أكثر من خمسين غزالا . لم يكن من الممكن أن نخدع القطيع أكثر من ذلك فقد اكتشف وجودنا وبدأ بحركته بطيء . وهذا كان يجب علي أن أتصرف بسرعة قبل أن تفلت الفرصة . صوبت بسديتي نحو أحد أفراد القطيع وأطلقت النار . ورايته من خلال تسكوب البندقية وهو يعرج ثم ينجني خلال الحشائش العالية . وفرغ جميع أفراد القطيع وهربوا بعيدا عما . قل الدليل إنني لم أصبه ولكني أكدت له بأنني أصبته وشاهدته وهو يجري ويعرج وأنه لا يمكن أن يجري بعيدا . أخذنا نمشي في اتجاه الهدف . ولم نكد نسير مائة متر حتى ابطح الدليل أرضا ، وشدني معه لكي اتخذ الوضع راقدًا . لقد شاهد قرون الغزال تظهر وسط الحشائش مما يدل على أنه جريح وأنه في وضع الجلوس . قال لي ان ذكر الغزال اجريح شديد الخطورة . لأنه يستجمع كل قواه ويهاجم بشراسة تمكنه أحيانا من أن يقر بطن الحصان . أخذنا نرحف ونقرب منه شيئا فشيئا حتى

أصبحنا على مسافة حوالي 70 متر . ومن هذه المسافة القريبة أطلقت عليه طلقة ثانية فقتل على الفور .

وقفت نخرج على الدليل وهو يشق بطنه ، ثم سأله كيف سننقل هذا الحيوان الضخم إلى أسفل الجبل (كان وزنه كما ظهر بعد ذلك هو 73 كيلوجرام) . قال إنه قد أعد كل شيء لذلك . سوف يقابلك حصان في منتصف المسافة التي صعدناها فوق الجبل . وسوف يقوم هو بحمله نزولا من الجبل وحتى نقطة المقابلة هذه . بدأنا رحلة العودة حوالي الساعة الواحدة من بعد الظهر . وبعد حوالي ساعتين من الهبوط وعند نقطة محددة ، تقابلنا مع شخص ثالث ومعه حصان . وتعاونوا نحن الثلاثة في وضع الغزال على الحصان . ثم استأنفنا السير مرة أخرى . وفي خلال رحلة العودة أخذت أبادل الحديث مع الدليل . قلت له إني أريد مه أن يسلحه بعد أن نصل إلى أسفل الجبل ، حيث أتي لا أفصل أن آخذه معي وهو على هذه الحال فسألي « وهل تريد أن تشتريه ؟ » فتساءلت متعجبا « أشتريه ؟ أشتريه من من ؟ » فقال « من شركة الألومنيوم البريطانية » فتساءلت « وما دخل شركة الألومنيوم البريطانية ؟ » قال إنها صاحبة الأرض التي اصططدت عليها الغزال فقلت له « لقد دفعت ثمن هذه الرحلة إلى الكابن هانت » . فقال لي ان الكبتن هانت يستأجر حق ممارسة الصيد من الشركة المذكورة صاحبة لأرض أما كل ما يقع من صيد فوق هذه الأراضي فإنه يعتبر ملكا للشركة . وبعد حوالي ساعتين أخريتين من الهبوط وصلنا إلى سفح الجبل حيث كانت العربة اجيب في انتظارنا . نقلنا الغزال اليها وتركنا الحصان وسائمه . وتحركنا إلى مكان قيل لي أنه مكتب مندوب شركة الألومنيوم البريطانية . وبعد قليل ، وصل مندوب الشركة ومعه ثلاثة عمال . قدم بورن الغزال وتسجيل عدة بيانات أخرى تشمل تاريخ ووقت ومكان الصيد ومن انذري اصطاده الخ . وبينما كان يقوم بسخه قلت له « إني أريد أن أشتري هذا الغزال » فقال لي « آسف هـ ، غير ممكن » فقلت له « لماذا ؟ ألم أقل لك إني سأدفع ثمنه كأني مشتر آخر ؟ » فقال ان الشركة مرتبطة بعقد مع ألمانيا لتصدير عدد من هذه الغزلان . وأن هذا هو أول غزال يتم اصطياده في هذا الموسم . وبعد مفاوضات مطولة اشترك فيها العمال الثلاثة والدليل ، وافق مندوب الشركة على أن يبيعي جردا منه . لم أكن في حاجة إلى أن أشتري الغزال بأكمه لأنه كان سيكلفني كثيرا . ولكي كنت في حاجة إلى شراء جزء منه لكي أقم عليه احتقالا بهذه المناسبة .

وفي الساعة السابعة مساء كنت أركب عربتي ومعني ربيع لغزان ، وأتجه إلى الفندق الذي يبعد خمسين كيلو مترا من منطقة الصيد ، والذي كنت قد غادرته في السادسة صباحا

فوصلت في الثامنة مساء . وأنستني حرارة اللقاء وتمتة الأصدقاء باصطياد هذا الغزال كل ما نملكه من تعب خلال رحلة ذلك اليوم .

وفي صباح يوم 17 أغسطس كنت أشد الرجا مرة أخرى متجها إلى الشمال . كان تانج بعد حوالي 220 كم شمال Invergarry . في أقصى شمال سكوتلندا . كانت خلافا جون وجرات John Ogroats . في أقصى الشمال الشرقي ، دورس Duress . خرجت للصيد خلال يومين حزين . وفي مساء يوم 20 أغسطس اجتمعت مجموعتنا في فندق هايلاند حيث حفلت بوليمة عشاء . كان الطبق الرئيسي فيها هو لحم الغزال stag الذي اصطلته قبل ذلك بأربعة أيام .

وفي يوم 22 أغسطس بدأت أنتحرك جنوبا في اتجاه بنزاس Penzance التي تقع في أقصى الجنوب الغربي لإنجلترا . كانت المسافة بين تانج Tongue وبين بنزاس Penzance تبلغ 1400 كيلو متر . وفي طريقنا إلى بنزاس ، عرجت على الساحل الجنوبي لمقاطعة ديفون Devon حيث يوجد خليج تورباي Torbay الذي تقع عليه المدن السياحية Brixham, Paignton, Torquay . ويطلق الإنجليز على هذا الساحل اسم الريفيرا الإنجليزية The English Riviera . ومع أن هذه التسمية نسبة مجازية ، إلا أنها فعلا اسم على مسمى . إن كل شيء يراه السائح يوحي بأن الإنسان في فرنسا وليس في إنجلترا . إن التحفظ الإنجليزي لا وجود له في تورباي . إن حبيح تورباي هو حقا فرنسي في مظاهره ومرجه .

ومن خليج تورباي تحركت إلى بنزاس فوصلنا في يوم الاثنين 25 أغسطس . ويقدر ما كانت تورباي Torbay فرنسية الملامح ، كانت بنزاس أنجليزية في كل شيء . كما نزل في فندق ملكة Queen's Hotel الذي يطل على الساحل هبوطه وحمامه . كانت بنزاس هي المحطة الأخيرة في رحلتي . وكنت أنوي أن أبقى فيها ستة أيام ، أعود بعدها مباشرة إلى لندن . لقد كما حقا في حاجة إلى فترة راحة وهدوء وتأمل بعد كل هذه الرحلة الصعبة . ولكن ما كل ما يسمنى المرء يدركه . ففي صباح يوم 26 انصبت دموعي نليمونيا بلندن وعلمت من أحد الأقارب الذين حضروا من القاهرة مؤجرا أن والدتي مريضة جدا وأن حالتها خطيرة وها قررت أن أعود هورا إلى لندن وأن أسامر بها إلى القاهرة لكي أعود والدتي . وفي مساء يوم الثلاثاء كنت قد عدت إلى منزلي في لندن بعد فترة عيب بلغت 25

يوما ، قطعت لها أكثر من 4000 كيلومتر زرت خلالها العديد من الأماكن السياحية و
انجلترا وويلز واسكتلندا .

الاستعداد النهائي لمغامرة بريطانيا :

وصلت إلى القاهرة مساء يوم الخميس 28 أغسطس . وفي يوم الجمعة كنت نحويا
والدتي التي كانت ترقد في إحدى المستشفيات في الإسكندرية . وفي يوم الثلاثاء 2 سبتمبر
عدت إلى لندن ، بعد أن تركت والدتي في رعاية ألقه ورعاية إخوتي . كان علي أن أعاد
بريطانيا بحرا إلى لشبونة يوم 6 سبتمبر . وكانت جميع إجراءات السفر وترتيبات التوديع
من جانب بريطانيا وترتيبات الاستقبال من جانب البرتغال قد تم ترتيبها ، ومن الصعب إلغاؤها

لقد كانت رحلتي من لندن إلى القاهرة وبالعكس رحلة مفاجئة . وبالتالي فلا بد لم أحضر
وزارة الخارجية المصرية بهذه الرحلة اعتمادا على أنها تم ضمن إجازتي . كما أنني لم أحضرها
بذلك عند حصوري إلى القاهرة لأنني سافرت مباشرة إلى الإسكندرية ولم أعد معها إلا
مساء يوم الاثنين أي اليوم السابق للسفر . وفي مطار القاهرة كادت الطائرة تطلع بدوني يوم
الثلاثاء لأن ضابط الجوازات كان يصر على أن يكون بيدي تصريح من وزارة الخارجية
يسمح لي بالسفر من القاهرة إلى لندن . وكان مصي كسمير لبلادي في المملكة المتحدة
لا يشجع لي بالسفر إلى مركز عملي إلا إذا حصلت على تصريح كتابي بذلك من وزير الخارجية
وبعد مدة من الاتصالات التليفونية مع وزارة الخارجية ووزارة الداخلية سمح لي بالسفر
إلى لندن قبل أن تطلع الطائرة بوضع دقائق . وفي أروني هذه القصة لأبي زيب الإعلام
الساداتي عن حرية خروج المواطنين من مصر .

الفصل الخامس عشر

الحياة الاجتماعية في البرتغال

السياحة والاقتصاد :

البرتغال بلد صغير محدود لموارد ، تلعب السياحة دورا هاما في بنيته الاقتصادية . لقد كانت البرتغال في عهد سالازار تعتمد على ثلاثة مصادر رئيسية لتوفير العملة الصعبة . كانت تعتمد على ثروات المستعمرات ، والعملات البرتغالية في الخارج ، والسياحة . لم يكن لدى البرتغال ما تستطيع أن تصدره إلى الخارج . فكانت تعتمد على ما تحصل عليه من مستعمراتها شمن نخس ، وتبيعه في الأسواق العالمية بأثمان مرتفعة . كانت تقوم بتوريد العدس السود من مستعمراتها للعمل في ساحل جنوب أفريقيا ، وتقضى هي ثمن عملهم . نتيجة لانخفاض مستوى المعيشة في البرتغال بالنسبة للدول الأوروبية ، فقد هاجر كثير من البرتغاليين إلى دول أوروبا ، وأمريكا اللاتينية ، بحثا عن العمل ، حتى وصل عددهم إلى حوالي 2 مليون مهاجر . وهو عدد ضخم يمثل حوالي 20% من سكان البرتغال وكان هؤلاء العمال يبعثون بمدخرهم إلى البرتغال بمعدل حوالي 2000 مليون دولار سنويا . ثم تأتي السياحة بعد ذلك لتوفر ما بقي من احتياجات البلاد من العملة الصعبة .

ولقد استطاع حكام لبرتغال أن يجعلوا من البرتغال نقطة جذب للسياحة الأوروبية . إن انخفاض مستوى الأجر ومستوى المعيشة في لبرتغال ، بالمقارنة إلى الدول الأوروبية ، لدفع منها رخص بلد سياحي في أوروبا . وأن رخص تكاليف السياحة والخدمات التي تقدمها الدولة للسائح ، قد فتحت مجال السياحة في البرتغال لبس أمام لأعباء فقط ، بل أمام مئات الألوف من السياح المتوسطي الحال . وبالإضافة إلى رخص تكاليف الإقامة ، فإن

اعتدال الجو والقرب من البلاد الأوروبية قد جعل من البرتغال مركزا سياحيا ممتازا ومصدر دخل كبير للدولة .

وبقيام الثورة في البرتغال تغير كل شيء . لقد استقلت المستعمرات وذهب معها ثرواتها وذهب معها العمال الذين كانوا يعملون بالسخرة لصالح أسيادهم البرتغاليين . لقد عاد مئات الألوف من البرتغاليين الذين كانوا يسكنون المستعمرات إلى البرتغال . ولم تستطع الحكومة أن تدبر هم الأماكس اللازمة لإيوائهم ، فأسكنتهم الفنادق التي كانت قد بدأت تخلو من النزلاء . وبذلك فقدت الدولة مصدرا هاما من مصادر الدخل . وقد لعبت الدول الأوروبية الغربية دورا هاما في كساد السياحة في البرتغال عامي 74 - 75 وذلك لأسباب سياسية . كانت البرتغال خلال فترة الانتقال (ما بين 25 أبريل 74 ، 25 أبريل 76) ترحح بين فكرة البقاء ضمن المعسكر الغربي أو الانتقال إلى معسكر الحياض الأيحيائي وكانت السياحة الأوروبية هي أحد أسحة الضغط على حكومة البرتغال . وهذا بين لما مدى خطورة اعتماد أي دولة على السياحة كمصدر أساسي من عناصر بنائها الاقتصادي . وباقتراب نهاية الفترة الانتقالية ، كانت البرتغال قد اختارت البقاء في المعسكر الغربي ، بل والعمل على توثيق الروابط بينها وبين هذا المعسكر . وفي صيف عام 76 بدأت الحكومة في عملية إجلاء المهاجرين البرتغاليين من الفنادق لكي تستقبل السياح الأوروبيين الذين بدأوا يتوافدون على البلاد . وفي عام 77 امتلأت الفنادق مرة أخرى بالسياح . واستعادت السياحة مركزها كمصدر أساسي من عناصر الدخل .

مصارعة الثيران :

مصارعة الثيران هي أمتع شيء يمكن للسائح أن يراه في البرتغال . وهي تقام في البرتغال في موسم الصيف ما بين شهر يونيو وشهر سبتمبر . ويعتبر شهر أغسطس هو أكثر الشهور ازدحاما بهذه الاحتفالات . وأن مصارعة الثيران في البرتغال تختلف عن مصارعة الثيران في أسبانيا . ففي البرتغال يصارعون الثيران وهم ممتطيون الحياض في حين أنهم في أسبانيا يصارعونها وهم على أقدامهم . وفي البرتغال لا يقتلون الثيران أثناء المصارعة وهناك قانون يحرم قتل الثور أثناء المصارعة أما في أسبانيا فإن المصارعة لا تنتهي إلا بقتل الثور .

وقد يتصور البعض أن مصارعة الثور والفرد على قدميه ، تحتاج إلى شجاعة وهي أكثر مما يحتاج إليه المصارع الذي يمتطي صهوة جواده . وهذا خطأ كبير . إن الإنسان الذي يصارع الثور وهو على قدميه يستطيع أن يتحكم في خطواته خلف لموقف . فيتحرك إلى اليمين أو إلى اليسار في الوقت المناسب . مما من يمتطي صهوة الجواد فإنه مطالب بأن يقبل هذه لرغبات

إلى حصانه وأن يستجيب الحصان لأوامر راكبه بطريقة فورية . وأن تردد الحصان في تنفيذ هذه الأوامر ولر لجزء من عشرة من الثانية قد يكون سببا كافيا لقتل الراكب وحصانه . ويتمتع مصارعو الثيران في البرتغال بشعبية وشهرة لا ينافسهم فيها أحد . وهذه الرياضة قوائنها وتقليدها التي استقرت عبر مئات السنين

وتقوم هذه الرياضة بتجسيد الفروسية ، وإظهار روح الشجاعة والإقدام . فالفارسي عنه (27) . أن الفارس يعتمد على المهارة وخفة الحركة والتوقيت الدقيق ، والتفاهم الكامل الحيلة حتى ليكاد المرء يتصور أن التصادم سوف يقع بينهما لا محالة ، ولكن قبل جزء من هذا المشهد الرائع حتى يغرس الفارس في عنق الثور إحدى سهامه في عنق الثور . ويتكرر بعض الأحيان إلى الحد الذي يجعله يضع يده على جبهة الثور الذي يطرده داخل الحيلة ، بينما هو يغرب بحصانه أمامه . إنه يحافظ على ثبات تلك المسافة القريبة بينه وبين الثور . فإن أسرع الثور أسرع الحصان . وإن أبطأ الثور أبطأ الحصان . وبالتالي تكون المسافة بين قرون هذه المسافة إلى الحد الذي يستطيع فيه الثور من إصابة الحصان وإدماؤه . وكلما اقترب الفارس وحصانه من الثور أثناء نلاحهم ، كلما اكتسب إعجاب الجمهور وتصفيقهم

بعد أن يغرس ستة سهام في عنق الثور ، يخرج الفارس من حيلة ، ويدخل إليها عشرة من الشبان الذين يصارعون الثور بأيديهم بأسلوب مشير بدعو إلى الإعجاب . إنهم يقفون وسط الحيلة على شكل قطار مردي في مواجهة الثور (يقف واحد في مواجهة الثور ويقف الباقيون خلفه واحد وراء الآخر) ويطبق على هذه الجماعة اسم فوركادورش *forcadores* . يبدأ رئيس الجماعة بمحاكاة الثور الذي سرعان ما يبدأ في الاتحام ولكن مهارة هذه الجماعة تلخص في أن الفرد رقم واحد يضع نفسه بين قرون الثور . وسرعان ما يركب رقم اثنين وثلاثة فوق رقم واحد . بينما يقوم الآخرون بمسكه من قرويه وذيله . وبعد أقل من دقيقة يكونون قد نجحوا في السيطرة على الثور وشل حركته تماما .

وبانتصار الفوركادورش *Forcadores* في شل حركة الثور تعتبر لمصارعة قد انتهت ويدفع الثور بعد ذلك إلى خارج الحيلة . ثم يدخل بعد ذلك الفارس ومعه جماعة الفوركادورش لتقبلوا تهاني الجمهور . وتستغرق هذه الماراة ما بين 20 - 30 دقيقة ويكون

كل حفل عادة من 6 فرسان ، ومجموعة أو مجموعتين من الفوركادورش . ويستمر الاحتفال الواحد إلى حوالي ثلاث ساعات .

وبالرغم من المهارة الفائقة التي يسيبها الفرسان المصارعون وجماعات الفوركادورش في مصارعهم للثيران ، إلا أنه ينذر أن يمر موسم المصارعة دون حوادث مؤسفة . فهناك من يتمكن الثور من قتله أو إصابته بعجز مستديم . وهناك من هم أفضل حظ فتكون إصابتهم بسيطة يعاودون المصارعة بعدها مباشرة أو بعد عدة أيام . وكم من مرة شاهدت أحد جماعة الفوركادورش وهو يطير في الهواء على إثر نطحة قوية ، ثم يهب واقفا بعد ذلك يتابع المصارعة بين تصيقات الجمهور وحماقاتهم . لقد شاهدت الكثير في حياتي . ولكن مصارعة الثيران في البرتغال هي أعظم رياضة أعجبتني وشدت انتباهي طوال حياتي . ولكم أتمنى أن تنتشر هذه الرياضة في مصر .

منطقة الجرف : AL GARVE

منطقة الجرف هي المنطقة الجنوبية في البرتغال . وهي أشهر المناطق السياحية في تلك البلاد . حيث يكون الجو معتدلا طوال أيام السنة تقريبا . وحيث تكون مياه شواطئه أكثر دفئا من مياه السواحل البرتغالية العربية . وإذا كان العرب قد تركوا بصماتهم في البرتغال ، خلال أربعة قرون قضوها في تلك البلاد ، فإن هذه البصمات كانت ولا تزال أكثر بقاء واستقرارا في منطقة الجرف . ويمكن للمسافر أن يكتشف ذلك ، من أسماء القرى والأماكن ، ومن المعمار ، والعادات ، وطبيعة الحياة في المناطق الريفية من الجرف .

ومن القصص التي تروى للسياح أن أميراً عربياً كان يحكم منطقة الجرف ، اشترى حارية من أهل الشمال كان تجار الحاسة قد باعوها إليه بعد أن اختطفوها من مناطق السريد النائية . وبالرغم من كل وسائل الترف التي كان يقدمها الأمير إلى حاربه الحساء ، فقد كانت تشعر بالاكئاب والحزن لافتقادها منظر الثلوج التي تعودت أن تراها في بلادها الأصلية . وفكر الأمير العربي في وسيلة يستطيع بها أن يدخل السعادة إلى قلب أميرته المحبوبة . فأشار عليه البعض بأن يزرع لها أشجار اللوز ، لأن هذه الشجرة عندما تزهر تبدو وكأن الشجرة قد غطتها الثلوج . ونفذ الأمير الفكرة في حديقة القصر فكانت النتيجة باهرة . فأمر بتعميمها في جميع أنحاء البلاد التي تحت أمرته . وهكذا انتشرت زراعة اللوز في منطقة الجرف حتى أصبحت أحد معالم الرئيسية إلى وقتنا هذا . وفي الأسبوع الأول من شهر فبراير من كل عام تزهر هذه الأشجار تبدو للناظر وكأن الثلوج قد سقطت عليها ، فأكسبها لونا أيضا ببر - الناظرين .

لقد أصبح الأسبوع الأول من شهر فبراير هو ذروة موسم السياحة الشتوية في منطقة الجرف . ن لسانح يستمتع في تلك المنطقة بالشمس والدفء وفي نفس الوقت فإنه يستمتع بمنظر الثلوج الصناعية ، التي أوجدتها تلك الزهور البيضاء الجميلة التي تكسو جميع أشجار المنطقة . فإذا أضيف إلى ذلك الخدمات لسياحة الأخرى من مأكول ومسكن وانتقال بأسعار ممتازة للسياحة الأوروبية ، اتضح لنا الأسباب التي تجعل من الجرف منطقة جذب رحلة إلى أسبانيا وأندورا ؛

إنني أعشق السفر والسياحة . إن السياحة هي فصل مدرسة لدراسة الشعوب . وإن سياحة بالسيارة تعطي للسائح أفضل المزايا لمعرفة البلاد والشعوب . إنها تمكنه من الوصول إلى القرى ولاتصال بالسطاء من الناس بعيدا عن المدن وضجيجها وخرقها الزائفة . كانت الارتفاع التي يبلغ طولها حوالي 600 كيلومتر وعرضها حوالي 150 كيلومتر أصغر من أن تحقق نزعاتي للسفر والسياحة . وهكذا قررت أن أفوم برحلة سياحية إلى أسبانيا . وفي يوم السبت 31 أغسطس 76 ، بدأت أن وزدجتي رحلة امتدت لمدة ثلاثة أسابيع ، قطعت خلالها حوالي 4000 كيلومتر . وزدت خلالها معظم أقاليم أسبانيا ، وكذلك دولة أندورا Andorra .

وقد بدأت رحلتي من لشبونة إلى مدريد ثم باقرية باداخوش Badajoz ، التي اغتبل فيها الجنرال ديلجادو Delgado بواسطة أعوان سالارار ومن مدريد تحركت شمالا حيث زرت مناطق الباسك Basque الذين كانوا يطالبون بالاستقلال عن أسبانيا ، وتحدثت مع البعض منهم . وفي مناطق الباسك زرت بلباو Bilbao . وسان سيباستيان San Sebastian

وبعد زيارة مناطق الباسك ، نطقت لزيارة أندورا Andorra وهي دولة مستقلة من أصغر بلاد العالم . وتقع في وسط جبال البرانس Perennes بين أسبانيا وفرنسا . وعندما توقفت بعربي عند نقطة الحدود وأبرزت جواز سفري لمصري ، بدا على وجه حارس نقطة الحدود التعجب لأنه لم يرى جواز سفر مصري طول حياته . وذهب إلى رئيسه الذي أظهر أمامه بأنه أكثر علما واضطلاعا وقال : نعم نعم إنها جزء من الجمهورية العربية المتحدة United arab Republic . وقد زرت مرة واحدة يحمل جوارها . فهأت قائلة حرس الحدود على معلوماته وأخبرته بأن لجمهورية العربية المتحدة قد أصبح اسمها جمهورية مصر لعربية منذ خمس سنوات .

لقد استمتعت بالسياحة وأنا أقود العربدة داخل جبال البرانس لمدة ستة ساعات لكي أصل إلى هذه الدولة الصغيرة التي لا يزيد عدد سكانها عن 10000 نسمة . فقد كان

الطريق يلتوي كالثعبان فوق الجبال الشاهقة ، وعلى ارتفاع يزيد عن ارتفاع السحب . كنا نسير فوق السحاب . وفي بعض الأحيان كنا نسر داخله . كانت هذه الرحلة الجبلية رغم صعوبتها هي أفضل ما يمكن للمرء أن يستمتع به . أما دولة أندورا نفسها فلا تعدو أن تكون قرية صغيرة على قمة جبل . قضينا فيها بضع ساعات لتناول الغذاء والراحة قبل أن نبدأ رحلة العودة خلال جبال البرانس مرة أخرى . وبالرغم من أن رحلة العودة كانت هبوطا وليست صعودا كرحلة الذهاب . إلا أن حلول الظلام ونحن لازلنا في منتصف المسافة جعل منها رحلة شاقة . ودفع زوجتي إلى التبرم أحيانا والموت رعبا أحيانا أخرى .

ومن أندورا ذهبنا إلى برشلونة Barcelona عاصمة إقليم قطلونيا Catalonia وسكان إقليم قطلونيا كانوا يطالبون أيضا باستقلالهم عن أسبانيا (28) . وهم يعتزون بقوميتهم ولقنهم وتاريخهم ، الذي يختلف اختلافا واضحا عن الأسبان الذين سكنوا جنوب ووسط شبه جزيرة إيبيريا Eiberia . إنهم يدعون أن الخلاف بينهم وبين الأسبان ، لا يقن عن الخلاف بين الأسبانيين والبرتغاليين . ولذلك فإنهم يعتقدون بحقهم في الاستقلال عن أسبانيا .

ومن برشلونة توجهت جنوبا على ساحل الشرقي لأسبانيا ، والذي يسميه الأسبان الشاطئ المشمس pria del sol . ويمتليء هذا الشاطئ بالمدين والقرى السياحية . ومن هذا الساحل زرت مدينة أليكانت alicante ، والقرية السياحية تورملينو Torre molinos ونظرا لقرب نورملينو من الساحل المغربي فإن كثيرا من المغاربة يصطافون بها . لقد قابلت بعضا منهم كانوا ينزلون في الفندق الذي كنت أنزل فيه . كما قابلت الكثير غيرهم أثناء تجوالي داخل تلك القرية .

وأسبانيا مثلها مثل البرتغال تعتمد على السياح الذين يفدون إليها من أوروبا . وتقوم الشركات السياحية الأوروبية بحجز الغرف في الفنادق طوال فترة موسم ، ثم تعث بالأفواج السياحية الواحدة تلو الآخر . وفي الفندق الذي نزلت فيه كان حوالي 90٪ من النزلاء من ألمانيا الغربية حتى ليخيل للمرء أنه يعيش في ألمانيا بعد أن نقلوا إليها الشمس والدفء والمياه التي تفتقدوها .

ومن تورملينو بدأت أجوب أرض الأندلس Andalusia . ويتكون قلب الأندلس من مثلث رأسه الشمالي هو قرطبة Cordoba وقاعدته هي غرناطة granada في الشرق وأشبيلية Seville في الغرب . والمسافة بين غرناطة وقرطبة 150 كم وبين قرطبة وأشبيلية هي 140 كم .

ها هي غرناطة التي فتحها العرب عام 711 ميلادية وأقاموا فيها إلى أن دالت دولتهم عام 1492 . ها هو قصر الحمراء Alhambra ، الذي يجمع بين فحامة المعمار وباس الحصون . ان قصر الحمراء ليس قصرا بالمعنى المهورم . وإنما هو مدينة مستقلة تضم قصر الحاكم ، ودواوين الحكومة ومساكن الجند . وبشغل مساحة حوالي 250000 متر مربع . أما داخل المدينة نفسها فقد بنى العرب أورا جامعة إسلامية في الغرب . وأطلقوا عليها اسم المدرسة والاراب هذا الاسم يستخدمه الفرنج حتى الآن La Madraza . وبالإضافة إلى قصر الحمراء والمدرسة فهناك آثار أخرى من حمامات ومشتفيات النخ . وجميعها تشهد بحضارة وثقافة وعرق قديم .

وفي قرطبة شاهدت جامع قرطبة ومدينة الزهراء . وقد بني هذا الجامع في عام 785 ميلادية . ثم تم توسيعه للمرة الثانية عام 833 ، ثم للمرة الثالثة عام 961 ، ثم للمرة الرابعة عام 987 في عهد هشام الثاني وورثه المصور . كانت مدينة قرطبة تزدهر عاما بعد عام حتى بلغ سكانها في نهاية القرن العاشر حوالي مليون نسمة . وكان لابد أن يقوم الحكام بتوسيع الجامع لكي يتسنى مع تزايد عدد المسلمين في تلك البلاد ، حتى وصلت مساحة الجامع إلى حوالي 15000 متر مربع . وبعد أن دالت دولة المسلمين في قرطبة عام 1236 ، قام فرديناند بتحويل الجامع إلى كيسة مع اهدافة عليه كما هو ولكن هذا م يرض الكثير من المسيحيين الذين كانوا يريدون أن يغيروا من طابعه . ولكن توسع الجامع كان يقف عثرة في وجه من يريدون إجراء تغيير شامل فيه . وفي عام 1766 تم بناء كيسة دخل مسي الجامع ولكنها لم تكن لتشعل أكثر من عشر مساحته . وبقيت أعمدة الجامع شامخة تتحدى الزمن ، وبقي محرابه كما كان عليه تحفة فنية رائعة

ان جامع قرطبة هو مصخرة للعرب والمسلمين في كل مكان . وان السائح العربي عندما يدخل هذا الجامع يتسلقه شعور جامع لا يستطيع أن يسيطر عليه . ويقول أن الملك فيصل ل سعود كان في زيارة رسمية لأسبانيا وكان من ضمن برنامج الزيارة أن يقوم ملك اليزارة جامع قرطبة . وعندما وصل الملك فيصل إلى المغرب داخل الجامع ، أدب للصلاة وأقام الصلاة وصلى من خلفه مرافقيه ، بين دهشة مرافقيه من الرسميين الأسبان . وبعد أن أتم الملك الزيارة عرّص على المسؤولين في الحكومة الأسبانية أن يشتري منهم هذا الجامع بالتمن الذي يرغبونه ، وأن يتعهد هم أيضا أن يسي لهم كيسة أخرى ككر وأهم من تلك التي بناها الصليبيون الأوائس داخل حرم الجامع . وقد وعدت الحكومة الأسبانية بدراسة الموضوع ولكنها لم تتخذ حتى الآن أي قرار بخصوص هذا الموضوع

أما مدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الثالث على مسافة خمسة كيلومترات من قرطبة لتكون مقرا للحاكم ، فقد زحف الإعمار حتى ربط بينها وبين قرطبة . وقد بدأ بناؤها في عهد عبد الرحمن الثالث عام 936 واستغرق بناؤها أكثر من عشرين عاما . ولكنها دمرت ونبت على مر السنين . ولم يبق منها إلا بعض الأعمدة والنقوش القليلة التي تشهد بعظمة الحكم الذي قام في تلك المدينة منذ نبف وألف عام .

وفي أشبيلية Seville نجح الصليبيون في تدمير الآثار العربية فلم يبق منها إلا القليل . ولعل أهم ما بقي من آثار عربية هو القصر Alkazar . ويرجع السبب في عدم تدميره إلى أنه آية في الجمال والفن ، مما دفع حكام الفرنجة لأن يحتفظوا به ويقيمون فيه .

لقد قضيت أسبوعا في الأندلس . كنت أشعر في كل دقيقة منها بعظمة الشعب العربي وقوة الدين الإسلامي . وقد أعجبتني أيضا سياسة الجديدة التي اتبعتها الحكومة الأسبانية منذ العشرينيات من هذا القرن ، والتي ترمي إلى المحافظة على الآثار العربية والإسلامية بدلا من تخریبها وتدميرها . وإذا كانت الحكومة الأسبانية لم تبذل مجهودا يذكر نحو ترميم وإصلاح المساحد والمدارس ومباني الخدمات العامة ، فإن جهودها في المحافظة على طابع تلك المدن الأندلسية قد حقق نجاحا باهرا . إنهم يحافظون على الطابع المعماري ، حتى أنه إذا علم أحد البيوت القديمة أقاموا مكانه منزلا حديدا بنفس المعمار ونفس الطابع . وأن من يعيش الآن في قرطبة القديمة بشوارعها الضيقة التي لا تحويها وسائل النقل الحديثة ، ثم يدخل بيوتها ذات الطابع الأندلسي يشعر وكأنه يعيش في هذه المدينة منذ أكثر من ألف عام .

من شتوتجارت إلى لشبونة :

كنت قد اشترت عربة مرسيديس وتحدد موعد تسليمها من المصنع ليكون يوم 22 نوفمبر 76 . وكان علي إما أن أسافر إلى شتوتجارت لاستلامها ، أو أن تقوم الشركة بترحيلها إلى لشبونة مقابل 1000 دولار . وهنا فكرت أن أقوم برحلة تجمع بين الاقتصاد والسياحة . ان المسافة بين شتوتجارت ولشبونة حوالي 2000 كيلومتر وهي مسافة يمكن قطعها في ثلاثة أو أربعة أيام . فلو أنني قطعها في أسبوعين فإني أستطيع أن استمتع بالسياحة أنا وزوجتي لمدة عشرة أيام . إنها سوف تكون رحلة سياحية رائعة إذ نحن حصصنا من تكاليفها مبلغ الألف دولار إندي كان يتحتم علي أن أدفعه ثما لشحن العربة من ألمانيا إلى البرتغال .

وفي يوم الأحد 21 نوفمبر سافرنا بالطائرة من لشبونة إلى شتوتجارت . وفي رحلة العودة قضينا يومين في ألمانيا ، وأربعة أيام في باريس وبومين في بودرو . وعند وصولي إلى أسبانيا كان أسهل الطرق وأسلکها هو الطريق من سان سيبستيان San Sebastian إلى مدريد

ومنها إلى لشبونة . ولكنني كنت قد سلكت هذا الطريق من قبل . كنت أريد أن أستمتع
 طرقاً أخرى . وقررت أن أسلك الطريق الجميل الذي يمر عبر الساحل الشمالي لأسبانيا عبر
 سانتاندير Santander ثم لاكرونيا La Coruna في أقصى الركن الشمالي الغربي لأسبانيا
 ولم تكن الرحلتين من سانتاندير إلى لاكرونيا سهلة وذلك نظراً للطبيعة المحلية هذه المنطقة
 ونظراً لسوء الأحوال الجوية في ذلك الوقت من السنة . ولكنني أؤكد للقارئ . . . نعم
 الذي يلاقيه المسافر لا يوازي مطلقاً الفوائد والمعرفة التي تعود عليه نتيجة اتصاله . . . بشعوب
 الأندلس .

ومن لاكرونيا بدأت أتحرك جنوباً إلى فيجو Vigo وهي آخر مدينة أسبانية على الساحل
 وعلى مقربة من الحدود البرتغالية ومنها تحركت إلى بورتو Porto ثم لشبونة ووصلت
 إليها يوم الأحد 5 ديسمبر 1976

الخاتمة

كان وصولي إلى الخرطوم يوم 28 يوليو 78 هو نقطة محورية و... مرحلة جديدة في حياتي فقد انتهت في هذا اليوم حياتي الدبلوماسية وبدأت حياتي السياسية. لقد كانت لي السلك الدبلوماسي المصري أربعة سنوات ونصف تقبيل منها أكثر من أربعة سنوات كمقيم مصري في لندن ولشبونة. لم أكن أحب كثيراً العمل الدبلوماسي... كثير من أهل تفصل الحياة العسكرية... الحياة الدبلوماسية... كنت سحر من هذه الأمثلة ركت إحياي لا تخلو من النوم والشجيرة... كيف أجمع صوتي... وعربي وهواي وحي للقوات المسلحة في مصر مع وضع سنوات في العمل الدبلوماسي... لقد أخترت الحياة العسكرية... وأنا دون لستة عشرة من عمرى عندما ذهبت بكلية بحرية في فبراير 39. وفي حالات ما يقرب من 35 سنة قضيتها في القوات المسلحة... في أيام يوم واحد على هذا الاختيار... العمل في السلك الدبلوماسي فقد تحكمت به الأقدار... ولم يكن كمحصن حياي... حقا غدا وافقت وقبيل العمل... هذا السلك بعد تردد ولكن هذه الموافقة جاءت محضنة لكثير من العوامل استعارضة... فكيف أوازن بين عمل خيري وأخته وعمل سافتي الأقدار... كيف أوازن بين حياتي واتصالاتي اليومية مع وجه مسطه من الخوف والاضطراب... بوج لستهم مما يحول في صدورهم... وبين أدمس يتحدون بالأعداء ويحتج المرء إلى مجهود صحتي يعرف ماد يتصلون و... نادا بسحبون

الرجال اسلك الدبلوماسي قوم طرفه ومهدون... ونكهم مكسوف بالأغلال... من مسائل توصلات من نلقون ولاسلكي ونكس قد لعبت دورا كبير في الحد من حرية تصرفهم... لقد أصبحت قرارات أدمه تتخذ في عوصم الدول بواسطة رجال السياسة واضح وجب استمره ورجاء اسلك الدبلوماسي هو نربر قررت رجل السياسة... عمل لا بأس به... كان صغير مقنع... هذه القرارات لسياسة... أما إذا لم يكن مقنع...

فهو ما أن يعب دور الشافق ، أو دور السفير الغير ملتزم . ولقد كان قديمي بدور سفير غير
سترم عملية صعبة للغاية . فقد كان علي أن أحفظ بحريني في تنقذ لقطاء ندي أمه .
وفي نفس الوقت كان علي ألا أدفع الأمور إلى حد انجابه إلا عندما يحين الوقت المناسب .
كنت أريد أن يكون وقت انجابه من اختياري وليس من اختيار السادات . وقد محنت
والحمد لله في تحقيق ذلك .

ان الخدمة في السلك الدبلوماسي هي متعة وقتة لمن يريدون أن يستمتعوا بمهاج
الحياة . لقد كنت أحصل على ماهيات ومرئيات في العام الواحد كسفير ، ما يوارى إحساني
ما حصلت عليه طوال خدمتي في القوات المسلحة . لقد كنت أنام كل ليلة في بيتي وكنت
أقضي أنا وزوجتي عطلة نهاية الأسبوع والإجازات السنوية في السياحة . لقد عوضت زوجتي
خلال تلك السنوات كل ما كانت قد افتقدته من حياة عائلية خلال سنوات خدمتي في
القوات المسلحة . لذلك فإنه عندما كان يطلب إلى زوجتي المقارنة بين خدمة القوات المسلحة
وخدمة السلك الدبلوماسي فإنها كانت تجيب بدون تردد «السلك الدبلوماسي طمأن . ومع
ذلك فإنني لم أترك لمهاج الحياة في السلك الدبلوماسي أن تفتني . كنت أمتنع بها ما دام
الله قد رزقني بها . ولكنني لم أكن على استعداد لكي أتنازل عن مبادئني في سبيل الاحتفاظ
بها . كنت أنتظر الوقت المناسب . فلما جاء هذا الوقت ركلت تلك الحياة السهلة ، واخترت
حياة الكفاح من أجل مبادئني .

ان أعظم متعة في الحياة هي أن يعيش الإنسان في سلام مع نفسه . وأن هذا السلام
مع النفس لا يمكن الحصول عليه إلا إذا كان الإنسان راضيا في قرارة نفسه بما يقوم به
من تصرفات . لقد كنت أعلم بأن قراري بمجابهة السادات سوف يتبعه الفصل والنفي ،
ومع ذلك فإنني لم أتردد في اتخاذ هذا القرار . ورغم وجودي الآن في المنفى ، إلا أنني أشعر
بسعادة وحرية لم أكن أحس بها وأنا سفير لبلادي في لندن ولشبونة . وأن الحب والتقدير
الذي ألقاه من السلطات الجزائرية والشعب الجزائري وكافة الشعوب العربية ، لما يزيد
من قوتي وتصميمي على السير في الطريق الذي اخترت أن أسير فيه ، والله ولي التوفيق .

الملحق ١

بص البيان الذي ألقاه الفريق سعد الدين الشاذلي
على الصحفيين ووكالات الأنباء في لشبونة
يوم الخميس ١٩ يونيو ١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة بحاول أن يحفي حقيقة نظامه الأوتوقراطي وراء ستارة من المؤسسات المنزوعة التي لا حول
لها ولا قوة

إن نظام السادات ليس أفضل من نظام سالازار S. Iazar أو نظام كدشو Cretano الذي
انطقت الثورة البرتغالية في 25 أبريل 7٤ كدشو ليس أفضل من نظام فرانكو Franco الذي
سقط في إسبانيا بعد موته في 20 نوفمبر 75 وحرار الانتخابات ، ونحن نعلم من المؤسسات المدعومة
في بلد ما لا يعني بأي حال من الأحوال أن الديمقراطية قد تحققت في هذا البلد ، هي حلال حكم
بالأزلة كان هناك دائما انتخابات ، كان هناك انتخابات لاحتار رئيس الجمهورية ، ركزت هناك
هذه الانتخابات لاختيار أعضاء البرلمان ولكن نتيجة هذه الانتخابات كانت معروفة ومؤكدة قبل أن
تفري ، لأن تزوير هذه الانتخابات كانت حقيقة معروفة ، كان سالازار يزوج خصومه بـسياسيين
في الحون بموجب قوانين ونسبها هو نفسه ومصدق على أعضاء البرلمان الذي هو يوم إلى لبردار
نتيجة تزييفه للانتخابات ، لكي يكونوا أداة طيعة بين يديه ون السادات يعمل في مصر نفس ما فعله
سالازار في البرتغال .

إن القوانين التي قام السادات بإصدارها مؤخر (مايو 78) هي أشد قسوة ومبراة من كل ما أصدره
سالازار طوال حكمه من قوانين صرامة وتحت شعارات وحدة الوطنية ، والسلام الاجتماعي ، فإن
السادات يستطيع الآن أن يسوق من يشاء من معارضة إلى السجن ، أو حتى إلى حل المشقة ، به
بمن كل من يستقد رياره ليقدم بأنه يهدد وحدة الوطنية ، نه يعتبر كل مظاهرات أو إضراب أو احتجاج
بنوه به العمال والفئات لكذبة ، للمطالبة بتحسين أجورهم وحصولهم على نصيبهم العادل من ثروة

عنده . وكان هذا العهد يهدف للسلام الاجتماعي . ان السادات هو مائة في المئة من مسوره
 سلاسل السادات هذه لا يعني إجماعه . هذا ان كانوا به باحده قضاء الشرع الذي من قواعد
 الديمقراطية في التمرس حلال عامين فقط بعد نصف قرن من الحكم الديكتاتوري . إنه باحده هذه
 الديمقراطية التي انما في التمرس وبينهم يهدف الى ان السادات يعبر حرية شعب وحق لأفراد في معارضة
 السلطة ونوحه العهد بها عهد وكما يبع من خمسين . واني وقد قضيت ما يقرب من ثلاث سنوات
 كبير ثلاثي في عهد سلاطه . اود ان اسجل عهدي بالسلطة والسرعة التي بها تحوّل التمرس
 من النظام الديكتاتوري الى النظام الديمقراطي . إنها تجربة جديدة بالمراسة والتقدير . وهي تسمى ان
 رى ديمقراطية في مصر شبيهة بتلك الديمقراطية التي تمارس حاليًا في برنغان

بأن هناك ديمقراطية حقيقية في مصر . لما احار نساء مصر هذه السياسة خارجة حافظة في
 يدفع ليا نسادات . وقد أدت هذه السياسة خارجة حافظة إلى نتائج واضحة . تؤكد فشل هذه
 السياسة وتخطأ مسارها . ومن هذه النتائج ما يلي :

1 - لقد أصبحت إسرائيل أكثر تعنا في معالها . فقد أصبحت اليوم ترفض ما سبق ان أبدت
 استعدادها لقبوله في أحلك أيام هزيمتها عام 1967

2 - لقد تدهورت الخدمة القتالية للقوات المسلحة المصرية . وأن قدراتها القتالية اليوم تقدر بحوالي
 60 . من قدراتها القتالية قبل حرب أكتوبر 73 ، في حين أن القدرات القتالية للقوات المسلحة
 الإسرائيلية قد عاظمت وأصبحت اليوم حوالي 160 . بالنسبة لقدراتها قبل حرب أكتوبر
 وحيث أن القدرات القتالية للقوات المسلحة هي العامل الحاسم الذي يتمكن لشدة السياسات
 من التفاوض من مركز قوة لكي يتحقق السلام . فبه من المسجل أن يتحقق سلام مشرف
 تحت مثل هذه الظروف .

3 - لقد اهتر شخص العربي وبدأ يتعكك . وان الانقسام الذي يسود هذه العربي الآن يتوق
 في أبعاده كل ما حدث خلال الثلاثين سنة الماضية .

4 - لقد تدهور مركز مصر الدولي نتيجة فقدانها مركزها القيادي في العلم العربي وبين الدول الأفريقية
 ودول العالم الثالث

لأن هناك ديمقراطية حقيقية في مصر . لما نقرأ السادات على نشر مذكراته فيما هو يراول سلطانه
 كرئيس للجمهورية . لقد تعود أن نقرأ مذكرات نكرا السياسيين والعسكريين ولكن بعد اعترافهم
 الخدمة . أما ان يكتب أحدهم مذكراته وهو لا يزال يشغل منصبه ، فإن هذا لم يحدث قط في أي دولة
 في لعالم خلال التاريخ الحديث . وهكذا فإن السادات أصبح الآن أول رئيس دولة يكتب ويشر مذكراته
 فيما هو لا يزال في السلطة . ما الذي يريد السادات من وراء قيامه بعمل هذا العمل المشي ؟ هل يريد المال ؟
 أم يريد تزوير تاريخ مصر ؟ أم يريد أن يشتر وراء منصبه لكي يحكي قصصا كاذبة وبهم حصومه
 ساطل . دون أن يكون هم الفرصة لمرد عليه ؟ ان قيام السادات بإصدار مذكراته هو عمل لا أخلاقي
 لا يمكن أن يكون مفضلا في أي بلد ديمقراطي . ومع ذلك وبما للأسف فإن الإعلام المصري أحد

يعلن هذه الكلمات ويخبرها وكأنها عمل - حق وليس مجرد صرخة - . ومصر لن تجد - لا بعد
المصري يقوم بتدوين ما ورد في هذه المذكرات والتوقيع عليها - . بل هي على صعيد -
من صحة ما ورد فيها - إلى آرائي لحالهم ، ولحال غيرها من المصريين ، من حقوقهم هذه مصر -
أن يشيدوا بالسادات ونظامه ، مثلهم في ذلك مثل كل المستضعفين من عباد الله الذين يشعرون بعد
خلاديتهم .

والآن فلنسلط سوية نرى كيف سيصرف السادات - هل ستصرف بأسلوب قد قدم مي - من
سينصرف طبقاً لأصوله ، الأوتوقراطية ؟ وعموماً فهي قد ظهرت بعضي كلاً لاكتفاء - في حوز
من أن الإعلام المصري - الذي يعدون جميعاً أنه ملك للدولة - سوف يشعرون بشيء من شخصي ،
ولكنني أعني بأن لن أهتم بما يقولوه الآن ، بل أعلم أنهم إما يرددون ما يسمونه "الخطبة" -
هو ما سوف يقولونه بعد سقوط نظام السادات - أن هذا الإعلام المصري هو نفسه الذي كان عندنا
عندما كان في السلطة ، وهو نفسه الذي هاجم عبد الناصر بعد وفاته دون أن يشعر أي رجل أو نائب
للصالحين - هم يكررون أنفسهم الآن سمحوا لسادات أثناء وجوده في السلطة ، العهد من قدراتهم
في تغيير لون خلودهم بما يتناسب مع مطالب من سدهم السلطة ولكن يجب علي أن أخبرهم ، بأن
النائب المصري لن يسمح لهم بتكرار أنفسهم ، ولن يشجع هؤلاء الانتهازيين . من كان منهم لا يستطيع
أن يقول كلمة الحق فيصمت - بل لا يريد منهم أن يهاجموا السادات ونظامه - ولكننا نريد منهم ألا
يقوموا بترويع الادعاءات باطلة ، وانقصص الحقيقة التي يدعيها السادات - أن طريق الديمقراطية في
مصر هو طريق صعب ، ولكنه هو الطريق الوحيد ، الذي يمكن من خلاله أن نقبل مصر إلى صف
أفضل ، عاشت مصر وعاشت الديمقراطية ٢

فريق سعد الدين الشاذلي

لشبونة 19 يونيو 1978

سفير جمهورية مصر العربية في البرتغال

الملحق 2

زيارة السادات للقديس من هو صاحب الفكرة

ماذا يقول السادات :

عندما تمت بكتابة هذه المذكرات ، لم يكن لدينا فكرة واضحة عن الأسرار التي واكبت زيارة الرئيس السادات للقديس في 19 نوفمبر 1977 . من هو صاحب الفكرة ؟ من هو المخرج ؟ ما هي الأطراف التي شاركت وساهمت في التحضير والإخراج ؟ لم يكن لدينا سوى ما أعلنه السادات في أبحاثه ، وما سجله في كتابه البحث عن الذات والذي نشره في ربيع عام 1978 .

يتحدث السادات في صفحتي 395 ، 396 من مذكراته عن زيارته لوشنطن في أبريل 1977 ، وعما دار بينه وبين كادتر من محادثات فيقول : « وضع آدم كادتر استراتيجية سلام محددة .. وفمت له لا أنكر على إسرائيل حقها في أن تعترف بها دول المنطقة ولكن اتفاقية السلام يجب أن تتضمن إقامة دولة فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة ، على أن تسحب إسرائيل من الأرض المحتلة عام 1967 . وأن إسرائيل يجب أن تعطي جميع المصالحات التي تطلبها حتى إذا رأت أن تلحق كل موطن فيها بديانة أو طائفة . وإذا اختارت إسرائيل أن تعقد مع أمريكا ميثاق دفاع مشترك ، فلن أطالب بالمثل لا مع أمريكا أو الاتحاد السوفيتي أو أي دولة أخرى . » وأكدت له أنها اليوم في سنة 1977 مستعدون للسلام كما كنا عندما تمت عبادتي في 1971 بل وأكثر .

وفي الصفحة 401 من نفس المرجع يقول السادات وقبل المدايرة شهرين تقريبا فوجئت برسالة من السفارة المصرية في واشنطن تقول أنها تسلمت خطابا خاصا للرئيس السادات من الرئيس كادتر وأنه مكتوب بخط اليد ومختوم بالشمع الأحمر . وأنه نظرا لأهمية هذا الخطاب فقد أرسل مع أحد أعضاء السفارة . وقد قمت بالرد عليه وأرسلته بنفس الطريقة إلى كادتر . ويستطرد السادات فيقول أنه يجب ألا يتبادر إلى ذهن البعض أن خطاب كادتر تضمن طلبا منه بالقيام بهذه المدايرة ، فهو لا يستطيع ذلك

لأنه يعلم أن بيتا وبين إسرائيل حاجزا صعبا رهيبا ، ولكن السادات يقول أن الخطأ كان يتضمن آخر فهم للموقف ، ويمثل له الحقبة بدء التفكير في العودة التي حدثت بعد ذلك بشهرين

وفي صفحة 407 من نفس المذكرات يقول السادات أن فكره بعودة القدس تدور في رأسه بعد عودته للرئيس شاوشيكو في رومانيا . وفي ذلك يقول ذلك عندما ركت الطائرة في طريقه إلى إيران - وبالذات عندما مرت الطائرة فوق تركيا - وحدث ملامح لمادة نيرة بروسوج أمامي . كان معي في الطائرة وزير الخارجية فقط ، الذي لم تستطع أعصاه تحمل المادة واستقال مسكيا . قلت له إنني أتصور دعوة الحصة الكبار كادتر ، بريجنيف ، ديستان ، كالاها ، هو كوفيج ، إلى اجتماع في القدس . في الكنيسة . وأن أدعو معهم لأمر لمعية في العالم بقرى سوريا ، الأردن ، لبنان ، فلسطين ، مصر وذلك لتحصير المؤتمر جيب رعد ورقة عمل تحدد فيها الموضوعات الرئيسية (Head lines) حتى يبدأ مؤتمر جنيف بسجاح تام . وقد حرص السادات - كما حدثه عندما يريد أن يكذب - أن يتعاشى ذكر التواريخ . فسم يذكر تاريخ حصوله على خطاب كادتر ، ولم يذكر تاريخ زيارته لرومانيا .

كانت رواية السادات عبر مقبلة ، بل وساذجة ، إذ كيف يفهم أن رؤساء دول تحمة الكبار وسوريا والأردن وسلمان سوف تهرع إلى القدس لمجرد أن السادات يريد ذلك . كانت كل الشبه تدبير إلى أن هناك طرف آخرى ساهمت في التحصير لهذه الزيارة ، ولكن كان ينقص الدليل على ذلك . وفي ربيع عام 1981 نشر داون مذكراة عن الفترة التي شغل فيها منصب وزير الخارجية (مايو 77 - أكتوبر 79) وفي 28 مايو 1982 أخرجت صحيفة المصور حديثا مطولا مع حسن تهايمي حول هذا الموضوع . وفي خريف عام 82 نشر كادتر مذكراة عن فترة رئاسته بالبيت الأبيض (يناير 1977 حتى يناير 1981) . وفي ربيع عام 1983 نشر سيوروس فانس مذكراة تحت عنوان المحادثات الصعبة فلماذا قال هؤلاء الأربعة ؟

ماذا يقول موشي دايان ؟

يقول موشي دايان في كتاب «سلام في الصحراء Break Through» . اتعت الفترة بين منتصف أغسطس 77 ومنتصف سبتمبر 77 بسبب من اللقاءات السرية التي قادته إلى الهند ، ويران ، وأغلترا ، والمغرب . كان اللقاء الأول شاد وقليل الأهمية في آن واحد ، وكان اللقاء الرابع يعني بإحتمال عقد معاهدة صلح مع مصر .

ويقول دايان أنه سافر إلى الهند في 14 أغسطس حيث استقبله ديساي رئيس الوزراء الهندي في منزله في دلهي الجديدة في نفس اليوم ، وأنه عاد إلى إسرائيل مساء اليوم التالي . ثم سافر يوم 18 أغسطس إلى طهران حيث التقى بشاه إيران محمد رضا بهوي . ثم عاد بعد ذلك إلى إسرائيل لیسافر مرة أخرى مرة أخرى إلى لندن يوم 22 أغسطس حيث التقى بالملك حسين ملك الأردن في الساعة 30:21 من نفس اليوم في منزل خاص . ويقول دايان أن محادثاته السرية مع الملك امتدت ساعة ونصف ساعة . وأنه التقى به مرة ثانية في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم التالي .

ويستمر دايان في مرده لهذه القذابات فيقول أنه زار المغرب في يوم الأحد 4 سبتمبر ساء على دعوة من الملك الحسن الثاني ملك المغرب . وأن الملك الحسن قال له أنه كان يرغب في هذا اللقاء كي يعرف رأيه في المشكلة الأساسية المحيطة في الشرق الأوسط ألا وهي كيف نصنع السلام . ويقول دايان أن الملك وعده بأن يعمل كل ما يوسع لتدبير لقاء بينهم وبين ممثل مصر السياسي . وأن دايان قال له أنهم يريدون إحراء محادثات على أعلى مستوى إما مع نائب الرئيس حسني مبارك ، وإما مع السادات بالذات . ولكن على أي حال مع شخصية تملك الصلاحيات اللازمة ولها معرفة جيدة بالقضية . وأنه من جانب إسرائيل فإن من يمثلها سيكون رئيس الوزراء أو دايان . وقد وعده الملك بالجواب بعد خمسة أيام . وقد له أنه سوف يرسل إلى القاهرة مبعوثاً يتق فيه لبحث هذا الموضوع . فإذا وافق المصريون ، أمكن أن يعم اللقاء قبل ميعاد سفره (دايان) إلى واشنطن ونيويورك لحضور دور الجمعية العمومية .

ويستمر دايان في رويته فيقول : ولم يتأخر الملك فقد وفى بوعده . وفي التاسع من سبتمبر ، أي بعد أربعة أيام على مغادرتي المغرب ، تلقينا رسالة تفيد أن المصريين موافقون على عقد لقاء على مستوى رفيع بين السادات وبينجني ، ولكمهم يعضون أن يتم لقاء أول بين حسن تهايم نائب رئيس الوزراء وبين دايان . وبعد الاتصال مع المغرب تحدد مساء يوم 16 سبتمبر لإتمام هذا اللقاء في الرباط ، كي نستطيع الذهاب من هناك إلى واشنطن .

ثم يستطرد دايان في شرح لقائه مع حسن تهايم بالتفصيل . كيف سافر إلى باريس . ثم كيف قام بعمل مكياج لإحفاء شكله وملامحه كما تم في رحلته السرية السابقة ، وكيف استقل طائرة مغرمة خاصة نقلته من باريس إلى الرباط ، وكيف دارت المناقشات بين الرجلين ، وما هي التحولات والملاحظات التي كان يديرها الملك أثناء هذه المناقشات الخ . ثم كيف سافر مرة أخرى إلى باريس ومنها إلى نيويورك صباح يوم 18 سبتمبر . وكيف تكررت مقابلاته مع حسن تهايم والملك في المغرب مرة أخرى بعد ذلك بأسبوعين .

ماذا يقول كارتير ؟

لقد بدأت جريدة الشرق الأوسط في نشر مذكرات الرئيس كارتير على حلقات اعتاراً من 1982/10/4 . وقد تحدث كارتير في الحلقة الأولى عن لقاءاته مع السادات في أبريل 1977 ، وعن اتصالاته مع السادات بعد ذلك . وعن لقاء شهر إبريل يقول كارتير عندما سأله عن انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة أجاب بأنه قد يكون من المعقول إجراء بعض التعديلات الطفيفة في حدود عام 1967 . وبعلى كارتير على ذلك قائلاً أن هذا كان يعتبر تداركاً لم يسبق أن قدمه أي زعيم عربي ... وقد حسن السادات إلى حد ما موقفه لدي كاد يشاء بمحصول ما يمكن أن تكون عليه طبيعة السلام الدائم ، وذكر إمكانية إنهاء المقاطعة التجارية العربية لإسرائيل .. وقد ألححت عليه مرة أخرى في موضوع الإنجاز النهائي الأكمل وهو الاعتراف الديبلوماسي بإسرائيل وتبادل السفراء . ولكن السادات هو رأسه قائلاً بأنه لا يظن أن ذلك يمكن أن يحدث في حياته . ولكنه قال في النهاية أن الاتفاقية يمكن أن تتضمن بدا بالاعتراف الديبلوماسي بإسرائيل بعد خمس سنوات إذا ما سارت الأمور على ما يرام .

ويقول كارتير أنه أرسل رسالة شخصية إلى السادات في 77/10/21 جاء فيها وعدته بالثقة معك لقاء خاصاً في البيت الأبيض كنت شاكراً وممتناً جداً لوعده الذي وعدتني به بأنني أستطيع الاعتماد

عن رئيسك في أية لحظة حرجية ، إذا ما قامت عقبات في حيل . هذا مشا مشا معكم سلام في الوسط . واعتقد أن بعد لحظة حرجية من هذا النوع ، فربما نحتاج إلى مساعدتك .

ويستمر كادتر في سرد مذكراته فيقول ، طفت منه أن يدرب عن تأييد مقترحنا مؤكدا أن
يبدو أنه حد بين ورعي كاد حيويا في نشته الأطراف متباعدة . . . وكان السادات قد أتى
من قريب سابروس فانس وزير الخارجية الأمريكي أنه يريد الاجتماع مع بيغن . وفيه فانس يرفض
عنه المعلومات إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي .

في ذكر كادتر اندريخ لدي طلب السادات فيه من فانس أن تخضع مع بيغن ولكن يرجع
ب تاريخ زيارات ورحلات كل من السادات وفانس . ظهر أن آخر لقاء بين الرجلين ، قبل قيام
السادات بزيارة القدس . ثم في القاهرة في أول أغسطس 1977 أثناء زيارة كان يقوم بها فانس بدور
لغربية واشتمرت حتى 11 أغسطس . ورر فيها كل من مصر وسوريا ولأردن

ماذا يقول حسن تهامي ؟

يعترف حسن تهامي في حديثه مع جريدة المصور (28 مايو 1982) بأنه قابل موشي ديان فعلا
في الحرب ثلاث مرات . وأن المرة الأولى تمت يوم 17 سبتمبر 77 . وأن مرة الثانية تمت بعدد بحوالي
أسبوعين . وبالإضافة إلى اعتراف حسن تهامي بهذه اللقاءات . فقد جاء في حديثه نقطة هامة
نقطة الأولى هي قوله ، كانت قد تمت اتصالات بين الرئيس أمور السادات والأمريكان ولست احس
دون أن أدري أنا بها . وهو حدث في يوم من الأيام بالرئيس السادات يطلبني في التلغون . وعندما ذهبت
إليه قال لي أن يريد أن نقيم سلاما مع إسرائيل وقال أن الأمريكان والملك احسن يعرفون هذا الموضوع
وهذا لقول تؤكد مذكرات موشي دايان الذي ذكر أن زيارته الأولى للملك الحسن كانت في
4 سبتمبر 77 . كذلك فإن مذكرات كادتر تؤكد عندما قال أن السادات أخبر فانس بأنه يريد أن
يقابل بيغن (أول أغسطس 1977) .

أما النقطة الثانية التي ذكرها حسن تهامي فهي أنه حلت من موشي دايان لا يحظر أحدا بعد اللقاء
ولكن ديان قال له أنهم لا يستطيعون إحياء عناصر هذه اللقاءات عن أمريكا . حيث أن أمريكا لا
وجود كامل في إسرائيل ، وأنها على علم بهذه اللقاءات .

ماذا يقول فانس ؟

عن لقاء السادات وكادتر في واشنطن في أبريل 1977 يقول سابروس فانس ، كان كادتر صريحا
في ضرورة صدور التراء عربي بالسلام الكامل وتطبيع العلاقات وبقبول إسرائيل كدولة شرعية إذا كان
يراد قيام تسوية دائمة في المنطقة . وأن أمريكا ملتزمة التزاما لا يتزعزع بسلامة إسرائيل . وعارض السادات
معارضة نصف قلبية بدأ عقد معاهدة صلح مع إسرائيل واقترح عقد اتفاقية سلام بدلا منها ، على أن
بدأ التطبيع بعد الاستحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة . وفي نهاية المفاوضات عدل السادات موقفه
قائلا أن السلام الكامل مع تطبيع لعلاقات قد يكون ممكنا في ظرف خمس سنوات بعد التسوية .

ما هي الحقيقة ؟

أ - ان أمريكا تمارس الضغط على العرب بصفة عامة وعلى مصر بصفة خاصة لكي يحلوا على

مائدة المفاوضات مع إسرائيل ، وذلك منذ عام 1967 . وقد استعجبت السادات لهذا الضغط في نوفمبر 1973 عندما قبل بمفاوضات الكيبو 101 بين مصر وإسرائيل والتي اشترك فيها اللواء عبد الغني جيمسي بن الحارث المصري ، والجنرال ياريف عن الجانب الإسرائيلي . فكان ذلك هو أول لقاء مباشر بين العرب وإسرائيل منذ إنشاء الدولة اليهودية عام 1948

2 - ولكن العصب الذي أحدثته مفاوضات الكيبو 101 على مستوى العالم العربي ، دفع السادات إلى الإقلاع عن أسلوب مفاوضات مباشرة والاستمرار في المفاوضات غير المباشرة عن طريق أمريكا . واشتد الحاح على ذلك طوال الأعوام 74 ، 75 ، 76 . وفي خلال تلك السنين لم تتوقف أمريكا قط عن ممارسة ضغوطها على العرب للتفاوض المباشر مع إسرائيل . وبالإضافة إلى هذه الضغوط فقد اتخذت أمريكا تعمل مجددة على خلق الظروف التي تضعف مقاومة العرب وتجهزهم أكثر استعدادا للجلوس مع إسرائيل على مائدة المفاوضات . ولكي تضعف أمريكا مقاومة العرب ، كان عيب أن تعمل على إيجاد قطيعة بين مصر والاتحاد السوفيتي في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية . وقد نجحت أمريكا في ذلك نجاحا تاما . بحلول عام 1977 لم تكن مصر قد خضرت للاتحاد السوفيتي كحلف فحسب ، بل أن السادات قد جعل منه عدوا للدود . وهكذا أصبح السادات في مواجهة أمريكا وإسرائيل بعد أن تم تجريده من جميع أسلحته السببية والاقتصادية والعسكرية . وهذا هو ما كنت تهدف إليه أمريكا .

3 - عندما صاغت السادات إن أمريكا في أبريل 1977 ، لم يكن معه مشروع سلام كما يدعي ، بل أنه استمع إلى شروط الرئيس الأمريكي كارتر للسلام ، وأدى تنازلات لم يبق أن تنازل بها أي زعيم عربي قبل ذلك . إن محاولات أمريكا للضغط على السادات لم تتوقف قط . وأن السادات أبلغ قاس في أول أغسطس 77 بأنه يوافق على مقالة بيجن . فكان ذلك هو قصة إشجاج بالنسبة للسياسة الأمريكية ، ونهاية محتومة لسياسة السادات العاطفة في معالحة قضية الصراع العربي لإسرائيلي

4 - ستعنت أمريكا وإسرائيل أمام مقاومة السادات وستلامه للضغوط الأمريكية ، فعمتا سرعة مبدئية لتحقيق اللقاء بين السادات وبيجن . وبعد أيام من عودة قاس إلى واشنطن (عاد يوم 11 أغسطس) ، كان دايان يطير في رحلاته إلى نيويورك وطهران ولندن والرباط ، كما سبق أن بينا . وقد قبل دايان الملك الحسن في 4 سبتمبر وقد أدى هذا اللقاء إلى لقاء بين دايان وحسن تهايم يوم 16 سبتمبر ثم لقاء آخر بين الرجلين بعد ذلك بأسبوعين . وقد تمت جميع هذه اللقاءات في إطار استجober والتخضير للقاء الكبير بين السادات وبيجن .

5 - بعد أن مضى حوالي ثلاثة أسابيع على آخر لقاء بين دايان وحسن تهايم ، دون أن يتم اللقاء بين السادات وبيجن ، قام كارتر بإرسال خطاب شخصي إلى السادات بتاريخ 21 أكتوبر ، يحثه فيه على إتمام هذا اللقاء ، بحجة بعضهم كل واحد منهما ، ودعت عندما قال (ضرورة اللقاء الأطراف المتنازعة معا) .

6 - عندما قام السادات بزيارة رومانيا في 30 أكتوبر ، فإنه ذهب للاتفاق - مع عناصر إسرائيلية - عن طريق الرئيس شوشكو - على اللغات النهائية الخاصة بالمقابلة المنتظرة بينه وبين بيجن . وبعد

هذه لا بدق تولت الأحداث كما تم الإعلان عنها في حينه . ففي 9 نوفمبر أعلن السادات أمام مجلس
شعب المصري أنه مستعد للذهاب إلى القدس . وفي 15 نوفمبر وصل مارجم بيغن رد حكومة الكتاني
في كارتز نكي بطنه إلى السادات . وفي يوم 19 نوفمبر قامت طائرة الرئيس المصري بالإقلاع من مطار
لاستامبية في زون رحمة بضمها رعيم عربي بدولة إسرائيل منذ نشأتها عام 1948

من هو صاحب الفكرة ؟

ومن هذا العرض فربما يعتبر أن أمريكا هي صاحبة الفكرة . وإن السادات وغيره من امتركونا في
هذه نعمة . لم يكونوا صون مجرد أدوات استحيين أمريكا في إخراج هذه القضية لأنها وجدت فيهم
العدادا لثقيف هذا الدور وسواء كان السادات مقتنع بهذا الدور الذي تختير له . أو أنه خدع بواسطة
الإدارة الأمريكية التي دفعته إلى طريق لم يكن يريد أن يسير فيه . فإن ذلك لا يعني أنه كان مجرد ممثل
في مسرحية من تأليف وإخراج أمريكي

وبالنسبة فإن ما يدعيه السادات بأن فكرة زيارته لقدس تلوزت في ذهنه عندما كانت الطائرة
تعبّر به أحباء تركية . هو مجرد زبرورات . لكي يصني على نفسه صفة المشارك في التأليف والإخراج
ويكفي لإثبات ذلك . أن كان ما طالب به السادات في محادثاته مع كارتز في أبريل 77 . لم يتحقق
منه شيء . في حين أن كل ما قاله كارتز لسادات في هذا اللقاء تحقق بالكامل .

الهوامش

الباب الأول

- (1) بعد بضعة شهور من وصولي إلى لندن ، وبعد أن شعر بالإحراج الشديد تسببه قيام سوريا بحملتي "علل وسام عسكري" بدمشق ، قام السادات بحملتي "خطة الشرف" وبعد ذلك الحين بدأت تبس أوستني في المساسات التي تتطلب ذلك.
- (2) اللهم لا تماته . بعد احتطاف صميم النوري في فبراير 80 أثناء زيارة قصيرة كان يقوم بها في بيروت ، ثم وجدت جثته بعد ذلك بعد عدة أيام وقد قُطِعت يده التي كان يكتب بها . وفي 6 أكتوبر 80 قام أربعة رجال بعبادة الملازم أول خالد الأملاميولي بقصر "السادات" أثناء العرض العسكري الذي أقيم في القاهرة احتفالاً بالذكرى حرب أكتوبر المجيدة.
- (3) عمت من بعد من الصحفي عبد السار طويلة ، أن اسماعيل فهمي وزير الخارجية هو الذي تسجل وطبب إيفاد توزيع مجلته روز اليوسف . بعد أن عرف من بحديثي مع الشرقاوي مرة أخرى أقول لو أن اسماعيل فهمي يعرف أن السلطة رائلة وأنه سيأتي عليه اليوم الذي هو نفسه لن يستطيع أن يعبر عن رأيه ويدافع عن نفسه ضد اتهامات من بينهم السلطة ، لا احترام . في الآحرين قد سمى مصادرنا هذا العدد من مجلة روز اليوسف ، ولكن هذه هي حال الدنيا ، الحلقة سحر والناس لا يعلمون.
- (4) حصر القذافي الاحتفال الذي أقامه السادات في مجلس الشعب المصري يوم 28 فبراير 74 ، ولم تتدهور علاقته مع السادات إلا في يوليو 1977.
- (5) اللواء كارينجتون أصبح وزيرا للخارجية في حكومة الممر ناتشر التي وصلت إلى الحكم في شهر يونيو 1979.
- (6) الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد بولي منصب وزير الاقتصاد والمالية والنخطيط في حكومة السادات مايو 80 وقد كان السادات يطمح عليه إرث هاريد المصري نسبة إلى لاقصادي الألماني الذي أعاد بناء اقتصاد ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية . وبعد مقتل السادات تقل من ثلاثة شهور كشفت المعتقدات حول ما وصل إليه الاقتصاد المصري من تدهور في عهد السادات ، وفقد الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد جميع مناصبه .
- (7) نتيجة مقالة خاصة بين ديفيد جيسور والرئيس السادات ثم ريدة مدة الامتياز إلى 70 سنة ثم إلى 90 سنة وقد عرفت هذه المعلومة من خلال المنشآت التي دارت في مجلس الشعب حول هذا الموضوع عام 79.
- (8) غادرت السفينة المتحدة يوم 6 سبتمبر 75.

لباب الثاني

- (9) إن تصويب الدول في الأمم المتحدة هو أحد المقاييس الحاسمة لفرز الاعداء والاصدود.
- (10) ساكرينو مسجيس ، ولد في 1907 في روما.
- (11) لهذا الرجل دجيل الحكي اوان حكيمه ذكاه ان كان يحب ان يفسر جميعه به مسجيس . في حرب تنحيايت رئاسه جمهوريه عام 77 بوسه 76
- (12) سورة العنكبوت الآية 11 ، 12
- (13) ولدت لوسيدا في 22 مارس 907 . ه أما فرانسيسكو نيك . من مواليد 1 . بوج 1908 . اكتب كتاب من مواليد 11 مارس 1910 . ولم يكن في من الاطفال ثلاثه يعرف برفاهة و كندة
- (14) تولي فرانسكو في 4 أبريل 1919 وتوفي حاسيا في يوم الجمعة 20 فبراير 1920 . في بوسب بعد دخلت خليجا في مايو 21 وبقيت به حتى تخرجت منه في 23 أغسطس 26 . ثم دخلت دير مسجيس بعد ساند دوروني ST.Dorothy في قرية على الحدود اشمالية لبرتغال وفي 10 ديسمبر 25 تم سجنه به . بعد . مرة أخرى . وفي عام 1935 انتقلت إلى مدرسة في بونتيڤيدا Pontevedra حيث ظهرت لها العذراء مرة أخرى . ولاراست بوسيا تعيش حتى الآن
- (15) يتم ذلك من يلقى الفرد ب حصرة السيدة مريم لمدة أربع ساعة في يوم السبت الاول من كل شهر حيث يعرف خطاه . ويردد ادعية خاصة ويطلب الصمغ عن الأخطاء التي ارتكبت ضد لام لظاهرة . ويكرر ذلك خلال خمسة شهور متتالية
- (16) قام الاطفال أن العذر ، قالت هي ثلاثة أسرار ولكن طفت منهم ألا يذكرها لأحد . ومات فرانسكو وحاسيا ومعهم سرهما . وبعد عام 39 بدأت إداعة الاسرار . ومع كل سر يدع يقال في العذر . والمسبح قد أد إداعة في ميسر 39 . دعي أسلوب وطريقة إجراء الدعوات في أيام السبت الجمعة . وفي عام 24 أديع السر لخاص نعيم والخاص بالدعوات من أجل روميا حتى يعود إلى مسجيس . ثم السر لثالث فإنه لم يتم إدعته حتى الآن . ويقال أن روميا قد سمعت الباب جون الثالث والعشرين Pope John XXIII . بأن الحرب العالمية الثانية مقروفا مطلقا يحوي السر لثالث . وأن الباب قام بفتح المقفول عام 1960 في حضور الكاردينال Cardinal Ottaviani . وأنه بمجرد أن اطلع على السر لثالث وجهه وأسرع بإعدته إلى المقفول وأعاد إغلاقه . ولم يعلن البابا أواي من خطائه عن هذا السر حتى الآن . ولكن الإشاعات التي نشرت خارج الفاتيكان تدور أن هذا السر يروي بأنه شملت خلافات عميقة داخل الكنيسة . وأن الشيطان سيحقق انتصار داخل الفاتيكان . ويبدو أن هناك الكثيرون من يؤمنون بهذه البوابة ، وبطالون مكشعها وإداعها على الناس . في يوم 2 مايو 1981 احتفل الراهب جيمس دوسر James Downer عذره إيرلندية وأرغمها على المبطوط في فرنسا . وهدد بنسف الطائرة عن فية إذا لم يقم الفاتكان بإداعة السر الثالث لخاصها . ولكن القوات الخاصة الفرنسية عجمت في اقتحام الطائرة وقبضت على الراهب جون بحال في الأرواح . وإذا كان الراهب قد فشل في إرغام الفاتكان على إداعة هذا السر . فإنه لا شك قد نجح في إظهار مدى تمتد واسع الكثير من المسيحيين بغصة ظهور العذراء في قلوبهم . وأن كل ما روه أنيطال هذه القصة هو حق . وأن كل ما ذكرته لوسيدا من نبوءات لا بد وأنه سيتحقق .
- (7) . راجع ما سبق أن ذكر مع الله باب الاسرار لثلاث لم ترد في تقرير المطران . وحتى ذلك التاريخ كان كل ما أدعاه لاطفال الثلاثة هو أن العذراء . طعنهم على أسرار و أنها طفت منهم عدم إداعتها وقد ائرمو بذلك
- (8) أحدثت القصة الرسمية لهذا الاحتمار نرد عام بعد عام حتى أصبح سالاروا يحضر معه هذه الاحتفالات ويشارك فيها سقراء الدول المتصلين في البرتغال .

(19) لا يعرف حتى الآن عدد الأسرى التي لم تعرف حتى الآن ، وإن ما ذكرناه ، لها من لا يعلم ، كانت ما تم معرفته حتى الآن ، ولكن من الناحية العرفية فإنه يمكن إسماعه أي من جديده عن أحد ، كانت جزء من هذا السر ، وذلك لتمام على أن السر الحاصل عنهم والخاص به هو ما يطلق عليه المؤرخون بهذه القصة بالسر الثاني وهو ما يطلق عليه المؤرخون بهذه القصة بالسر الثاني

الباب الثالث

(20) أنظر نص هذا البيان في الملحق أ

(21) لقد علمت حوالي منتصف ليلة 14/13 مايو بأن الفريق محمد عويش ورئيس الحرية والقائد العام للقوات المسلحة قد قدم استقالته إلى رئيس الجمهورية ، وأن الرئيس السادات قد قبلها وعين الفريق محمد صادق وزيراً للحرية وقائداً عاماً للقوات المسلحة .

(22) يستخدم بيحي لفظ **Samaria & Judea** عندما يريد الإشارة إلى أراضي الضفة الغربية . وهي الأسماء العبرية التي أطلقها إسرائيل على تلك المنطقة

(23) بعد أن تسربت الأخبار عن لقاء موشي دايان مع حسن تهاوي إلى وسائل الإعلام الغربية ، ولم السدات يثني هذه الأخبار ، وبالرغم من أن إنكار حدوث اللقاءات بين موشي دايان وبين حسن تهاوي لم يعد له ما يبرره بعد لقاء السادات مع بيحي علنا في القدس ، إلا أن السادات لم يصرف قط بيقين عنه لقاءه وبالأخص من أن موشي دايان اعترف بتلك اللقاءات في مذكراته وأبحاثه ، إلا أن القصة لم تعرف بها إلا بعد مقتل السادات بحوالي ثمانية شهور . في 28 مايو 82 طالبنا حريدة المصور الأسبوعية بحديث طويل مع حسن تهاوي ، وقد اعترف حسن تهاوي بأنه التقى مع موشي دايان في الرباط يوم 17 سبتمبر 77 وذلك بكلية من السادات ، وأنه قال موشي دايان مرة ثانية في حصر الصحيرات في المغرب بعد ذلك بأسبوعين ، وأنه قابلته مرة ثالثة بعد أسبوعين آخرين في حصر الصحيرات من مدينة فاس ، وذكر أن الملك الحسن الثاني ملك المغرب قد حضر جميع هذه اللقاءات الثلاثة

(24) مع بداية عام 1981 كانت المعارضة ضد نظام السادات تتزايد يوماً بعد يوم ، وكانت الحبة الوحيدة المصرية التي شرقتيها أن تكون أسبب لعدم تعود الشرس المعارضة ضد السادات ونظامه ، وبدأ السادات بفقد أعضائه وفي 8 يونيو 81 لم يكتبي السادات بأن يضعني تحت الحراسة ، بل أنه وضع سائي أيضاً تحت الحراسة بالرغم من أني عبر لأصوات من ومروحات من أكثر من عشر سنوات قبل وضعي تحت الحراسة وفي 4 سبتمبر من نفس العام اعتقل 1536 من أعضاء المعارضة داخل مصر وفي 6 أكتوبر 81 قتل السادات

(25) في يوم 25 يونيو 78 صدر القرار الجمهوري رقم 272 بقسلي من العمل من الملك الديلواماسي ، ثم صدر بعد ذلك القرار الوزاري رقم 1587 بنفس المصنوع بتاريخ 27 يونيو 78 ، وبكفي لم عرف هذه القرارات إلا بعد وصولي إلى الجزائر بملحة طويلة

(26) لم يكن لسوريا تمثيل دبلوماسي في لشونة ، وكان العراق به تمثيل غير مقيم (كان سفير العراق في باريس هو الذي يقوم بتمثيل بلاده في لشونة) ، أما ليبيا فقد كان ما تمثيل مقيم في لشونة حتى يونيو 77 ، ولكنها سحبت لقائم بالأعمال السبي في هذا التاريخ على إثر اعتراف حكومة الرتمان بالسرطان ، ولم يبق في السفارة الليبية سوى شخص واحد للقيام بالأعمال الإدارية .

الباب الرابع

(27) قبل أن يبدأ مصارع الثيران لأسائي في مقابلة الثور ، يدخل الحلبة حصان مصوب العينين وحول جسمه دروع ثقيلة ، وموق ظهره فارس يمس حول جسمه دروعاً ثقيلة ويحمل بيده حربة طويلة ، وعندما يقوم

الثور مع جثة فإن القدرس يقوم بفرض الحربة في عنق الثور وهو ما يزال على مسافة عشرين تقريبا من القادوس
وحصانه وكلمة ان لفع الثور في اتجاه القادوس ، كلما زاد بفارس الحربة في عمقه والعرض من هذه العمدة
هو اختبار شجاعة الثور وبمعدله قبل أن يارل انصارع الرئيسي ، الذي يصارعه وهو مترجل و يختف
هذا الأسلوب اشتلا جلدريا عن لسوب المصارعة في البرتغال .

(28) حصل كل من أليم الباسك في شمال اسبانيا وأقيم قطلوب في لشرق على حكم داني اعتبار من أكتوبر 1979

فهرسُ الأسماء

١

- الأزهري : 87 ، 88
- الأزورس : 78 ، 89 ، 93 ، 102
- أنيفيدو (ادميرال) : 108 ، 109
- أسامة الباز : 32 ، 33 ، 34 ، 35
- أسبانيا : 19 ، 20 ، 69 ، 159 ، 160 — 179
- الإسماعيلية : 147 ، 195
- اسماعيل (الخليوي) : 64 ، 136 ، 138
- اسماعيل فهمي : 13 ، 20 ، 32 ، 33 ، 34 ، 35 ، 37 ، 66 ، 67 ، 68 ، 69 ، 70 ، 134 ، 191 ، 197
- إسرائيل : 31 ، 39 ، 49 ، 80 ، 81 ، 84 ، 106 ، 130 ، 134 ، 141 ، 146 ، 147 ، 188 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193
- السفير (صحيفة) : 32 ، 33 ، 34 ، 35
- اسكتلندا : 32 ، 163 ، 165 — 174
- الاسكوت : 163
- ابراهيم شكوي : 137
- ابراهيم كامل : 155
- ابراهيم نجيب : 65
- ابردين : 167
- اتحاد اذاعة لندن : 19 ، 20
- الاتحاد السوفيتي : 22 ، 31 ، 39 ، 68 ، 69 ، 79 ، 130 ، 133 ، 137 ، 141 ، 190 ، 191 ، 194
- الاتحاد القومي (البرتغال) : 95
- اتفاقية سيناء : 133 ، 134
- اتفاقية فصل القوات : 133
- ألبانيا : 20
- الحب : 97
- احمد زكي : 64
- الأخضر ابراهيمي : 150 ، 151
- أدنبرة : 167
- الاذاعة البرتغالية : 105 ، 110
- الاذاعة البريطانية : 43 ، 74 ، 154
- الأردن : 134 ، 146 ، 191 ، 193
- أرمينيا : 22

— إيطاليا : 136 ، 152 ، 155 ، 165 ،
166
— ايل اوف مان : 169

ب

— الباهيا : 120 ، 198
— باتو : 108 ، 109
— باداخوش : 99 ، 179
— بادوك (سيمون بادوك) : 63
— بارك (الرئيس) : 140
— بارو (هتريك دي بارو) : 105
— باريس : انظر فرنسا
— الباسك : 179 ، 200
— باكستان : 57 ، 88
— بالمبلا (الكوتيسية بالمبلا) : 124
— باؤول زبون : 48
— البايدي (الخبايا البرتغالية) : 97 ، 98 ،
99
— بحيرة نيس : 170
— البرتغال : 5 ، 6 ، 66 ، 70 ، 71 —
124 ، 175 — 183 ، 185 ، 187 ،
188 ، 189
— برشلونة : 73
— برومبيف (الرئيس) : 191
— بريطانيا : انظر المملكة المتحدة
— بطس غالي : 82
— بنجلاديش : 58
— بنزاس : 173
— بنغازي : انظر ليبيا
— بنيش : 97
— بورتو : 93 ، 99 ، 119 ، 183
— بوكاسا (الرئيس بوكاسا) : 95

— الأسلحة : انظر السلاح
— أسوان : 12
— اطيبة : 180 ، 182
— اشوريل : 152
— اشرف مروان : 67
— الاعلام العالمي : 151 ، 152 ، 153 ،
154 ، 155 ، 156 ، 158
— الاعلام العربي : انظر الصحف العربية
— الاعلام المصري : انظر الصحف المصرية
— الاكسبرسو (صحيفة) : 142
— المالية الغربية : 136 ، 165 ، 166 ،
172 ، 180 ، 182
— الامارات العربية : 91 ، 134 ، 136
— امريكا : 31 ، 39 ، 49 ، 50 ، 79 ،
102 ، 130 ، 133 ، 134 ، 136 ،
141 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ،
194 ، 195
— امساكية : 89
— انجرا : 97
— انجلترا : انظر المملكة المتحدة
— الانجيل : 17
— انجولا : 74 ، 75 ، 101
— الاندلس : 180 ، 181 ، 182
— اندورا : 179
— الانفتاح : 135 ، 136 ، 137 ، 138 ،
141
— انفراجوي : 170
— انور السادات : انظر السادات
— اوتافياي (انكاردينال) : 198
— اوروجواي : 49
— اوتلو (الميجور/الجنرال) : 108 ، 109
— ايانش (الجنرال/الرئيس) : 108 ، 109
— ايران : 136 ، 191 ، 194

- بولندا : 22
- بيجن : 145 ، 146 ، 147 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 199
- الجسريل : 115
- جمال عبد الناصر (الرئيس) : 75 ، 128 ، 130 ، 137 ، 138 ، 139 ، 141 ، 189
- الخميس (اللواء/الفرق) : 32 ، 194
- جلالهجو : 167
- جنوب أفريقيا (اتحاد) : 78 ، 84 ، 100 ، 101
- جيب : نظر سويسرا
- جودهارت : 54
- جومش (الرئيس كوشتا جومش) : 77 ، 108 ، 109
- الجولان : 23
- جون وجرات : 173
- جويش كرويككل (صحيفة) : 25
- الجيش الثالث : 50 ، 51
- جيلمور (ديفيد جيلمور) : 63 ، 64 ، 197

ح

- حافظ الأسد (الرئيس) : 143 ، 147
- حافظ اسماعيل : 13
- احركة الديمقراطية (البرتغال) : 105
- حرم سعد الشاذلي : 19 ، 20 ، 148 ، 150 ، 153 ، 159 ، 165 ، 166 ، 167 ، 170 ، 179 ، 180 ، 186
- حزب الاتحاد الديمقراطي الشعبي (البرتغالي) : 81 ، 105 ، 107 ، 110
- حزب الاحرار (البرتغالي) : 46 ، 106

ت

- التاييز (صحيفة) : 22 ، 23 ، 41
- تركيا : 22 ، 68 ، 87 ، 152 ، 191 ، 195
- تشرشل (راندولف) : 47
- تشيكوسلوفاكيا : 22 ، 103
- التلفزيون الامريكى : 154
- التلفزيون البرتغالي : 87 ، 105 ، 110 ، 154
- التلفزيون البريطاني : 23 ، 38 ، 39 ، 40 ، 43 ، 74
- توماس (الادميرال امريكو توماس) : 98 ، 99
- تونج : 173

ث

- ثاتشر (المسز ثاتشر) : 52

ج

- الجارديان (صحيفة) : 18 ، 36
- جاميتا : 119 ، 119 ، 120 ، 121 ، 198
- جانر (جريفيل جانر) : 17 ، 18
- الجراوس : 163 ، 166 ، 170 ، 171
- الجرف : 178 ، 179
- الجزائر : 101 ، 103 ، 150 ، 151

- الدستور : 103 ، 104 ، 105 ، 107 ، 140 ،
— دجلادو (الجنرال أوميرتو)
— دجلادو : 98 ، 99 ، 179
— دليس : 64
— دمشق : انظر سوريا
— دول السوق الأوروبية المشتركة : 50 ، 78
— الدروميكان : 49
— دير ياسين : 145 ، 146
— ديساي : 191
— ديستان (الرئيس) : 191
— الديلي اكسبرس (صحيفة) : 20 ، 21
— الديمقراطية : 5 ، 6 ، 29 ، 30 ، 35 ، 39 ، 41 ، 43 ، 55 ، 80 ، 82 ، 95 ، 96 ، 98 ، 102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 107 ، 109 ، 110 ، 111 ، 112 ، 122 ، 127 ، 138 ، 139 ، 140 ، 141 ، 148 ، 149 ، 154 ، 187 ، 188 ، 189 ،
— الديون (مصر) : 135 ، 136 ، 137 ، 138 ، 141
— الحزب الاشتراكي (البرتغالي) : 81 ، 104 ، 105 ، 107 ، 108 ، 109 ، 123
— الحزب الاشتراكي الديمقراطي (البرتغالي) : 80 ، 81 ، 82 ، 104 ، 105 ، 107 ، 108 ، 123
— الحزب الديمقراطي لاجتماعي (البرتغالي) : 81 ، 105 ، 107 ، 108 ، 123
— الحزب الشيوعي (البرتغالي) : 79 ، 81 ، 104 ، 105 ، 107 ، 108 ، 123
— حرب العمال (البريطاني) : 46 ، 48 ، 49 ، 53
— حرب غناتين (البريطاني) : 46 ، 48 ، 49 ، 51 ، 52 ، 53
— حسن تهايمي : 147 ، 191 ، 192 ، 193 ، 199
— الحسن الثاني (الملك) : 192 ، 193 ، 194 ، 199
— حسني مبارك (نائب الرئيس) : 67 ، 192
— حسين (الملك) : 191
— الحوادث (مجلة) : 27 ، 28

ر

- الرأس الاخطر : 74 ، 75
— راسي (معهد) : 36
— الرباط : انظر المغرب
— رضا بهلوي (الشاه) : 95
— رمسيس الثاني (الفرعون) : 143
— روديسيا : 84
— روزليوسف (مجلة) : 41 ، 197
— روسيا : 116 ، 120 ، 122 ، 198

خ

- خالد الاسلامبولي : 197

د

- داكوتشا (الجنرال جومش)
— داكوتشا : 93 ، 102
— دارلو (جيمس دارلو) : 198
— داهان : انظر موشي داهان

- روما : انظر ايطاليا
- رومانيا : 146 ، 191 ، 194
- ريشي (شارل ريشي) : 63
- ريتون (جورجي ريتون) : 51 ، 52
- الرعيير الانجليزية : 173

س

- السادات (الرئيس) : 5 ، 6 ، 11 ، 12 ، 15 ، 16 ، 27 ، 28 ، 30 ، 31 ، 32 ، 33 ، 34 ، 36 ، 38 ، 41 ، 42 ، 50 ، 51 ، 64 ، 66 ، 74 ، 76 ، 82 ، 83 ، 91 ، 104 ، 111 ، 112 ، 113 ، 125 — 160 ، 186 ، 187 ، 188 ، 189 ، 190 — 195 ، 197 ، 198 ، 199
- ساكازيرو : 80 ، 198
- سالازار : 74 ، 75 ، 77 ، 78 ، 82 ، 93 ، 94 ، 95 ، 96 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 111 ، 112 ، 119 ، 121 ، 122 ، 124 ، 140 ، 175 ، 179 ، 187 ، 198 ، 199
- سامية الخاذلي واطفالها : 152 ، 153 ، 158 ، 159 ، 165
- سان تومي : 74 ، 75
- سان دوروتي : 198
- سارنهاميون : 75
- سعاد : 19
- سعد متولي : 152 ، 153
- السعودية : 90 ، 91 ، 92 ، 134 ، 136
- السلاح : 134 ، 135 ، 137 ، 141

- السلفادور : 49
- سليم (اللورد) : 62
- سليم الموزي : 27 ، 197
- صبيح انور : 168
- سوارش (مايو سوارش) : 82 ، 109
- سوزين بامبيك المتحدة : 63 ، 64
- سوريا : 23 ، 24 ، 135 ، 147 ، 150 ، 151 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 191 ، 193 ، 199
- السويد : 79
- سويسرا : 38 ، 39 ، 79 ، 103 ، 155 ، 165 ، 166 ، 191 ، 197
- سيده دولوروس : 117 ، 118
- سيده الكرمل : 117 ، 118
- سيده فاطمة : 120
- سرجايو (الكرديال
- سرجايو) : 120 ، 121

ش

- شارلتون (مايكل شارلتون) : 38
- شارون (الجنرال) : 146
- شوشكو (الرئيس) : 146 ، 191 ، 194
- شعوتجارت : 182
- شلوموفيتش (ماركوس شلوموفيتش) : 17 ، 18

ص

- الصحف البريطانية : 13 ، 14 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 41 ، 74
- الصحف العربية : 27 ، 28 ، 32 ، 33 ، 41 ، 42 ، 141 ، 142 ، 150 ، 155 ، 156

- الصحف المصرية : 11 ، 12 ، 34 ،
35 ، 37 ، 43 ، 134 ، 139 ،
147 ، 149 ، 153 ، 154 ، 155 ،
156 ، 158 ، 174 ، 188 ، 189 ،
191
— صدام حسين (الفائب/الرئيس) : 156
— الصهيونية : 12 ، 13 ، 14 ، 16 ،
17 — 25 ، 39 ، 40 ، 41 ، 47 ،
48 ، 49 ، 56 ، 57
— الصين : 191
- عبد الغني الجعفي . انظر الخمسي
— عبد المجيد فرهد : 151 ، 153 ، 156
— عثمان أحمد عثمان : 63
— العذراء (السيدة مريم) : 115 — 124 ،
198
— العراق : 150 ، 151 ، 156 ، 157 ،
158 ، 159 ، 160 ، 199
— العلمين : 21
— علي محمدي الجمال : 148
— علي صبري : 129 ، 130
— علي منصور : 82
— عيسى يوشلاغم : 159

غ

- غرناطة : 180 ، 181
— الغزال : 163 ، 171 ، 172 ، 173
— غينيا بيساو : 74 ، 75

ف

- الفاتيكان : 53 ، 198
— فاطمة : 115 ، 118 ، 119 ، 120 ،
122 ، 123 ، 124 ، 198
— فاس (سايروس فاس) : 191 ، 193 ،
194
— فرانكو (الرئيس) : 140 ، 187
— فرنسا : 22 ، 67 ، 75 ، 81 ، 101 ،
134 ، 136 ، 155 ، 165 ، 166 ،
179 ، 182
— فرنسو : 99
— فرنسيسكو : 115 ، 116 ، 119 ،
121 ، 198

ض

- الضفة الغربية (نهر الأردن) : 134 ،
146 ، 149 ، 190 ، 199

ط

- طرابلس : انظر ليبيا
— طرابلس : 97
— الطلبة العرب : 13 ، 29 ، 30 ، 31 ،
32 ، 167
— طهران : انظر ايران

ع

- العالم الاسلامي (مجلة) : 39
— عبد الحكيم عامر (المشير) : 128
— عبد الرحمن الثالث : 182
— عبد الرحمن الشوقاري : 41 ، 197
— عبد الرزاق عبد المجيد : 61 ، 197
— عبد الستار طهيلة : 68 ، 197
— عبد العزيز حجازي : 54

- فرور (انطونيو فرور) : 98
 - فلبين : 22
 - فلسطين : 146 ، 149 ، 190 ، 191
 - فهد (الأمير/الملك) : 27
 - فورس (سكوت فورس) : 22
 - الفوركادورث : 177
 - فوزي عبد العزيز : 87 ، 88
 - فيتنام : 22 ، 49
 - الفيزانت : 163 ، 164 ، 165
 - فيصل (الملك) : 59
 - فيلار : 119
 - فيلانوف دي أورم : 120
 - فينا : انظر النما

ق

- قبرص : 67
 - القدس : 6 ، 53 ، 146 ، 147 ، 148 ، 149 ، 150 ، 187 ، 190 ، 191
 - القرآن الكريم : 6 ، 17 ، 74 ، 152
 - قرطبة : 180 ، 181 ، 182
 - قطاع غزة : 146 ، 149 ، 190
 - قطالونيا : 180 ، 200
 - قطر : 134 ، 136
 - القبطرة : 23 ، 24
 - القيسوي : 136

ك

- كارادون (اللورد) : 53 ، 54
 - كاتر (الرئيس) : 147 ، 190 ، 191
 - 192 ، 193 ، 194 ، 195
 - كارمونا (الجنرال) : 93 ، 94

- كانيجتون (اللورد) : 52 ، 53 ، 197
 - كاشياش : 97
 - كلاهان : 54 ، 66 ، 67 ، 191
 - كاهان : 13
 - كايانو : 75 ، 77 ، 82 ، 94 ، 95 ، 102 ، 103 ، 111 ، 187
 - كروات : انظر يوغوسلافيا
 - كراوتش (ديفيد كراوتش) : 51
 - كشمير : انظر الهند
 - كمال الدين حسين (النائب) : 140
 - كندا : 22 ، 136 ، 155
 - الكنيسة : 147 ، 191
 - كنيسة الروماني : 120
 - كوريا (الجنوبية) : 22 ، 140
 - كوستاريكا : 49
 - كوفدا دا ايريا : 115 ، 120
 - كويال : 124
 - الكويت : 91 ، 136 ، 152
 - كويمبرا (جامعة) : 93
 - كيسنجر : 23 ، 38 ، 39 ، 40 ، 50 ، 54

ل

- لارنكا : 156
 - لبنان : 191
 - لشبونة : 5 ، 73 ، 75 ، 76 ، 149 ، 150 ، 151 ، 152 ، 155 ، 156 ، 157 ، 158 ، 159 ، 160 ، 182 ، 183 ، 185
 - لندن : انظر المملكة المتحدة
 - لوسيا : 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ، 122 ، 198

- لوكا دو كاميسو : 121
- لوموند (صحيفة) : 134
- لها : 68 ، 69 ، 88 ، 129
- : 131 ، 150 ، 156 ، 157 ، 158
- : 159 ، 160 ، 199
- ليراليا : اطر الاتحاد السوفيتي
- ليكود (مخالف) : 146
- مطران كيسة لورا : 120
- معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفيتي : 113
- المعسكر الشرقي : 81
- المعسكر الغربي : 81 ، 157 ، 176
- معمر القذافي : 68 ، 156 ، 97
- المغرب : 6 ، 84 ، 88 ، 134
- : 147 ، 191 ، 192 ، 94

م

- ماديرا : 78 ، 89
- ماركس ان ميسر : 18
- مجلس العموم (البريطاني) : 24 ، 47
- : 54 ، 58 ، 68 ، 69
- مجلس قيادة الثورة (البرتغال) : 80
- محمد بشير الاوسطى : 157
- محمد صادق (فريق) : 199
- محمد فايق : 130
- محمد فوزي (فريق) : 199
- محمود لطفى : 61
- محي الدين صابر : 88
- انتخابات العامة : 13
- مدريد : انظر اسبانيا
- مذكرات (حرب أكتوبر) : 142 ، 143 ، 144 ، 145
- المركز الاسلامي (في البرتغال) : 87
- : 88 ، 89 ، 91 ، 152
- الملحن (بريطانيا) : 57 ، 58 ، 59
- المسيح : 115 ، 117 ، 118 ، 121 ، 198
- ملاك البرتغال : 121
- ملحق حربي : 12
- المملكة المتحدة : 5 ، 6 — 9 ، 70
- : 75 ، 106 ، 134 ، 136 ، 155
- : 158 ، 159 ، 163 — 174 ، 185
- : 191 ، 194 ، 197
- منذر الوندأوي : 156 ، 157
- منظمة التحرير الفلسطينية : 82 ، 134
- منك (يتر منك) : 63
- منول (مارشال الجو) : 37
- مودلنج (ريجنالد مودلنج) : 52 ، 54
- موران (لورد) : 159
- مورسيق : 74 ، 75 ، 100
- مؤسسة الوطن العربي : 6
- موسى صبري : 34 ، 35
- موشي ديان (الجنرال) : 146 ، 147
- : 191 ، 192 ، 193 ، 199
- ميلو اتونش : 80

ن

- النما : 20 ، 79 ، 165 ، 166
- نيكاراغوا : 49
- نيكسون (الرئيس الامريكى) : 49
- نيودهي : انظر الهند
- مشروع الاتحاد (اللاتفي) : 129
- مصر : في معظم صفحات الكتاب
- مصطفى ابو زيد : 129
- مصطفى خليل : 82

هـ

- هاريس صبيحة 146
- هارو 21
- هاشي 49
- هيدريش 55
- هوتو 46
- هت (نكتات) 171
- هند 22 57 191 194
- هورة (النسر تيمو هوراد) 23 24
- هوراد (الخزان ليتزان هوراد) 15
- 16
- هوري بومدين (الرئيس) 150
- 151 153 155
- هوتكو فينج (الرئيس) 191
- هوتدا : 50 136
- هيئة التجميع العربية 67 134
- هير (مباق) : 162
- هوراد (أدولف صبيحة) 28
- هوراد حرجية صبيحة 12 27
- 32 36 40 155
- هنو صبيحة 19 20
- وكادة (أدولف) 155
- زشر ديس زشر 51
- زنسور هوراد زنسور 47 48
- 49 54 67
- زميسن نضمي 30
- زندرير 167
- زيز 169

ي

- يابان 22 50 136
- ياجي (الجنوبي) 150
- يوسف (ألسيد يوسف) : 117 118
- يوسف المباعي : 142
- يوغوسلافيا : 22
- واي (سليمان واي) 85 88 90

و



المعتكفين في الحرم مع مؤقتة تحيي لشفاعة المصريين بالبرلمان برددوا الدعاء



صلاة العيد في نهاية رمضان الحظي لعام 1397 هجرية الموافق 16 سبتمبر 1977
في حديقة عرب السعد وقد حضر هذه الصلاة حوالي 1000 شخص



أحمد الشاذلي في مدينة شبراخيت - مصر
 مع الدكتور محمد عبد الرحمن في مدينة شبراخيت - مصر



مقبرة دحل محرم جامع فرقة حيث نهر الآلة الكريمة « لحمد لله الذي هدانا
 هنا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله »



الفريق الشاذلي في حديث مع الجنرال كوشتا جومش رئيس الجمهورية البرتغالية الذي
بقى في السلطة حتى 5 يوليو 76 وظهر بينهما عزيز سيف النصر الوزير المفوض
بالسفارة



تفريق الشافعي مع عمدة هارو



الفرق الشاذلي في رحله صيد في امكلا

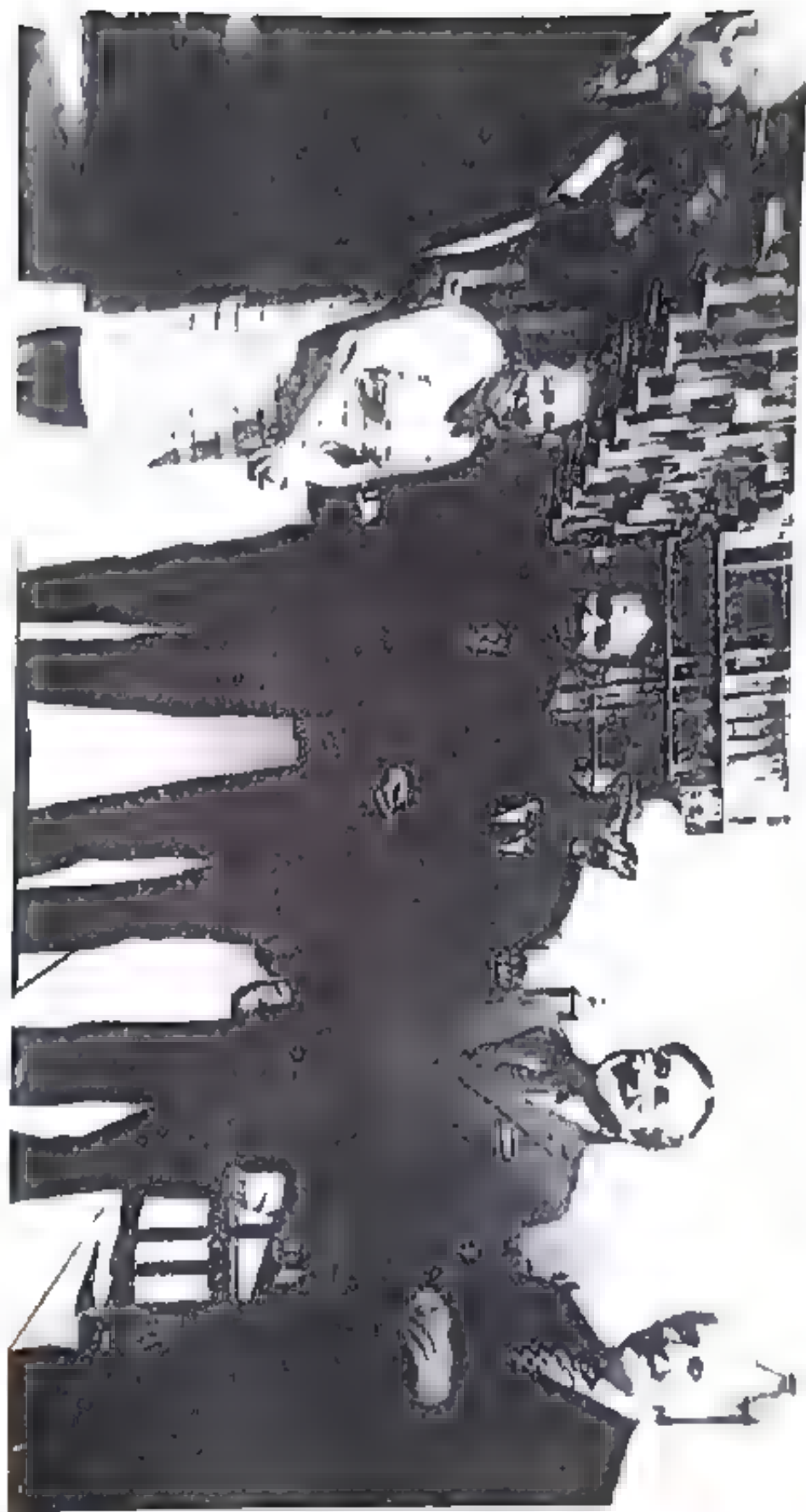


الفرق الشاذلي في حديث مع الجنرال ايمانوش رئيس الجمهورية البرتغالية اعتساروا من يوم
6 يوليو 76 ، وظهر بينهما الميجور ميلو أنتونش وزير الخارجية

عمل تعليم حمر السكان الى مدينة صلالة



الرفيق الحاذق مع عدد من أعضاء المجلس الوطني في مساء مبنى ويستمنستر



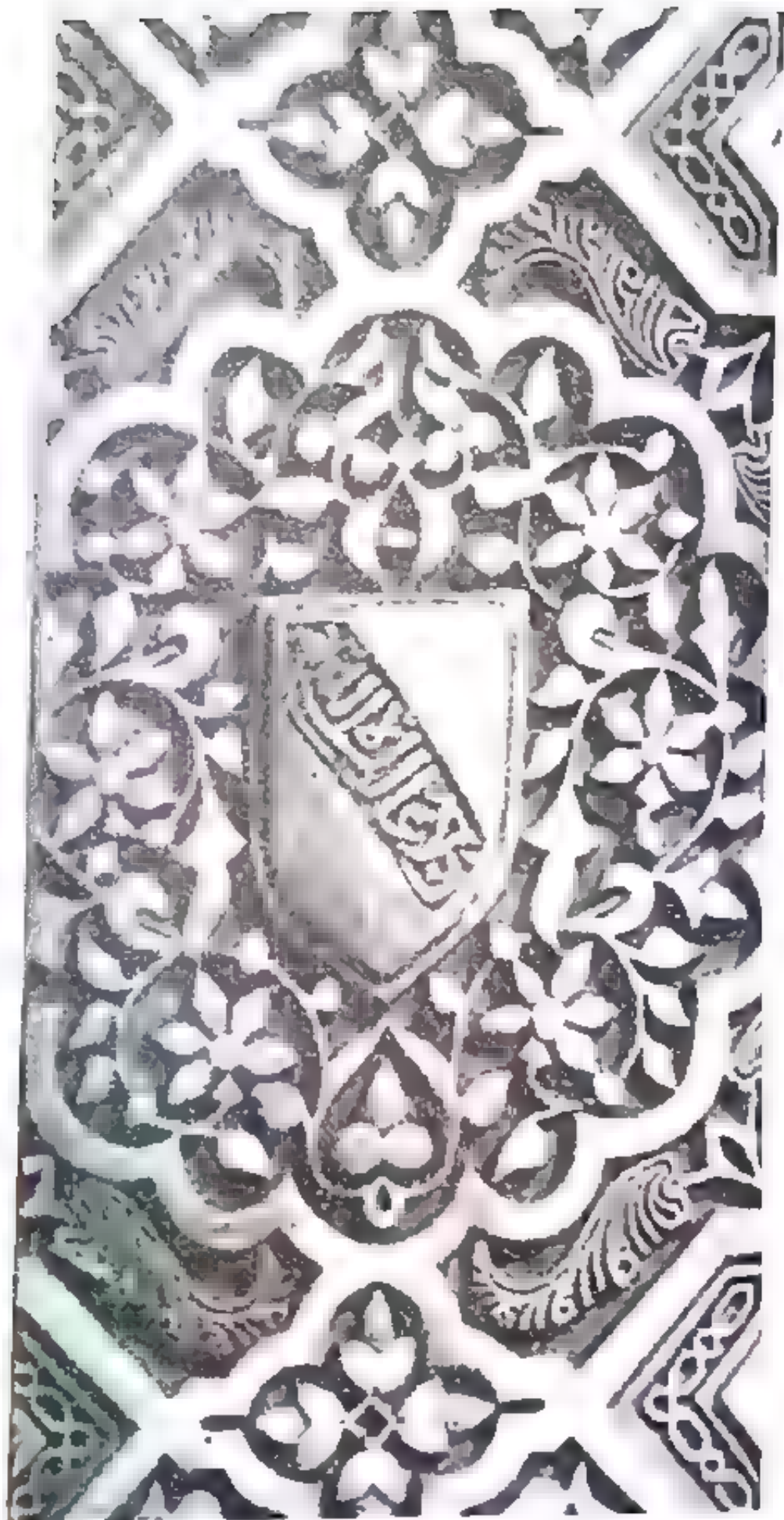
الفرق الشاذلي محمد بالمرحون مدير مركز الأبحاث في القاهرة المصرية - مصر



الملك 'نشاألي' وحملة بعض أعضاء السفارة قبل دخوله إلى قصر 'لاكسمبورغ' لفتح أوراق 'أحمد الثالث'



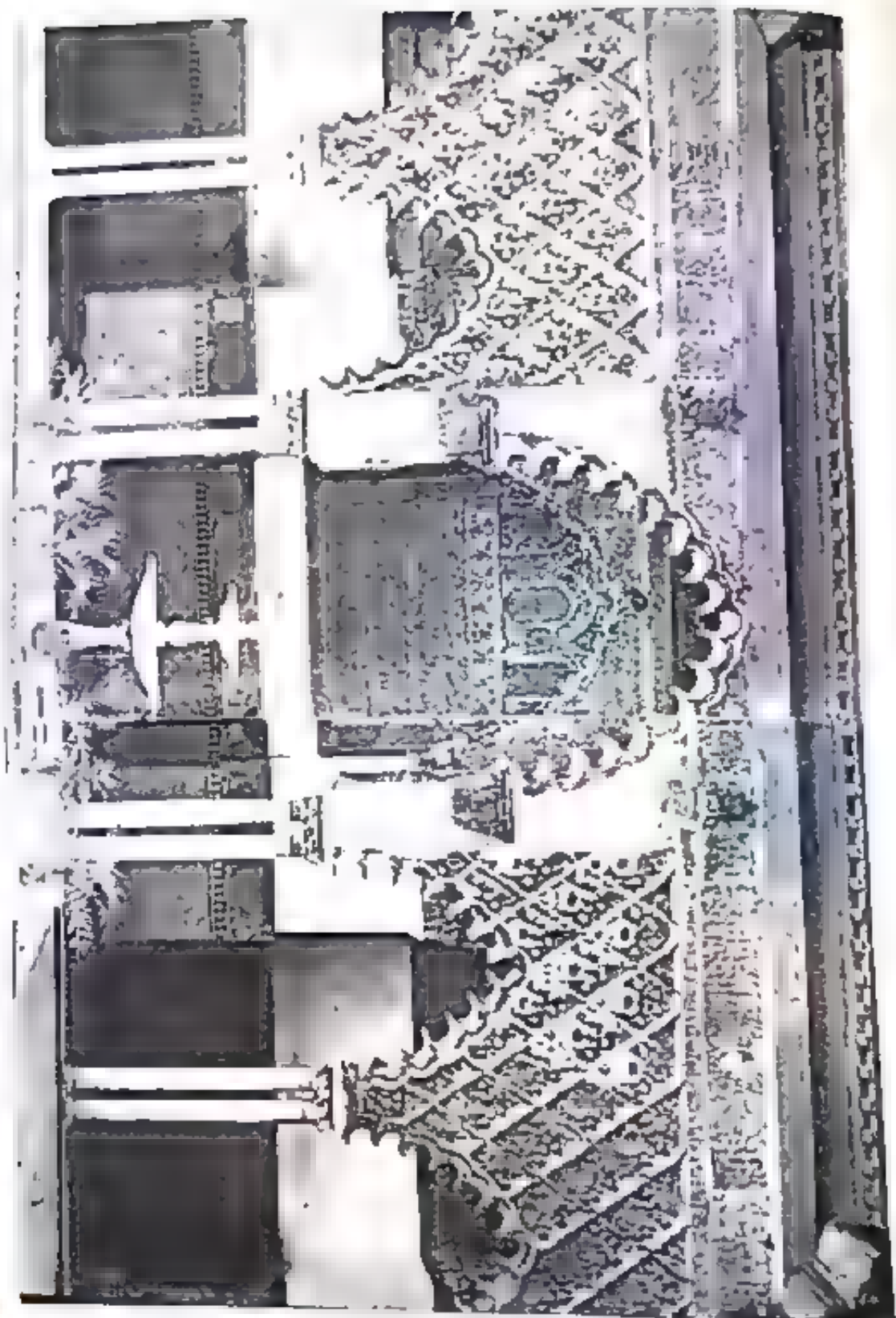
التقوس المربعة في قصر الحمراء ويظهر فيها «دولا غاليب» إلى الله «

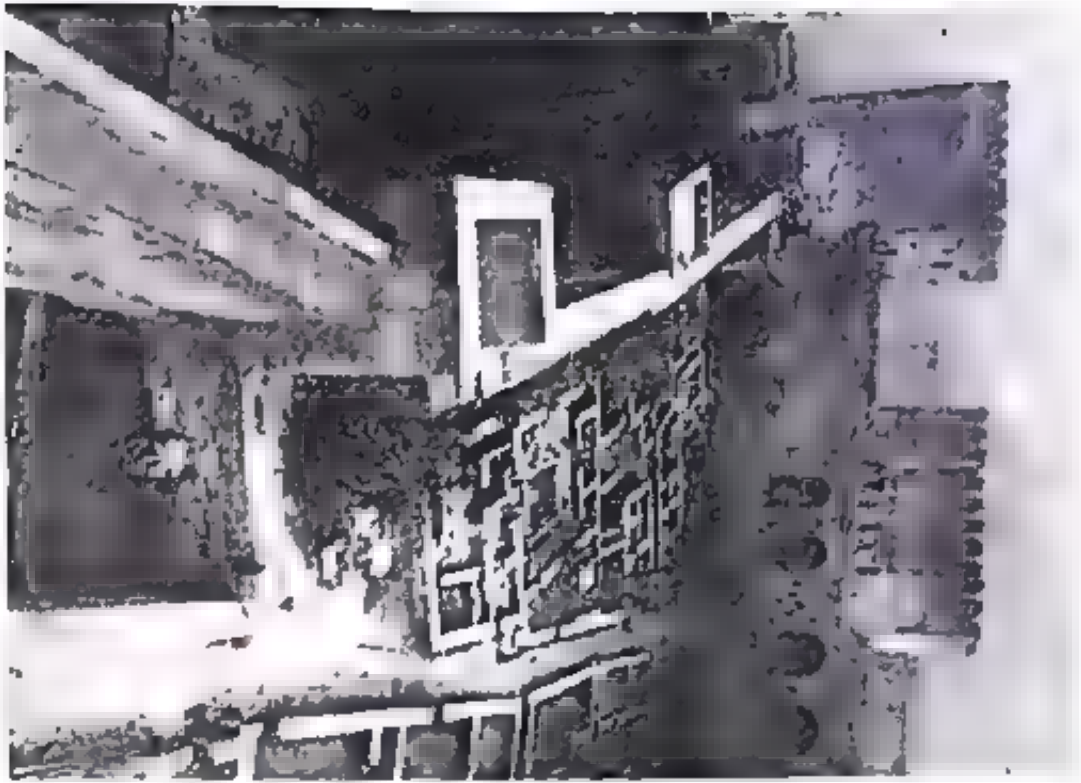


قصر الحمراء في غرناطة

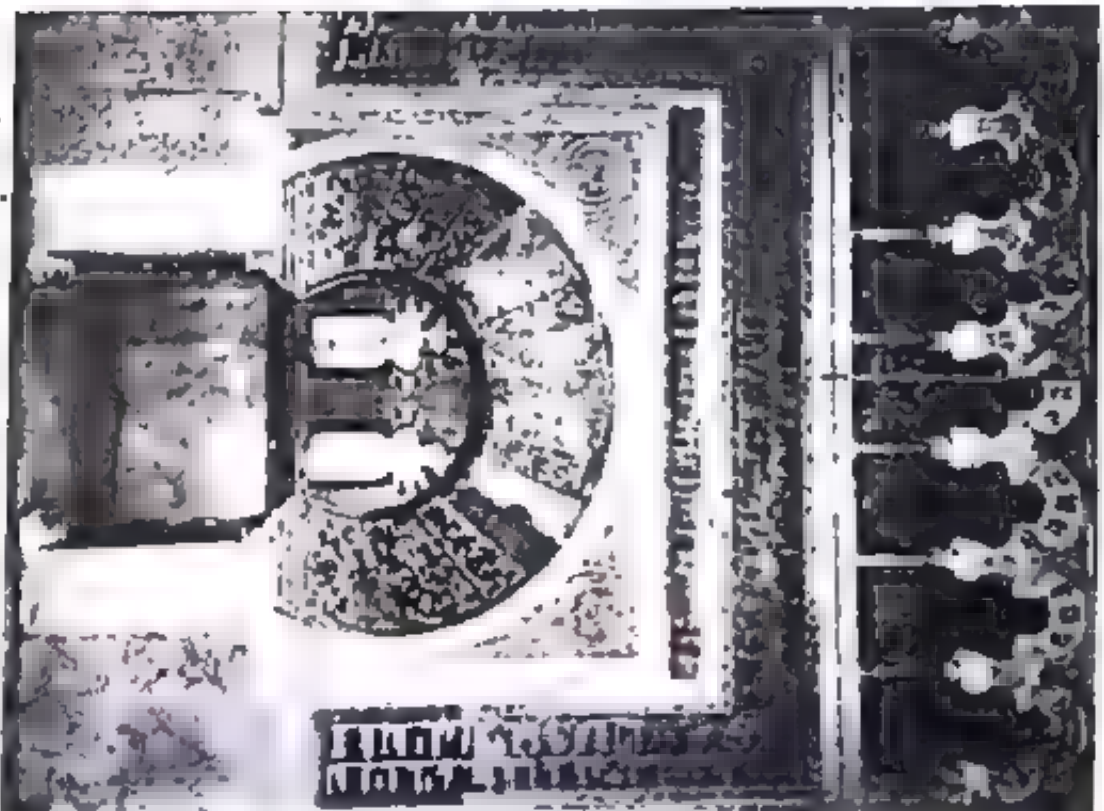


السورس العربية داخل مبنى القصر في اسطنبول





دار السلاح في قصر الحمراء



صورة للمسرح داخل جامع قرطبة . وتظهر في أعلى الحراب تقويم
بأسماء الله الحسنى



المبنى الرئيسي للمدرسة



مقر الحاكم العربي في أشبيلية يطلق عليه اسم القصر



الوجهة الشرقية للجامع قوتلبيه



جانب من قصر الحمراء ويظهر فيه سرب الدفء الدائري عن الممسك



أعضاء المجلس الإسلامي 'في' البرلمان ويندو في الصورة من اليسار إلى اليمين :
 المغرب ، سفير تركيا ، الدكتور سليمان والي ربيع المسلمين في البرلمان ، سفير مصر
 القائم بأعمال باكستان ، القائم بأعمال نيجيريا



صورة تذكارية بجمع سفراء وممثلي دول جبهة الصمود والتصدي العربي في منزل المرق
الشانلي في لشونة يوم 27 يونيو 1978

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

5	تقديم
5	الباب الأول :
5	سفير في المملكة المتحدة
11	في بلاط صاحبة الجلالة
17	الصراع بيني وبين الصهاينة
27	الصراع بيني وبين النظام المصري
45	بريطانيا والصراع العربي الاسرائيلي
61	العلاقات الثنائية بين مصر وبريطانيا
	سفير في البرتغال
73	من لندن الى لشبونة
77	النشاط السياسي والديبلوماسي
85	الاسلام والمسلمون في البرتغال
93	التجربة البرتغالية
115	الدين والسياسة
	تطور العلاقات بيني وبين السادات
127	الفصل الحادي عشر : مرحلة التعاون
133	الفصل الثاني عشر : مرحلة الخلاف

149.....	الفصل الثالث عشر : مرحلة المجابهة.....
	الباب الرابع : الحياة الاجتماعية والسياحة
163.....	الفصل الرابع عشر : الحياة الاجتماعية في بريطانيا.....
175.....	الفصل الخامس عشر : الحياة الاجتماعية في البرتغال.....
185	الخاتمة :
187.....	ملحق 1 (بيان 19 يونيو 1978).....
190.....	ملحق 2 (زيارة السادات للقدس — من هو صاحب الفكرة).....
197	الهوامش :
201	فهرس الاعلام :

كان نجاح القوات المسلحة المصرية في عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف خلال 18 ساعة يوم 6 أكتوبر 1973 مفاجأة كبيرة للأصدقاء والأعداء على حد سواء . فلم يكن أحد يتوقع أن يتم العبور بمثل هذه القوة والسرعة والكفاءة . وقد أرجعت الصحافة العالمية والعربية هذا النجاح إلى الفريق سعد الدين الشاذلي الذي كان يشغل منصب رئيس أركان القوات المسلحة المصرية . ووصفته بأنه هو العقل المدبر لهذا العبور العظيم . وأنه هو الذي درب تلك القوات وبعث فيها روح النظلات التي كان الفريق هو مؤسسها وقائدتها لفترة طويلة . وفي مؤتمر صحفي عقده الرئيس السادات في تلك الأيام علق صحفي أجنبي قائلا : «إذا كنتم قد نجحتم في بناء عشر كبارى فوق قناة السويس في 8 ساعات وعبرتم فوقها بألف دبابة وخمسة عشر ألف عربة في 6 ساعات ، فهذا يعني أنه كان هناك تنظيما دقيقا للمرور يفرق بكثير تنظيم المرور فوق كوبري قصر النيل في القاهرة . فلماذا لا نستفيد بهذه الخبرات في تنظيم المرور في القاهرة وفوق الكباري المقامة على نهر النيل ؟»

. . .

كانت شهرة الفريق الشاذلي بين الضباط والجنود في مصر ، بالإضافة إلى الشهرة الواسعة التي حصل عليها أبان حرب أكتوبر 73 على المستوى العربي والدولي ، مشارف لل رئيس المصري . كان السادات بطبيعته يريد أن ينسب إلى نفسه كل إنجاز ضخم في مصر . وكان يخشى أن ينافسه في ذلك أحد ، فقرر إبعاد الفريق الشاذلي عن القوات المسلحة ، وقام بصحبة سفيرا مصر في المملكة المتحدة . وفي لندن قام الشاذلي بانتقاد سياسة السادات الخارجية في أحاديث إذاعية وعلى شاشات التلفزيون البريطاني ، مما اضطر السادات إلى نقله من لندن إلى لشبونة ، بعد ستة وأحد من تعيينه سفيرا في لندن . وقد بقي الشاذلي سفيرا بلادة في البرتغال مدة ثلاث سنوات ، درس خلالها التجربة البرتغالية وتأثر بها .

وإزدادت انتقادات الشاذلي للرئيس المصري بعد أن زار السادات القدس في نوفمبر 77 ، وبعد أن قام بإصدار عدد من القوانين القمعية خلال شهر مايو 78 ، لردع كل من يعارض الخط الاستراتيجي الذي كان قد صمم على أن يسير فيه . وفي 19 يونيو 78 قرر الشاذلي أن يقطع شجرة معاوية التي كانت ما تزال تربطه بالنظام . ففي هذا اليوم ومن مكتبه في السفارة المصرية بلشبونة هاجم السادات ونظامه واتهمهم بالديكتاتورية ، وأنه يسير على نفس نهج سالا زار ديكتاتور البرتغال السابق . فهايزور الانتخابات ويصدر القوانين الظالمة ويدعي أنها تصدر بموافقة الشعب ، وهو يبتطش بخصومه السياسيين بغر رحمة أو ضمير . وكما كان متوقعا فقد قام السادات بعزله من منصبه ، فالتجه من لشبونة إلى الجزائر حيث اتخذها وطنيا ثانيا له ، وحيث يعيش فيها بصفة دائمة اعتبارا من 28 يونيو 78 وحتى يومنا هذا .